



زاد المسير في علم النفس

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الرابع عشر

النسب - التآزعات - عيس - التكوين - الانبساط
الطافين - الانشقاق - البروج - الطارق - الأغل
الغاشية - الفجر - البلد - الشمس - الليل
الضحى - الشرح - البين - الملق - القذر
البنة - الزلزلة - العاديات - القارعة - الكاثر
العصر - الهجرة - القيل - قزيش - الماعون
الكوثر - الكافرون - النصر - المسك - الإخلاص
الفلق - الناس

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر



أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زَاكِي الْمَنَاسِكِ

فِي عِلْمِ النَّفْسِ

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايمل: alshamiya.tr@gmail.com

زاد المسير

في علم النفس

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الرابع عشر

النبا - الناس

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المستبصر العربي دار الرشيدية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر



سورة التَّسَاوُلِ^(١)

ويُقال لها: سورة النبأ، وهي مكيَّةٌ كُلُّها بِإِجْمَاعِهِمْ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُوَ فِيهِ تُخْلَفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِيَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا (١٧) يَوْمَ تُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَنَابًا (٢٢) لِيَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَهْلِيًا وَآهْلِيًا مَعَهُمْ وَأَسْوَاقًا (٣٣) وَأَعْنَابًا (٣٤) وَكَوَاعِبَ أَهْلِيًا وَآهْلِيًا مَعَهُمْ وَأَسْوَاقًا (٣٥)﴾

(١) انظر: مصاعد النظر؛ للبقاعي (ص: ١٥٠).

(٢) قاله ابن عباس، وابن الزبير:

ابن عباس: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في ناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٤٩٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣) عن ابن عباس، قال: نزلت سورة: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ بِمَكَّةَ.

ابن الزبير: أخرج ابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٤٩٨) عن عبد الله ابن الزبير، قال: أنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ بِمَكَّةَ. وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٣)، والبقاعي في مصاعد النظر (ص: ١٥٠) الإجماع على مكيتها.

﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ آثَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَسَادٍ هَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ رَزَقَهُ عِطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ [النبا: ١ - ٤٠].

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أضله: «عَنْ مَا» فأدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «مَا»؛ كقولهم: فيم، وبِم^(١).

قال المفسرون: لما بعث رسول الله ﷺ جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بعث به؟ فنزلت هذه الآية^(٢).

واللفظ لفظ استفهام، والمعنى: تفخيم القصة، كما يقول^(٣): أي شيء زيد؟ إذا أردت تعظيم شأنه^(٤).

ثم بين ما الذي يتساءلون عنه؛ فقال تعالى: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ يعني: عن الخبر العظيم الشأن، وفيه ثلاثة أقوال:

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧١) بتصرف يسير، والتفسير الكبير (٣١ / ٣)، وعزاه الفخر إلى الجرجاني، وانظر: كتاب سيبويه (٤ / ١٦٤).

(٢) انظر: البحر المحيط (١٠ / ٣٨٣).

(٣) في (م): يقولون.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧١).

أحدها: القرآن، قاله مجاهد^(١)، ومقاتل^(٢)، والفرأء، قال الفرأء: فلماً أجاب؛ صارت «عم» كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن^(٣).
والثاني: البعث، قاله قتادة^(٤).

والثالث: أنه أمر النبي ﷺ، حكاه الزجاج^(٥).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْلِفُونَ﴾ من قال: إنه القرآن، فإن المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: أساطير الأولين، إلى غير ذلك، وكذلك من قال: هو أمر النبي ﷺ.
فأما من قال: إنه البعث والقيامة، ففي اختلافهم فيه قولان:

أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به فمنهم من صدق وآمن، ومنهم من كذب، وهذا معنى قول قتادة^(٦).

والثاني: أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصَدَّقَ به المسلمون

(١) تفسير مجاهد (ص: ٦٩٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٤٩).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٥٥٧).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ١٥٠) من طريق سفيان، عن سعيد، عن قتادة ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ قال: النبأ العظيم: البعث بعد الموت. وابن المنذر - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٤٩٨)، وذكره الزجاج في معاني القرآن (٥ / ٢٧١) ولم ينسبه.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧١).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٨٢) من طريق معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْلِفُونَ﴾، قال: «مصدق به ومكذب». ومن طريقه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٥٠).

وكذب به المشركون، قاله يحيى بن سلام^(١).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال بعضهم: هي ردع وزجر. وقال بعضهم: [٨١٩/أ] هي نفى لاختلافهم^(٢)، والمعنى: ليس الأمر على ما قالوا. ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كذبهم^(٣) حين ينكشف الأمر.

﴿تُؤَكِّلُون﴾ وعيد على إثـر وعيد. وقرأ ابن عامر: «ستعلمون» في الحرفين بالتاء^(٤).

ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيدَه، فقال تعالى: ﴿أَنزَجَعِلَ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾؛ أي: فراشا وبساطا ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ للأرض لئلا تميد^(٥) ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: أصنافا وأضدادا ذكورا، وإناثا، سودا، وبياضا، وحمرا.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة لأبدانكم^(٦). وقد شرحنا هذا في الفرقان، وشرحنا هناك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾؛ أي: سببا لمعاشكم، والمعاش: العيش، وكل شيء يعاش به، فهو معاش، والمعنى: جعلنا النهار مطلباً للمعاش.

(١) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٨٣).

(٢) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (٢٣ / ١١٤).

(٣) في (س)، و(م): تكذيبهم.

(٤) قراءة شاذة، من رواية التغلبي عن ابن ذكوان، كما في جامع البيان (٤ / ١٦٨٤)، وانظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٠٠).

(٥) في الأصل: تميل، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٤)، وغريب القرآن (ص: ٥٠٨).

وقال ابن قتيبة: معاشاً؛ أي: عيشاً، وهو مصدر^(١).

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ قال مقاتل: هي السموات غلظت كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك، وهي فوقكم يا بني آدم؛ فاخذروا أن تغصوا فتخرب عليكم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ يعني: الشمس ﴿وَهَاجًا﴾ قال ابن عباس: هو المضيء^(٣). وقال اللغويون: الوهاج: الوقاء^(٤). وقيل: الوهاج: يجمع النور والحرارة^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ فيها ثلاث أقوال:

أحدها: أنها السموات، قاله أبي بن كعب^(٦)، والحسن^(٧)، وابن جبير^(٨).

(١) أدب الكاتب (ص: ٥٥٢).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٥٥٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٥٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يقول: مضيئاً. وأخرجه ابن أبي حاتم - كما تغليق التعليق (٤ / ٣٥٩) - من طريق أبي صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠٦) إلى ابن المنذر.

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢ / ٢٨٢)؛ وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٥٠٨).

(٥) انظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٨ / ٣١٢).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣١١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٢٤).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٥٤) من طريق ابن عليه، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: من السماء.

(٨) انظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٨ / ٣١٣)، المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥ / ٤٢٤).

والثاني: أنَّها الرِّيح، رواه العوفي عن ابن عباس^(١)، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل^(٢).

وقال زيد بن أسلم: هي الجنوب^(٣). فعلى هذا القول تكون «من» بمعنى: «الباء»، فتقديره: بالمعصرات، وإنما قيل للرِّيح: معصرات؛ لأنها تستدر المطر.

والثالث: أنَّها السَّحاب، رواه الوابي عن ابن عباس^(٤)، وبه قال أبو العالية، والضَّحَّاك، والرَّبيع.

قال الفرَّاء: السَّحَابَةُ الْمُعْصِرُ الَّتِي تَحْلُبُ بِالْمَطَرِ وَلَمَّا يَجْتَمِعُ؛ مَثَلُ الجارية المعصر، قد كَادَتْ تَحِيضُ، وَلَمَّا تَحِيضُ^(٥).

وكذلك قال ابن قتيبة: شُبِّهَتِ السَّحَابُ بِمَعَاصِيرِ الْجَوَارِي، وَالْمُعْصِرُ: الْجَارِيَةُ الَّتِي قَدْ دَنَتْ مِنَ الْحِيْضِ^(٦).

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ١٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ أَلْمُعْصِرَاتِ﴾ فالمعصرات: الريح.

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٥٥٩).

(٣) ذكر ذلك عنه الماوردي (٦ / ١٨٤).

(٤) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣١٠)، والواحي في التفسير الوسيط (٤ / ٤١٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٢). والوابي: هو علي بن أبي طلحة، لم يسمع من ابن عباس، فالإسناد منقطع، وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤ / ١٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) لم أقف عليه في المعاني، وذكره عنه الأزهرى في تهذيب اللغة (٢ / ١٢)، والواحي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٢١).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٠٨).

وقال الزَّجَّاج: إنما قيل للسحاب: مُعْصِرَات؛ كما قيل أَجَزَّ الزَّرْعُ فهو مُجَزَّ؛ أي: صار إلى أن يجزَّ، فكذلك السَّحاب إذا صار إلى أن يمطر، فَقَدْ أَعْصَرَ^(١).

قوله تعالى: ﴿مَاءً نَّجَّاجًا﴾ قال مقاتل: أي: مطرًا كثيرًا منصَّبًا يتبع بعضه بعضًا^(٢). وقال غيره: يُقال: نَجَّ الماء يَنْجُ؛ إذا انْصَبَّ^(٣) ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء.

﴿جَاءَ نَبَاتًا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أن الحب: ما يأكله الناس، والنبات ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام، هذا قول الجمهور.

وقال الزَّجَّاج: كُلُّ مَا حُصِدَ فَهُوَ حَبٌّ، وكلُّ ما أَكَلَتْهُ الماشيةُ مِنَ الكَلَالِ فهو نَبَاتٌ^(٤).

والثاني: أن الحبَّ: اللؤلؤ، والنبات: العشب.

وقال عكرمة: ما أنزل الله مِنَ السَّماءِ قطرًا، إِلَّا أَتَيْتَ بِهِ فِي الْبَحْرِ لَوْلُؤًا، وَفِي الْأَرْضِ عُشْبًا^(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧٢).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٥٥٩).

(٣) انظر: التفسير الوسيط (٤ / ٤١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٦١) (٢٢٧) من محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن عمِّه عبد الرحمن، عن عكرمة، قال: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أتيت بها في =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَنَّتِ﴾ يعني: بساتين ﴿أَلْفَاظًا﴾ قال أبو عبيدة: أي: ملتفةً من الشجر ليس بينها خلال. الواحدة: لفاء، وجنات لِفٌّ^(١)، وجمع الجمع: ألفاف^(٢).

قال المفسرون: فدلّ بذكر المخلوقات على البعث^(٣).

ثم أخبر عن يوم القيامة؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ﴾؛ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ [به]^(٤) مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ﴾ من قبوركم ﴿أَفْوَاجًا﴾؛ أي: زمراً زمراً من كل مكان [٨١٩/ب].

﴿وُفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وُفْتُحَتْ» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: [«وُفُتِحَتْ»]^(٥) بالتخفيف^(٦)، وإنما تفتح لنزول الملائكة.

=الأرض عشبّة أو في البحر لؤلؤة. وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٨٤)،

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٨٦) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن عكرمة.

(١) بكسر اللام، وزاد الكسائي: «لُفٌّ» بالضم. انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٢ / ٧٢٧)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٢٣ / ١٢٤).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٢).

(٣) ذكر ذلك أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن (٥ / ٢٧٢).

(٤) من (س).

(٥) من (س).

(٦) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٦٨).

﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾؛ أي: ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أي: كالسراب؛ لأنها تصير هباء منبثًا فيراها الناظر كالسراب بعد شدتها وصلابتها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال المبرد: مِرْصَادًا يَرْصُدُونَ به؛ أي: هو مُعَدُّ لَهُمْ، يَرْصُدُ بِهَا خَزَنَتُهَا الْكَفَّارَ^(١).

وقال الأزهري: المرصاد: المكان الذي يَرْصُدُ فِيهِ الرَّاصِدُ الْعُدُوَّ^(٢).

ثُمَّ بَيَّنَ لِمَنْ هِيَ مِرْصَادٌ؛ فقال تعالى: ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ قال ابن عباس: للمشركين^(٣) ﴿مَنَابًا﴾؛ أي: مرجعًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْثِينَ﴾ وقرأ حمزة: «لَيْثِينَ»^(٤)، والمعنى: فيهما واحدٌ. يقال: هو لَابِثٌ بِالْمَكَانِ، وَلَبِثْتُ. ومثله: طَامِعٌ، وَطَمِعْتُ، وَفَارَةٌ، وَفَرِئَةٌ.

وَأَمَّا الْأَحْقَابُ: فَجَمْعُ حُقْبٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْاِخْتِلَافَ فِيهِ فِي الْكَهْفِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى ذِكْرِ الْأَحْقَابِ، وَخُلُودُهُمْ فِي النَّارِ لَا نِفَادَ لَهُ؟

فَعَنهُ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَلَّمَا مَضَى حَقْبٌ تَبِعَهُ حَقْبٌ.

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤١٣).

(٢) تهذيب اللغة (١٢ / ٩٧).

(٣) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٢٧)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤١٣).

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٦٨).

ولو أنه قال: لا يشين [فيها] ^(١) عشرة أخقابٍ أو خمسة؛ دلّ على غاية، هذا قول ابن قتيبة ^(٢)، والجمهور.

وبيّانه: أن زمان أهل الجنة والنار يتصور دخوله تحت العدد، وإن لم يكن له ^(٣) غاية؛ كقوله: ﴿بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ﴾، ومثل هذا أن كلمات الله تعالى داخله تحت العدد وإن لم يكن ^(٤) لها نهاية.

والثاني: أن المعنى: أنهم يلبثون فيها أخقاباً ﴿لَا يَذُقُونَ﴾ في الأخقاب ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ فأما خلودهم في النار فدائم. هذا قول الزجاج ^(٥).

وبيّانه: أن الأخقاب حدّ لعذابهم بالحميم والغساق، فإذا انقضت الأخقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب.

وفي المراد «بالبرد» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه برد الشراب. روى أبو صالح، عن ابن عباس، قال: لا يذوقون فيها برد الشراب، ولا الشراب ^(٦).

(١) من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٠٩).

(٣) في (س): تكن لها.

(٤) في (م): تكن.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧٣).

(٦) أخرجه الفراء بسنده في معاني القرآن (٣ / ٢٢٨) من طريق حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لا يذوقون فيها برد الشراب ولا الشراب. وذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٢٧)، والقرطبي في تفسيره (١٩ / ١٨٠).

والثاني: أَنَّهُ الرُّوحَ والرَّاحَةَ، قاله الحَسَنُ، وعطاء^(١).

والثالث: أَنَّهُ النَّوْمُ، قاله مُجَاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، وأبو عُبيدة^(٢)، وابنُ قُتَيْبَةَ^(٣)، وأنشَدُوا [من الطويل]:

فَإِنْ شِئْتَ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحًا وَلَا بَرْدًا^(٤)
قال ابنُ قُتَيْبَةَ: النَّقَاحُ: الماء، والبرد: النَّوْمُ^(٥). سُمِّيَ بذلك؛ لَأَنَّهُ
تَبَرَّدَ فِيهِ^(٦) حرارةُ العَطَشِ^(٧).

وقال مُقَاتِلٌ: لا يذوقون فيها بَرْدًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ حَرِّهَا، ولا شَرَابًا
يَنْفَعُهُمْ مِنْ عَطَشٍ^(٨).

(١) ذكره عنها الثعلبيُّ في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٣٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٥).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٩).

(٤) البيت للعرجيِّ في ديوانه (ص: ١٠٩)، والحيوان (٥ / ١٦)، وأخبار مكة؛ للفاكهي (٣ / ١١٩)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٦٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٩٧)، وبلا نسبة في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٥٠٩)، والفاخر (ص: ١٧).
والعرجي صاحب البيت، هو: عبد الله بن عمر الأموي القرشي، توفي نحو (١٢٠ هـ).
انظر: نسب قريش (ص: ١١٨)، الأغاني (١ / ٢٨٣)، الخزانة (١ / ٤٧).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٠٩).

(٦) في (س): به.

(٧) في (م): الحرارة.

(٨) تفسير مقاتل (٤ / ٥٦٣)، وذكره عنه أيضًا الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٣١)،
والتفسير الوسيط (٤ / ٤١٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٥).

﴿الْأَحْمِيمَا وَغَسَّاقًا﴾ قرأ ابنُ كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابنُ عامر: «غَسَّاقًا» بالتخفيف، وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وحفص عن عاصم: بالتشديد^(١).

وقد تقدّم ذكرُ الحميم والغساق.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ قال الفراء: وفقًا لأعمالهم^(٢). وقال غيرُه: جُوزُوا ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ لأعمالهم على مقدارها^(٣)، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يخافون أن يحاسبوا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الجمهور^(٤).

والثاني: لا يرجون ثواب حساب؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الزجاج^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بما جاء به الأنبياء ﴿كَذَابًا﴾ قال [٨٢٠/أ] الفراء^(٦): الكذاب بالتشديد لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذبت به كذابًا،

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٦٨).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٢٩).

(٣) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٥١٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ١٣٤)، والتفسير الوسيط (٤/ ٤١٥)،

والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣١٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٤).

(٦) معاني القرآن (٣/ ٢٢٩).

وخرّقت القميص خِرَاقًا، وكلُّ «فَعَّلْتُ» فمصدره [فَعَّلًا]^(١) في لُغَتِهِمْ مُشَدَّد، قَالَ لي أعرابيٌّ مِنْهُمْ: عَلَى الْمَرْوَةِ يَسْتَفْتِينِي: الْحَلَقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْقِصَّارُ؟ وأنشدني بغضُّ بني كلابٍ [من الطويل]:

لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّتْنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجٍ قِصَاؤُهَا مِنْ شِفَائِيَا^(٢)

وأما أهل نجد فيقولون: كذبت به تكذيبًا. وقال أبو عبيدة^(٣): الكِذَابُ: أَشَدُّ مِنَ الْكَذَابِ^(٤)، وهما مصدرُ المكاذبةِ، قَالَ الأعشى [من الكامل]:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ^(٥)

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كُلُّ» منصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ، تَفْسِيرُهُ: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾، والمعنى: وأحصى لنا كُلَّ شَيْءٍ. و﴿كِتَابًا﴾ تأكيدٌ لـ «أَحْصَيْنَاهُ»؛ لأنَّ مَعْنَى «أَحْصَيْنَاهُ» و«كِتَابَاهُ»: فيما يحصل ويثبت

(١) من (م).

(٢) البيت بلا نسبة في العين (٣/ ٢٥٩)، ومعاني القرآن؛ للفرّاء (٣/ ٢٢٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٦٨)، والأضداد (ص: ٢١)، والكشف والبيان (٢٨/ ٣٣٣)، والمحكم والمحيط (٣/ ٤٦٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٣).

(٤) في الأصل: الكذب، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) البيت للأعشى في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٧٣)، ومعاني القرآن؛ للأزهري (٣/ ١١٧)، والحجة للفرّاء السبعة (٦/ ٣٦٩)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٢٣/ ١٤١)، وبلا نسبة في الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ١٧٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٢٧٤)، وكتاب الأفعال؛ للسرّسطي (٢/ ١٥٠).

وَاحِدٌ، فَاَلْمَعْنَى: كَتَبْنَاهُ كِتَابًا^(١).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ أُثْبِتْنَاهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

﴿فَذُوقُوا﴾؛ أَي: فَيُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا جَزَاءَ فِعَالِكُمْ ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٢) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴿الَّذِينَ لَمْ يَشْرَكُوا.

﴿مَفَازًا﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُتَنَزَّهَا^(٣)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤)، وَالصَّحَّاكُ^(٥).

وَالثَّانِي: فَارُؤُا بِأَنْ تَجُورُوا مِنَ النَّارِ بِالْجَنَّةِ، وَمِنَ الْعَذَابِ بِالرَّحْمَةِ، قَالَه قَتَادَةُ^(٦).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿مَفَازًا﴾ فِي مَوْضِعِ «فَوْزٍ»^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَدَائِقُ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْحَدَائِقُ: بَسَاتِينُ نَخْلٍ، وَاحِدُهَا: حَدِيقَةٌ^(٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَوَاعِبُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْكَوَاعِبُ: النَّوَاهِدُ^(٩).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧٤).

(٢) فِي (م): مُتَنَزَّهَا.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٣٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ١٧٠).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥١٠).

(٧) المصدر السابق.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

قال ابنُ فارسٍ: يُقال كعَبَتِ المرأةُ كعَابَةً، فَهِيَ كاعِبٌ؛ إِذَا نَتَأَ تَذْيُهَا^(١). وقد ذكرنا معنى «الأتراب» في «ص».

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الملائى. رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وبه قال الحسنُ^(٣)، وقتادة^(٤)، وابن زيد^(٥).

والثاني: أنَّها المتتابعة. رواه مجاهدٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ^(٦)، وبه قال سعيد ابن جُبَيْرٍ^(٧). وعن مجاهد كالقَوْلَيْنِ.

والثالث: أنَّها الصَّافِيَّة، قاله عِكْرَمَةُ^(٨).

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٨٦)، ومجمل اللغة (ص: ٧٨٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧١) من طريق موسى بن عمير، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ قال: ملائى.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٢) من طريق ابن أبي عدي، عن يونس، عن الحسن ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ قال: الملائى.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٢) من طريق ابن عليه، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، في قوله: ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ قال: مئرة ملائى.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٢) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ قال: الدهاق المملوءة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٣) جريز، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ قال: المتتابعة.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٢) من طريق ابن ثور، عن معمر، قال: قال سعيد بن جُبَيْرٍ في قوله: ﴿وَكُنَّا دِهَاقًا﴾ دهاقا: المتتابعة.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٢) من طريق ابن جريج، قال: ثنا عمر بن =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾؛ أَي: فِي الْجَنَّةِ إِذَا شَرَبُوهَا ﴿لَفَوْا﴾؛ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي الطُّورِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَلَا كَذَبًا﴾؛ أَي: لَا يَكْذِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا إِذَا شَرَبُوا الْخَمْرَ تَكَلَّمُوا بِالْبَاطِلِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُتْرَهُونَ عَنْ ذَلِكَ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَقَرَأَ^(١) عَلِيٌّ ؑ: «كَذَابًا» بِالتَّخْفِيفِ كَأَنَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَا يَتَكَذَّبُونَ فِيهَا. وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يُخَفِّفُ هَذِهِ، وَيُشَدِّدُ: ﴿وَكَذَّبُوا يَتَيْنَا كَذَابًا﴾؛ لِأَنَّ «كَذَّبُوا» يَقِيدُ «الْكَذَابَ»^(٢) بِالْمَصْدَرِ، وَهَذِهِ لَيْسَتْ بِمَقِيدَةٍ^(٣) بِفَعْلٍ يُصِيرُهَا مَصْدَرًا^(٤).

وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ الْكَذَابَ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ مَصْدَرُ الْمَكَاذِبَةِ^(٥). وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: «الْكَذَابُ» بِالتَّخْفِيفِ مَصْدَرُ: «كَذَبَ»؛ مِثْلُ: «الْكِتَابُ» مَصْدَرُ «كَتَبَ»^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَزَاءً﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: جَازَاهُمْ بِذَلِكَ جَزَاءً، وَكَذَلِكَ «عَطَاءٌ»؛ لِأَنَّ مَعْنَى أُعْطَاهُمْ وَجَازَاهُمْ وَاحِدٌ. وَ﴿حِسَابًا﴾ مَعْنَاهُ:

=عَطَاءٌ، عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّامًا هَاقًا﴾ قَالَ: صَافِيَةٌ.

(١) فِي (م): وَقَرَأَ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: الْكَذِبُ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٣) فِي (م): مَقِيدَةٌ.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣/ ٢٢٩).

(٥) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢/ ٢٨٣).

(٦) الْحُجَّةُ لِلْفَرَّاءِ السَّبْعَةُ (٦/ ٣٧٠).

ما يكفيهم؛ أي: فيه كل ما يشتَهون، يُقال: أَحَسَبَنِي كذا بمعنى: كَفَانِي^(١).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والمفضل: «رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وما بينهما الرَّحْمَنُ» برفع الباء من «رَبِّ» والنون من «الرَّحْمَن» على معنى: هو رَبُّ السموات. [٨٢٠/ب]

وقرأ عاصم وابن عامر: بخفض الباء والنون على الصِّفة من «رَبِّ»، وقرأ حمزة والكسائي: بكسر الباء ورفع النون^(٢)، واختار هذه القراءة الفراء^(٣)، ووافقه على هذا جماعة، وعلَّلوا بأنَّ الرَّبَّ قَرِيبٌ مِنَ المَخْفُوضِ والرَّحْمَنُ بَعِيدٌ مِنْهُ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يملكون الشِّفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، قاله ابن السائب^(٤).

والثاني: لا يقدر الخلق أن يكلموا الرَّبَّ إِلَّا بِإِذْنِهِ، قاله مقاتل^(٥).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: أَنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ تعالى، وليسوا بملائكة، رواه ابن

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧٥).

(٢) كلها سبعة، انظر: التيسير (ص: ٢١٩).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٢٩).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٤٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٧).

(٥) ورد معناه في تفسير مقاتل (٤ / ٥٦٥)، وذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط

(٢٣ / ١٤٥)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤١٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٧).

عبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

وقال مجاهدٌ: هم خلقٌ على صورةِ بني آدمَ يأكلون ويشربون^(٢).

والثاني: أَنَّهُ مَلَكٌ أَعْظَمُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٣) وَالْجِبَالِ، وَالْمَلَائِكَةِ،
قاله ابنُ مسعودٍ، ومقاتلُ بنُ سليمان^(٤).

وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: الرُّوحُ: مَلَكٌ مَا خَلَقَ اللَّهُ أَعْظَمَ
منه، فإذا كان يومُ الْقِيَامَةِ قامَ هو وخَدَهُ صَفًّا، وقامتِ الملائكةُ كُلُّهُمْ
صَفًّا وَاحِدًا، فيكونُ عِظَمُ خَلْقِهِ مِثْلَ صُفُوفِهِمْ^(٥).

والثالث: أَنَّهُمْ أَرْوَاحُ النَّاسِ تَقُومُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، فِيمَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ،
قَبْلَ أَنْ تُرَدَّ إِلَى أَجْسَادِهِمْ^(٦)، رواه عطيةٌ، عن ابنِ عباسٍ^(٧).

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٤٦) من طريق إبراهيم بن طهمان، عن مسلم الأعور، عن مجاهد. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٨٥) (٣٤٦٨)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٦).

(٣) ليست في (م).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٥٦٥ - ٥٦٦).

(٥) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٤٧)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤١٧)،
والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣١٧).

(٦) في (س): الأجساد، وفي (م): الأجسام.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس،
قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ قال: يعني حين تقوم أرواح الناس مع
الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد.

والرَّابِع: أَنَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ^(١)، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ^(٢).

والخامس: أَنَّهُمْ بَنُو آدَمَ، قَالَهُ الْحَسَنُ^(٣)، وَقَتَادَةُ^(٤).

والسَّادس: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، قَالَهُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(٥).

والسَّابِع: أَنَّهُمْ أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ، قَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قَالَ الشَّعْبِيُّ: هُمَا سِمَاطَانُ^(٧): سِمَاطٌ مِّنَ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٦) من طريق رواد بن الجراح، عن أبي حمزة عن الشعبي ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: الروح جبريل عليه السلام.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٦) من طريق مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: جبريل عليه السلام. ومن طريق مهران، عن سفيان، عن الضحاك ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: الروح: جبريل عليه السلام.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهمال (ص: ١٣٠) (١٦٦) من طريق خليل بن دعلج، عن الحسن، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٧) من طريق ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: الروح بنو آدم.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٨٥) من طريق معمر، عن قتادة، والطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٧) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هم بنو آدم.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٧٧) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، كان أبي يقول: الروح: القرآن، وقرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

(٦) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣ / ٨٧٥) (٤١٦) من طريق إسحاق بن سليمان، عن صالح بن سعيد، عن مقاتل بن حيان في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: «الروح: أشرف الملائكة وأقربهم من الرب تبارك وتعالى».

(٧) السِّمَاط: الصف.

الرُّوحَ، وَسَمَاطٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(١). فعلى هذا يكون المعنى: يوم يقوم الرُّوحُ صفًا، والملائكةُ صفًا. وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: معْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَفًّا﴾: صُفُوفًا^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ بِغَنِي: الخلقُ كُلُّهُمْ ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؛ أي: قال في الدنيا صوابًا؛ وهو الشَّهادة بالتَّوْحِيد عند أكثر المفسرين. وقال مجاهدٌ: قال حقًّا في الدُّنيا، وعَمِلَ به^(٣).

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾: الكائنُ الْوَاقِعُ بلا شكَّ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ، مَتَابًا﴾؛ أي: مرجعًا إليه بطاعته.

ثم خَوْفٌ كَفَّارٌ مَكَّةٌ؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عَذَابُ الْآخِرَةِ، وكلُّ آتٍ قَرِيبٌ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي: يرى عمله مُثَبَّتًا في صحيفته خيرًا كان أو شرًّا.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيَتَنِي كُنْتُ تَرَبًّا﴾ (قال الحسن^(٤)): إِذَا جَمَعَ^(٥) اللهُ الْخَلَائِقَ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٧ / ٢٤) من طريق منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قال: هما سَمَاطَانِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يوم القيامة؛ سَمَاطٌ مِنَ الرُّوحِ، وَسَمَاطٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤١٧) من طريق ابنِ عليّة به.

(٢) غريب القرآن (ص: ٥١١).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٦٩٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧٨ / ٢٤) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال: حقًّا في الدنيا وعمل به.

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤١٧).

(٥) في (م): سمع.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَضَىٰ بَيْنَ الثَّقَلَيْنِ: الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنْزَلَهُمْ^(١) مَنَازِلَهُمْ؛ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُونُوا تَرَابًا؛ فَكَانُوا تَرَابًا؛ فَحَيْثُذ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

وحكى الزَّجَّاجُ^(٢): أَنَّ مَعْنَى^(٣) ﴿يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: لَيِّنَنِي لَمْ أُبْعَثْ.

وحكى الثَّعْلَبِيُّ عَنْ بَعْضِ أَشْيَاخِهِ: أَنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ الْكَافِرَ هَاهُنَا إِبْلِيسُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَابَ آدَمَ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ، فَتَمَنَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَانِ آدَمَ، فَقَالَ: ﴿يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٤).

(١) فِي (م): وَأَرَوْا.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٢٧٦).

(٣) مَا بَيْنَ الْهَلَالَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (س).

(٤) الْكَشَفُ وَالْبَيَانُ (٢٨ / ٣٥٧).

سورة النازعات

وهي مكية كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۝ (١) وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا ۝ (٢) وَالسَّيْحَاتِ سَبَاحًا ۝ (٣) فَالسَّيْفَتِ سَبَاقًا ۝ (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ (٦) تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةُ ۝ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ (٨) أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ (٩) يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ (١٠) أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً ۝ (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾ [النازعات: ١ - ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: أنها الملائكة تنزع أرواح الكفار، قاله علي^(٢)، وابن [٨٢١/أ] مسعود^(٣)، وروى عطية عن ابن عباس، قال: هي الملائكة تنزع نفوس

(١) قاله ابن عباس، والزبير: ابن عباس: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٠٨) -، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣) عن ابن عباس قال: نزلت سورة النازعات بمكة. ابن الزبير: أخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٠٨).

وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٣٠)، والبقاعي في مصاعد النظر (ص: ١٥٣) الإجماع على مكيها.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٠٨)، وذكره الزجاج في معاني القرآن (٥/ ٢٧٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٣٦٢ - ٣٦٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٥)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٢٣).

بني آدَمَ^(١)، وبه قال مسروق^(٢).

والثاني: أَنَّهُ المَوْتُ يُنْزَعُ النُّفُوسَ، قاله مجاهد^(٣).

والثالث: أَنَّهَا النفس حين تُنْزَعُ، قاله السُّدِّيُّ^(٤).

والرَّابِع: أَنَّهَا النُّجُوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب، قاله الحسن^(٥)، وقتادة^(٦)، وأبو عبيدة^(٧)، والأخفش^(٨)، وابن كيسان^(٩).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالنُّزْعَتِ غَرَقًا﴾ قال: تنزع الأنفس.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٥) من طريق الأعمش، عن مسلم، عن مسروق أنه كان يقول في النازعات: هي الملائكة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٦) من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالنُّزْعَتِ غَرَقًا﴾ قال: الموت.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٦) من طريق وكيع، عن سفيان، عن السُّدِّيِّ ﴿وَالنُّزْعَتِ غَرَقًا﴾ قال: النفس حين تغرق في الصدر.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٦) من طريق أبي قتيبة، قال: ثنا أبو العوام، أنه سمع الحسن في ﴿وَالنُّزْعَتِ غَرَقًا﴾ قال: النجوم.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٦) من طريق ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَالنُّزْعَتِ غَرَقًا﴾ قال: النجوم.

(٧) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٤).

(٨) لم أجده في كتابه معاني القرآن، وقد ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢ / ٢٨٤)، والزجاج في معاني القرآن (٥ / ٢٧٧)، ولم ينسبها، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٣٠).

(٩) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٦٤ - ٣٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٢٤).

والخامس: أَنَّهَا الْقِسْيُ تُنْزَعُ بِالسَّهْمِ، قَالَهُ عَطَاءٌ، وَعِكْرَمَةُ^(١).

والسادس: أَنَّهَا الْوَحُوشُ تُنْزَعُ وَتَنْفَرُ، حَكَاهُ الْمَوْرِدِيُّ^(٢).

والسابع: أَنَّهَا الرِّمَاءُ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ^{(٣)(٤)}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَرَقًا﴾: اسْمٌ أُقِيمَ مَقَامَ الْإِغْرَاقِ. قَالَ^(٥) ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالْمَعْنَى: وَالنَّازِعَاتُ إِغْرَاقًا، كَمَا يَغْرُقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ^(٦). يَعْنِي: أَنَّهُ يَبْلُغُ بِهَا^(٧) غَايَةَ الْمَدِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا﴾ فِيهِ خُمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ^(٨).

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا حِينَ تُنْشِطُ أَزْوَاحَ الْكُفَّارِ حَتَّى تُخْرِجَهَا بِالْكَرْبِ وَالْغَمِّ،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٦) من طريق وكيع، عن واصل بن السائب، عن عطاء ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ قال: القسي. وقول عكرمة ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٦٥)، والواحد في التفسير البسيط (٢٣ / ١٥٩).

(٢) النكت والعيون (٦ / ١٩٢) حكاه عن يحيى بن سلام.

(٣) في (س): الثعلبي.

(٤) الكشف والبيان (٢٨ / ٣٦٥).

(٥) في الأصل: قاله، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) غريب القرآن (ص: ٥١٢).

(٧) في (م): به.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٥) من طريق سليمان، قال: سمعت أبا الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ قال: الملائكة.

قاله عليٌّ عليه السلام^(١).

قال مُقاتِلٌ: يَنْزِعُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَ الْكَافِرِ، فَإِذَا بَلَغَتْ تَرْقَوَتَهُ غَرَّقَهَا فِي حَلْقِهِ، فَيَعَذِّبُهُ فِي حَيَاتِهِ، ثُمَّ يُنْشِطُهَا مِنْ حَلْقِهِ - أَي: يَجِدُّهَا - كَمَا يُنْشِطُ السَّفُودَ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْتَلِ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَنْشِطُ أَزْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُرْعَةٍ، كَمَا يُنْشِطُ الْعِقَالُ مِنَ [يَدِ] الْبَعِيرِ إِذَا حُلَّ عَنْهُ^(٣)، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤).

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الَّذِي سَمِعْتُ^(٥) مِنَ الْعَرَبِ: كَمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ بِالْفِ. تَقُولُ: إِذَا رَبَطْتَ الْحَبْلَ فِي يَدِ الْبَعِيرِ؛ نَشِطْتَهُ، إِذَا حَلَلْتَهُ قَلْتَ: أُنْشِطْتَهُ^(٦).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا أَنْفُسُ الْمُؤْمِنِينَ تَنْشِطُ عِنْدَ الْمَوْتِ لِلْخُرُوجِ، وَهَذَا مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا^(٧).

وبيانه: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْمَوْتِ فَتَنْشِطُ نَفْسُهُ لَذَلِكَ.

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٦٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٢٤)

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٥٧٣).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (م): عنها.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٢٤).

(٦) في (م): سمعته.

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٣٠).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٧) من طريق السدي، عن أبي صالح بإذام، عن ابن عباس في ﴿وَأَلْأَنَشِطَتِ نَفْسًا﴾ قال: حين تنشط نفسه.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ النَّاشِطَاتِ: الْمَوْتُ يُنْشِطُ^(١) نَفْسَ الْإِنْسَانِ، قَالَه مُجَاهِدٌ^(٢).

وَالرَّابِعُ: النَّجُومُ تُنْشِطُ مِنْ أَفْقٍ إِلَى أَفْقٍ؛ أَي: تَذْهَبُ، قَالَه قَتَادَةُ^(٣)، وَأَبُو عُبَيْدَةَ^(٤)، وَالْأَخْفَشُ^(٥). وَيُقَالُ لِبَقَرِ الْوَحْشِ: نَوَاشِطٌ؛ لِأَنَّهَا تَذْهَبُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَالْهَمُومُ تَنْشِطُ بِصَاحِبِهَا^(٦). قَالَ هَمِيَانُ بْنُ قُحَافَةَ^(٧) [مَنْ الرِّجْزُ]:

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا

الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطًا^(٨)

(١) فِي الْأَصْلِ: تَنْشِطُ، وَالمُثَبِّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُ المَاورِدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٩٣ / ٦)، وَالبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤ / ٤٤٢)، وَابْنُ عَطِيَّةٍ فِي المَحَرَّرِ الوَجِيزِ (٥ / ٤٣٠) بِمَعْنَاهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ -كَمَا فِي الدَّرِّ المَشْهُورِ؛ لِلسَّيُوطِيِّ (٦ / ٥٠٩)-، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ١٨٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ قَالَ: النُّجُومُ.

(٤) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٤).

(٥) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي المَعَانِي، وَذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الكَشْفِ وَالبَيَانِ (٢٨ / ٣٦٨).

(٦) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٤).

(٧) هُوَ أَحَدُ بَنِي عَوَافَةَ بَنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، وَقِيلَ: أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ، رَاجِزٌ إِسْلَامِي أَنْظَرَ تَرْجَمَتَهُ فِي: المَوْتَلَفِ (ص: ١٩٧)، وَالسَّمْطِ (ص: ٥٧٢).

(٨) الرِّجْزُ لَهْمِيَانُ بْنُ قُحَافَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٤)، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٢٤ / ١٨٨)، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ (١١ / ٢١٥)، وَالصَّحَاحُ؛ لِلْجَوْهَرِيِّ (٣ / ١١٦٤)، وَالكَشْفُ وَالبَيَانُ؛ لِلثَّعْلَبِيِّ (٢٨ / ٣٦٩)، وَالنُّكْتُ وَالْعِيُونُ (٦ / ١٩٣)، وَالتَّفْسِيرُ البَسِيطُ؛ لِلوَاحِدِيِّ (٢٣ / ١٦٢).

والخامس: أَنَّهَا النَّفْس حين تنشط بالموت، قاله السُّدِّي^(١).

قوله تعالى: ﴿وَالنَّيْحَتِ سَبْعًا﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: أَنَّهَا الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، قاله علي^(٢).

قال ابنُ السَّائِب: يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ كَالَّذِي يَسْبِغُ فِي الْمَاءِ، فَأَحْيَانًا يَنْغِمِسُ، وَأَحْيَانًا يَرْتَفِعُ، يُسَلُّونَهَا سَلًّا رَفِيقًا، ثُمَّ يَدْعُونَهَا فَتُسْتَرِيعُ^(٣)^(٤).

والثاني: أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ مُسْرِعِينَ، كَمَا يُقَالُ لِلْفَرَسِ الْجَوَادِ: سَابِحٌ إِذَا أَسْرَعَ فِي جَرِيهِ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ^(٥)، وَالْفَرَّاءُ^(٦).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٨٧) من طريق شعبة عن السدي، عن ابن عباس ﴿وَالنَّيْحَتِ نَحْطًا﴾ قال: حين تنشط نفسه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣١٠) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٠٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٧٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٦٣)، والنحاس في إعراب القرآن (٥ / ١٤٠) ولم ينسبه، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٣١).

(٣) في (س)، و(م): حتى تستريح.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٧٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٦٣)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤١٨).

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٣٧٠ - ٣٧١)، والتفسير البسيط (٢٣ / ١٦٤)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤١٨). وقول مجاهد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة. وقول أبي صالح عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٩) إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٣٠)، وقد زاد الفراء في معانيه عبارة: مرَّ يمتطى. ذكر ذلك تفسيرا لقول العرب للفرس الجواد: إنه لسابح. ومعنى: مطَّه؛ أي مده؛ أي: مد في السير =



والثالث: أَنَّهُ الْمَوْتُ يَسْبَحُ فِي نفوس بني آدم، روي عن مجاهد أيضًا^(١).

والرَّابِع: أَنَّهَا السُّفُنُ تَسْبَحُ فِي الماء، قاله عطاء^(٢).

والخامس: أَنَّهَا النُّجُوم والشمس والقمر كُلٌّ فِي فَلَكٍ يسبحون، قاله قتادة^(٣)، وأبو عبيدة^(٤).

والسَّادس: أَنَّهَا الْخَيْلُ، حكاه الماوردي^(٥).

[٨٢١/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالسَّيِّفَتِ سَبْعًا﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ^(٦).

=انظر: مختار الصحاح (ص: ٦٢٧) مادة: (مطي).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٩ / ٢٤) من طريق وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالسَّيِّفَتِ سَبْعًا﴾ قال: الموت، هكذا وجدته في كتابي. وذكره مكِّي في الهداية (٨٠٢٢ / ١٢)، والماوردي في النكت والعيون (١٩٣ / ٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٩ / ٢٤) من طريق وكيع، عن واصل بن السائب، عن عطاء ﴿وَالسَّيِّفَتِ سَبْعًا﴾ قال: السفن. وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٧٢ / ٢٨)، والماوردي في النكت والعيون (١٩٣ / ٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٦٥ / ٢٣).

(٣) أخرجه عبد بن حميد - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٥٠٩ / ٦)، والطبري في تفسيره (١٨٩ / ٢٤) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿وَالسَّيِّفَتِ سَبْعًا﴾ قال: هي النجوم. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣٧١ / ٢٨).

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٤).

(٥) النكت والعيون (١٩٣ / ٦).

(٦) قال ذلك مجاهد، انظر: تفسير الطبري (١٩٠ / ٢٤) من طريق سفيان، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَالسَّيِّفَتِ سَبْعًا﴾ قال: الملائكة.

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا تَسْبِقُ الشَّيَاطِينَ بِالْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، قَالَه عَلِيٌّ عليه السلام، وَمَسْرُوقٌ ^(١).

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَأَبُو رَوْقٌ ^(٢).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا سَبَقَتْ بَنِي آدَمَ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَه الْحَسَنُ ^(٣).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا أَنْفُسُ الْمُؤْمِنِينَ تَسْبِقُ الْمَلَائِكَةَ؛ شَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ، فَيَقْبِضُونَهَا وَقَدْ عَايَنْتِ السُّرُورَ، قَالَه ابْنُ مَسْعُودٍ ^(٤).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الْمَوْتُ يَسْبِقُ إِلَى النَّفُوسِ، رَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا ^(٥).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا الْخَيْلُ، قَالَه عَطَاءٌ ^(٦).

وَالْخَامِسُ: أَنَّهَا النُّجُومُ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ، قَالَه قَتَادَةُ ^(٧).

(١) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُمَا الْمَاورِدِي فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ١٩٣)، وَذَكَرَهُ أَيْضًا الْوَاحِدِي فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣ / ١٦٦)، وَعَزَا الْقَوْلَ إِلَى الْفَرَاءِ وَالزَّجَاجِ، انْظُرْ: مَعَانِي الْقُرْآنِ؛ لِلْفَرَاءِ (٣ / ٢٣٠)، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ؛ لِلزَّجَاجِ (٥ / ٢٧٨).

(٢) هَذَا الْقَوْلُ عَزَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٨ / ٣٧٢) وَالْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٢٥) إِلَى مِقَاتِلَ، وَالْقَوْلُ الْمَعْزُورُ إِلَى مُجَاهِدٍ وَأَبِي رَوْقٍ هُوَ: سَبَقَتْ ابْنُ آدَمَ بِالْخَيْرِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

(٣) ذَكَرَهُ الْمَاورِدِي عَنْهُ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ١٩٣).

(٤) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٨ / ٣٧٣)، وَالْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٢٥).

(٥) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ قَرِيبًا.

(٦) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ قَرِيبًا.

(٧) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُدْرِتِ أَمْرًا﴾.

قال ابن عباس: هي الملائكة^(١). قال عطاء: وكَلَّتْ بِأُمُورِ عَرَفَهُمُ اللَّهُ الْعَمَلَ بِهَا^(٢).

وقال عبد الرحمن بن سابط: يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا أَرْبَعَةُ أَمْلَاحٍ^(٣): جبريل، وهو مُوَكَّلٌ بِالرِّيَّاحِ وَالْجُنُودِ. وميكائيل: وهو مُوَكَّلٌ بِالْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ. ومَلَكُ الْمَوْتِ: وهو مُوَكَّلٌ بِقَبْضِ الْأَنْفُسِ. وإِسْرَافِيلُ: وهو يَنْزِلُ بِالْأَمْرِ عَلَيْهِمْ. وقيل: بل جبريل للوحي، وإِسْرَافِيلُ لِلصُّورِ^(٤).
وقال ابن قتيبة: ﴿فَالْمُدْرِتِ أَمْرًا﴾: تَنْزِلُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ^(٥).

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٨٧) (٣٤٧٦)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ١٩٠) من طريق سعيد، عن قتادة.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ١٦٩)، والتفسير الوسيط (٤/ ٤١٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٢٥).

(٣) ليست في (س).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٢٤) (١١) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عمرو بن سابط، ومن طريقه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٣٧٤). وأخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٧٧) (١٥٨) من طريق علي بن عبد العزيز، ثنا أبو نعيم، به.

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٠٨) (٣٧٦) عن سفيان بن عيينة، عن علقمة بن مرثد، (٣/ ٨١٠) (٣٧٨) عن أبي حذيفة - واسمه موسى بن مسعود النهدي، صدوق، سعي الحفظ، كان يصحف - عن سفيان، عن أبيه، كلاهما عن عبد الرحمن بن سابط، بنحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١١) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره أيضًا في الحباثك في أخبار الملائك (ص: ٢٢٠) (٨١٣)، و(ص: ١٨) (٢٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥١٢).

فإن قيل: أين جواب هذه الأقسام، فعنه جوابان:

أحدهما: أن الجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾، قاله مقاتل^(١).

والثاني: أن الجواب مُضمَّر، تقديره: لتُبْعَثَنَّ ولتُحَاسَبَنَّ، ويدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿أَوَ ذَا كُنَّا عِظَمًا خِشْرَةً﴾، قاله الفراء^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: وهي النَّفْخَةُ الأولى التي يموت منها جميعُ الخلائق.

و«الرَّاجِفَةُ»: صيحةٌ عظيمةٌ فيها تردُّدٌ واضطرابٌ كالرَّعد إذا تمحض.

و«ترجف» بمعنى: تتحرك حركةً شديدةً.

﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: وهي النَّفْخَةُ الثانيةُ ردفَت الأولى؛ أي: جاءت بعدها. وكلُّ شيء جاء بعد شيء فهو يرُدُّفه.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾؛ أي: شديدةُ الاضطراب لما عاينت من أهوال القيامة. ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ لمعاينة النَّارِ.

قال عطاء: وهذه أبصارٌ من لم يمُت على الإسلام^(٣).

ويدلُّ على هذا أنه ذكر منكري البعث؛ فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَأَنَّا

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥٥٧).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٣١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ١٧٥) عن ابن عباس، وفي التفسير الوسيط

(٤/ ٤١٩) عن عطاء.

لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١﴾ قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ: «أُنَّا» بِهَمْزَيْنِ مُخَفَّفَتَيْنِ^(١) عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِتَخْفِيفِ^(٢) الْأُولَى وَتَلْيِينِ الثَّانِيَةِ، وَفَصَلَ بَيْنَهُمَا بِالْفِ نَافِعٌ وَأَبُو عُمَيْرٍ^(٣).

وَفِي مَعْنَى الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْحَافِرَةَ الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَالْمَعْنَى: أَتَرْجِعُ أَحْيَاءٌ بَعْدَ مَوْتِنَا؟ وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤)، وَعُطِيَّةَ^(٥)، وَالسُّدِّيَّ^(٦).

قَالَ الْفَرَّاءُ: يَغْنُونُ: أُنَرِّدُ إِلَى أَمْرِنَا الْأَوَّلِ إِلَى الْحَيَاةِ؟ وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَتَيْتُ فُلَانًا، ثُمَّ رَجَعْتُ عَلَى حَافِرَتِي؛ أَيِ: رَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ^(٧).

(١) فِي (س): مُحَقَّقَتَيْنِ.

(٢) فِي (س): بِتَحْقِيقِ.

(٣) اخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي (أُنَّا) (أَيْدَا): فَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (إِنَّا) بِالْإِخْبَارِ (أَيْدَا) بِالْإِسْتِفْهَامِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكَسَائِيُّ، وَيَعْقُوبُ: (أُنَّا) بِالْإِسْتِفْهَامِ، (إِذَا) بِالْإِخْبَارِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالْإِسْتِفْهَامِ فِيهِمَا، فَكُلٌّ مِّنْ اسْتِفْهَامٍ، فَهُوَ عَلَى أَصْلِهِ مِنْ تَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَالتَّسْهِيلِ وَإِدْخَالِ الْأَلِفِ. انْظُرْ: السَّبْعَةُ؛ لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٦٧٠)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ١٣٢)، وَتَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ (٤ / ٥٤٩)، وَالنَّشْرُ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرُ؛ لِابْنِ الْجَزَرِيِّ (١ / ٣٧٣ - ٣٧٤).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ١٩٤) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ١٩٤) مِنْ طَرِيقِ عُطِيَّةِ الْعُوفِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿أَيُّنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يَقُولُ: أُنَّا لَنَحْيَا بَعْدَ مَوْتِنَا، وَنَبْعَثُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا.

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ١٩٤) مِنْ طَرِيقِ مَهْرَانَ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ السُّدِّيِّ ﴿أَيُّنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قَالَ: فِي الْحَيَاةِ.

(٧) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣ / ٢٣٢).

قال أبو عبيدة: يُقال: رجع فلانٌ في حافرتِهِ، وعلى حافرتِهِ؛ إذا رجع من حيثُ جاء^(١)، وهذا قولُ الزَّجاج^(٢).

والثاني: أنَّها الأرضُ التي تحفر فيها قبورهم، فسُمِّيت حافرةً، والمعنى: محفورة، كما يقال: ﴿مَلَأْ دَافِي﴾ [الطارق: ٦]، و﴿عِشَّةً رَاضِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١]، [٨٢٢/أ] وهذا قولُ مجاهد^(٣)، والخليل^(٤)، فيكون المعنى: أننا لمردودون إلى الأرض خلقًا جديدًا؟

قال ابن قتيبة: «في الحافرة»؛ أي: إلى أوَّل أمرنا^(٥). ومَن فسرَّها: الأرض^(٦): فإلى هذا يذهب، لأنَّا منها بُدِّئنا، قال الشاعر [من الوافر]:
أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْهِ وَعَارٍ^(٧)

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٩٥) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال: الأرض، نبعث خلقًا جديدًا.

(٤) العين (٣/ ٢١٢).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥١٣).

(٦) في (م): بالأرض.

(٧) البيت بلا نسبة في إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص: ٢١٢)، وأدب الكاتب (ص: ٤١٥)، وغريب القرآن (ص: ٥١٣)، ومجالس ثعلب (ص: ١٠٦)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ١٩٣)، والزاهر (١/ ٣٦١).

كَأَنَّهُ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ فِي شَبَابِي مِنَ الْغَزَلِ وَالصَّبَا [بَعْدَ مَا شَبْتُ وَصَلَعْتُ] ^(١)؟

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْحَافِرَةَ: النَّارُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَءَاذُكُنَا وَعَظْمًا نَخْرَةً﴾ وَقَرَأَ حَمْزَةً، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «نَاخِرَةً» ^(٣).

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي اللُّغَةِ؛ مِثْلُ: طَمِعَ، وَطَامِعٌ. وَحَذِرَ، وَحَازِرٌ ^(٤). وَقَالَ الْأَخْفَشُ: هُمَا لُغَتَانِ ^(٥).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: نَخَرَ الْعَظْمُ يَنْخَرُ، فَهُوَ نَخْرٌ؛ مِثْلُ: عَفَنَ الشَّيْءُ، يَعْفَنُ، فَهُوَ عَفْنٌ. وَنَاخِرَةٌ عَلَى مَعْنَى: عِظَامًا فَارِغَةً، يَجِيءُ فِيهَا مِنْ هُبُوبِ الرِّيحِ كَالنَّخِيرِ ^(٦).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَالْمُرَادُ: أَتَمُّ أَنْكُرُوا الْبَغْثَ، وَقَالُوا: نُردُّ أَحْيَاءَ إِذَا مِتْنَا وَبَلَيْتْ عِظَامُنَا ^(٧)؟

(١) مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفِينَ سَاقِطٌ مِنَ الْأَصْلِ، وَالثَّبْتُ مِنْ (س)، وَ(م).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ١٩٥) مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿أَءَاذُكُنَا وَعَظْمًا نَخْرَةً﴾ قَالَ: الْحَافِرَةُ: النَّارُ.

(٣) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: السَّبْعِيَّةُ؛ لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٦٧٠)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ٢١٩)، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ (٤ / ٥٤٩).

(٤) ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥) قَوْلُهُ لَيْسَ فِي الْمَعْنَى، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣ / ١٧٩).

(٦) مَعْنَى الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٢٧٩).

(٧) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣ / ١٨١)، وَالتَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ (٤ / ٤١٩).

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: إن رُدِّدنا بعد الموتِ لَنُخْسِرَنَّ بِمَا يُصَيِّنَا مِمَّا يَعِدُنَا بِهِ مُحَمَّدٌ، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ بِسُهولةِ البُعْثِ عليه؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ يغني: النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ ﴿رَجْرَجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ أي: صِيْحَةٌ فِي الصُّورِ يَسْمَعُونَهَا مِنْ إِسْرَافِيلَ وَهُمْ فِي بَطُونٍ^(١) الْأَرْضِ فَيُخْرِجُونَ.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّ السَّاهِرَةَ: وَجْهُ الْأَرْضِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَمَجَاهِدٌ^(٣)، وَعُكْرَمَةٌ^(٤)، وَالضَّحَّاكُ^(٥)، وَاللُّغَوِيُّونَ.

قال الفَرَّاءُ: كَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِهَذَا الْأَسْمِ؛ لِأَنَّ فِيهَا نَوْمَ الْحَيَوَانِ وَسَهَرَهُمْ^(٦).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ جَبَلٌ عِنْدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَهُ وَهْبُ بْنُ مَنْبَهٍ^(٧).

(١) ليست في (م).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٩٦).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٧٠٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٩٨) من طريق عُمارة بن أبي حفصة، عن عُكْرَمَةٍ، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: فإذا هم على وجه الأرض.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٩٨) من طريق عبيد، قال: سمعت الضحَّاك يقول في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ وجه الأرض.

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٣٢).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٩٩) من طريق حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أبو سنان، عن وهب بن منبه، قال في قول الله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: الساهرة: جبل إلى جنب بيت المقدس.



والثالث: أَنَّهَا جَهَنَّمُ، قاله قتادة^(١).

والرابع: أَنَّهَا أَرْضُ الشَّامِ، قاله سُفْيَانُ^(٢).

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَخَسَهَا فَنَوَّهَا ﴿٢٨﴾ وَاعْطَشَ لِّلْهَامَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لِّكُمُورًا وَأَتَّعَمَّكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ١٥ - ٣٣].

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؛ أي: قد جاءك. وقد بيَّنَّا هذا في «طه»، وما بعده إلى قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ ﴿أَذْهَبَ﴾ ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «طوى اذْهَبَ» غير مجرأة^(٣). وقرأ الباقيون: «طوى» منونة^(٤).

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَى﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع: «تركى» بتشديد الزاي^(٥)؛ أي: تطهر من الشرك.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٩٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: في جهنم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ١٩٩) من طريق مهران، عن سُفْيَانِ ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: أرض بالشام.

(٣) يعني: التنوين، وهو لابن عامر والكوفيين، وعدمه للباقيين.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٧١).

(٥) قراءة سبعة، انظر: السبعة (ص: ٦٧١).

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾؛ أي: أذعوك إلى توحيدِهِ وعبادَتِهِ ﴿فَنَخْشِي﴾ عَذَابَهُ
﴿فَأَرَاهُ آيَةَ الْكِبَرَى﴾ وفيها قولان:

أحدهما: أنَّها اليد والعصا، قاله جمهورُ المفسِّرينَ.

والثاني: أنَّها اليد، قاله الزَّجَّاجُ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ﴾؛ أي: بأتَّها من الله ﴿وَعَصَى﴾ نبيِّه ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾؛
أي: أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿يَسْتَعِ﴾؛ أي: يَعمَلُ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴿فَحْشَرَ﴾؛
أي: فَجَمَعَ قَوْمَهُ وَجُنُودَهُ ﴿فَنَادَى﴾ لَمَّا اجْتَمَعُوا ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾؛ أي: لَا
رَبَّ فَوْقِي، وقيل: أَرَادَ أَنَّ الْأَصْنَامَ أَرْبَابٌ، وَأَنَا رَبُّهَا وَرَبُّكُمْ. وقيل: أَرَادَ:
أَنَا رَبُّ السَّادَةِ وَالْقَادَةِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّ الْأُولَى قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الفصل: ٣٨]،
وَالْآخِرَةُ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ قاله ابن عباس^(٢)، وعكرمة^(٣)، والشَّعْبِيُّ^(٤)،

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٠٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس،
قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: أما الأولى فحين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِي﴾، وأما الآخرة فحين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾.

(٣) أخرجه أبو القاسم تمام في فوائده (١ / ٣٤٦) (٨٨٨) من طريق عبد الأعلى بن عبد
الأعلى، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٠٤) من طريق أبي عوانة، عن إسماعيل الأسدي،
عن الشعبي.

ومقاتل^(١)، والفرّاء^(٢). ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد^(٣).

قال ابنُ عباسٍ: وكان بينهما أربعون سنة^(٤). قال السُّدي: فبقي بعد الآخرة ثلاثين سنة^(٥).

قال الفرّاء: فالمعنى: أخذه الله أخذًا نكالًا للآخرة والأولى^(٦). [٨٢٢/ب]

والثاني: [أنَّ]^(٧) المعنى: جعله الله نكال الدنيا والآخرة، أغرقه في الدنيا، وعذّبه في الآخرة، قاله الحسنُ، وقادة^(٨).

وقال الربيع بن أنس: عذّبه الله في أوّل النهار بالغرق، وفي آخره بالنار^(٩).

والثالث: أنَّ الأولى: تكذيبه وعصيانُه، والآخرة قوله: ﴿أَنَارَكُمْ أَغْلَى﴾، قاله أبو رزين^(١٠).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥٧٧).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٣٣).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٧٠٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٣)، وتمام في فوائده (١/ ٣٤٦) (٨٨٨).

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٩٨).

(٦) معاني القرآن (٣/ ٢٣٣).

(٧) من (س).

(٨) ذكره عنهما الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٤٢٠)، والبغوي في معالم التنزيل

(٤/ ٤٤٤) بمعناه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٠٩) إلى عبد بن حميد، وابن

المنذر عن الحسن. وانظر: تفسير الحسن البصري (٢/ ٣٩٥).

(٩) ذكره الماوردي عنه في النكت والعيون (٦/ ١٩٨) بنحوه.

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٥) من طريق سفيان، عن إسماعيل بن سميع، =

والرَّابِع: أَنَّهَا أَوَّلُ أَعْمَالِهِ، وَآخِرُهَا، رَوَاهُ مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ^(١).

قَالَ الرَّجَّاجُ: النَّكَالُ: مَنْصُوبٌ، مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى أَخَذَهُ اللَّهُ: نَكَلَ اللَّهُ بِهِ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى: فَأَعْرَفَهُ فِي الدُّنْيَا وَيُعَذِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلَ بِفِرْعَوْنَ ﴿لَعِبْرَةً﴾؛ أَي: لِعِظَةٍ^(٣) ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾.

ثُمَّ خَاطَبَ مُنْكَرِي الْبَعْثِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٤) رَفَعَ ﴿قَالَ الرَّجَّاجُ: ذَهَبَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَنَاهَا﴾ مِنْ صِفَةِ^(٥) السَّمَاءِ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَمِ السَّمَاءُ الَّتِي بَنَاهَا.

وَقَالَ قَوْمٌ: السَّمَاءُ لَيْسَ مِمَّا يُوَصَّلُ، وَلَكِنْ الْمَعْنَى: أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا، أَمِ السَّمَاءُ أَشَدُّ خُلُقًا^(٥).

= عَنْ أَبِي رَزِينٍ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قَالَ: الْأُولَى تَكْذِيبُهُ وَعَصْيَانُهُ، وَالْآخِرَةُ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾^(١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَتَعَنَّ^(٢) فَحَشَرَ فَنَادَى^(٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿فَهِيَ الْكَلِمَةُ الْآخِرَةُ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٠٥) مِنْ طَرِيقِ سَفِيَّانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قَالَ: أَوَّلُ أَعْمَالِهِ وَآخِرُهَا.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٢٨٠).

(٣) فِي (س): عِظَةٌ.

(٤) فِي الْمَعَانِي: صَلَةٌ.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٢٨٠).

ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفَ خَلَقَهَا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَنَاهَا﴾ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: أَخْلَقَكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدَّ عِنْدَكُمْ، أَمْ السَّمَاءُ فِي تَقْدِيرِكُمْ؟ وَهِيَ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَاحِدٌ^(١).

وَمَعْنَى «بَنَاهَا»: رَفَعَهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ فَوْقَ شَيْءٍ فَهُوَ بِنَاءٌ.

وَمَعْنَى ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾: رَفَعَ ارْتِفَاعَهَا وَعُلُوَّهَا فِي الْهَوَاءِ. ﴿فَتَوَنَّهَا﴾: بَلَائُ شُقُوقٍ، وَلَا فُطُورٍ، وَلَا تَفَاوُتٍ، يَرْتَفِعُ فِيهِ^(٢) بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أَيُّ: أَظْلَمَهُ فَجَعَلَهُ مُظْلِمًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: غَطَشَ اللَّيْلُ وَأَغْطَشَ، وَغَبَشَ وَأَغْبَشَ، (وَعَبَسَ وَأَغْبَسَ)^(٣)، وَغَسَقَ وَأَغْسَقَ، وَغَشِيَ وَأَغْشَى، كُلُّهُ بِمَعْنَى أَظْلَمَ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أَيُّ: أَبْرَزَ نَهَارَهَا. وَالْمَعْنَى: أَظْهَرَ نَوْرَهَا بِالشَّمْسِ. وَإِنَّمَا أَضَافَ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ إِلَى السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهَا^(٥) عَنْهَا يَصْدُرَانِ.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أَيُّ: بَعْدَ خُلُقِ السَّمَاءِ ﴿دَحَنَاهَا﴾: أَيُّ: بَسَطَهَا، وَبَعْضُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ يَزْعُمُ أَنَّ «بَعْدَ» هَاهُنَا بِمَعْنَى: «قَبْلَ»؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هِيَ بِمَعْنَى: «مَعَ»؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عُتِلَ

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٩١)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤٢٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٢٩).

(٢) في (م): فيها.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (م).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٠) اقتصر فيه على المعنى فقط دون هذه التصاريف.

(٥) في الأصل: لأنها، والمثبت من سائر النسخ.

بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٣﴾ [القلم: ١٣]، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ دُحِيتْ بَعْدَ كَمَالِ السَّمَاءِ، وَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى هَذَا الْخِلَافِ فِي الْبَقَرَةِ [آية: ٢٩]، وَنُصِبَتْ «الْأَرْضُ» بِمُضْمَرِ نَفْسِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿دَحَّهَا﴾.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾؛ أَي: فَجَّرَ الْعُيُونَ مِنْهَا ﴿وَمَرَعَهَا﴾ وَهُوَ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ.

﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَنَهَا﴾ قَالَ الرَّجَّاجُ: أَي: أَثْبَتَهَا ﴿مَنْعًا لَكُمْ﴾؛ أَي: لِلْإِمْتَاعِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾: أَمْتَعَ بِذَلِكَ^(١). وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿مَنْعًا لَكُمْ﴾؛ أَي: مُنْفَعَةً لَكُمْ^(٢).

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (٣١) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَتُرْزَقُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ (٤٠) وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٢) يَتْلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا (٤٣) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا (٤٤) إِلَى رَبِّكَ مُنْهَنَهَا (٤٥) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا (٤٦) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿[النَّازِعَات: ٣٤ - ٤٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ وَالطَّامَّةُ: الْحَادِثَةُ الَّتِي تَطْمَعُ عَلَى مَا سِوَاهَا؛ أَي: تَعْلُو فَوْقَهُ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨١).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥١٣).

وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي فِيهَا الْبُعْثُ^(١).

والثَّانِي: أَنَّهَا حِينَ يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: قَوْمُوا إِلَى النَّارِ^(٢).

والثَّالِث: أَنَّهَا حِينَ يُسَاقُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾؛ أَي: مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾؛ أَي: لِأَبْصَارِ النَّاظِرِينَ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: يُكْشَفُ عَنْهَا الْغِطَاءُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا الْخَلْقُ^(٤).

وَقَرَأَ أَبُو مَجْلَزٍ، وَابْنُ السَّمِيعِ: «لِمَنْ تَرَى» بِالتَّاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ^(٥)،

وَمَعَاذُ، الْقَارِئُ: «لِمَنْ رَأَى» بِهَمْزَةٍ بَيْنَ الرَّاءِ وَالْأَلْفِ^(٦). [٨٢٣/أ]

(١) وهذا قول مقاتل، ومروى أيضاً عن ابن عباس. انظر: تفسير مقاتل (٤/ ٥٧٨)، والتفسير البسيط (٢٣/ ١٩٧).

(٢) وهذا قول نعيم النحوي، كما أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (ص: ١٣٠) (٢٠٦) من طريق يحيى بن يحيى، عن نعيم النحوي قال: سمعت في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ قال: إذا قيل لهم: قوموا إلى النار.

(٣) وهذا قول القاسم بن الوليد، كما أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٧/ ٢١١) (٣٥٤١٨)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢١١) من طريق مالك بن مغول، عن القاسم بن الوليد ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ قال: حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٥٧٩)، وذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٤٢١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٣٠).

(٥) في (م): ابن عباس.

(٦) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٥٠)، والشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥٠٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ فِي كَفَرِهِ ﴿وَأَنزَلْنَاهُ الدُّنْيَا﴾ عَلَى الْآخِرَةِ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ قَالَ الرَّجَّاجُ: أَي: هِيَ الْمَأْوَى لَهُ، وَهَذَا جَوَابُ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ فَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ [آيَةُ: ٤٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أَي: عَمَّا تَهْوَى مِنَ الْمَحَارِمِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: هُوَ الرَّجُلُ يَهْتَمُّ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَذْكُرُ مَقَامَهُ لِلْحِسَابِ فَيَتْرَكُهَا ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتُلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قَدْ سَبَقَ فِي الْأَعْرَافِ [آيَةُ: ١٨٧]. ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ أَي: لَسْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا. وَالْمَعْنَى: إِنَّكَ لَا تَعْلَمُهَا ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ أَي: مَتَهَى عِلْمُهَا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: «مُنْذِرٌ» بِالتَّنْوِينِ ^(٣).

وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّمَا أَنْتَ مَخَوِّفٌ مَّنْ يَخَافُهَا. وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارَكَ مَنْ يَخَافُهَا وَهُوَ الْمُؤْمِنُ بِهَا. وَأَمَّا مَنْ لَا يَخَافُهَا فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْذَرْ.

﴿كَانَتْهُمْ﴾ يَعْنِي: كَفَّارَ قَرِيشٍ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أَي: يُعَايِنُونَ الْقِيَامَةَ ﴿لَوْ يَلْبَسُوا﴾ فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: فِي قُبُورِهِمْ ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ أَي: قَدْ رَأَى آخِرَ النَّهَارِ مِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ، أَوْ أَوَّلَهُ إِلَى أَنْ تَرْتَفَعَ الشَّمْسُ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨١).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٥٨٠)، وذكره الواحدي عنه في التفسير البسيط (٢٣ / ٢٠١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٣٠).

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر في القراءات العشر (٢ / ٣٩٨).

قال الزَّجَّاج: والهاء والألف في «ضحاها» عائِدَان إلى العِشِيَّة^(١).
والمعنى: إلا عِشِيَّة أو ضحى العِشِيَّة. قاله الفراء^(٢).
فإن قيل: للعِشِيَّة ضحى، إنَّما الضُّحى لصدر النَّهار؟

فالجواب: أنَّ هذا ظاهرٌ في كلام العرب أن يقولوا: آتَيْكَ العِشِيَّةَ،
أو غداً، أو آتَيْكَ الغدا، أو عِشِيَّتْهَا، فتكون العِشِيَّةُ في معنى: «آخر»،
والغدا في معنى: «أول»، أنشدني بعض بني عقيل [من الرجز]:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا

عِشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا^(٣)

أراد: عِشِيَّة الهلال، أو عِشِيَّة سرار العِشِيَّة، فهذا أشدُّ من قولهم:
آتَيْكَ الغداً أو عِشِيَّتْهَا.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٢).

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٣٤).

(٣) الرجز لبعض بني عقيل في معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٣٤)، والكشف والبيان؛ للشعلبي (٢٨ / ٤١٠)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (٢٤ / ٢١٤)، والأزمنة والأمكنة؛ للمرزوقي (ص: ٢٩٧).

سُورَةُ عَبَسَ

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يُخْتَى (٩) فَانْتَ عِنْدَ اللَّهِ (١٠) كَلَّا إِنَّمَا نَذْكِرُكَ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١ - ١٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا يُنَاجِي عْتَبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ، وَأَبَا جَهْلٍ بِنَ هِشَامٍ، وَأُبَيَّ وَأُمَيَّةَ ابْنَيْ^(٢) خَلْفٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَرْجُو إِسْلَامَهُمْ، فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، فَقَالَ عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَجَعَلَ يُنَادِيهِ، وَيَكْرُرُ النِّدَاءَ، وَلَا يَذْهَبُ أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ

(١) قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزَّبِيرِ: ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْرَجَ ابْنُ الضَّرِيرِ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ (ص: ٣٤)، وَالنَّحَّاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ (٣/ ١٣٢)، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ - كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ؛ لِلْسَّيُوطِيِّ (٦/ ٥١٧)، وَابْنُ هَيْكَلٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٧/ ٣٤٢ - ٣٤٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ عَبَسَ بِمَكَّةَ. ابْنُ الزَّبِيرِ: أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ - كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ؛ لِلْسَّيُوطِيِّ (٦/ ٥١٧) - عَنْ ابْنِ الزَّبِيرِ مِثْلَهُ.
(٢) وَحَكَى ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ (٥/ ٤٣٦)، وَالبَقَاعِيُّ فِي مَصَاعِدِ النَّظَرِ (٣/ ١٥٦) الْإِجْمَاعَ عَلَى مَكِّيَّتِهَا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: ابْنُ، وَالثَّبُوتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

بكلام غيره، حتَّى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ، لَقَطَعَهُ كَلَامَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ يُكَلِّمُهُمْ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْرِمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: مُرَحَّبًا بِمَنْ عَاتَيْنِي فِيهِ رَبِّي^(١).

وَذَهَبَ قَوْمٌ مِنْهُمْ مُقَاتِلٌ^(٢) إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ لِيُؤْمِنَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ اسْتِغَالًا بِالرُّؤْسَاءِ، فَتَزَلَّتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَاتِ.

وَمَعْنَى «عَبَسَ»: قَطَّبَ وَكَلَحَ. «وَتَوَلَّى»: أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾ أَي: لِأَن جَاءَهُ.

وَقَرَأَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَالْحَسَنُ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَأَبُو عِمْرَانَ: «أَنْ جَاءَهُ» بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ مَفْتُوحَةٍ مَمْدُودَةٍ^(٣). وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ السَّمِيعَةِ: «أَنَّ» بِهَمْزَتَيْنِ مَقْصُورَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ^(٤).

و﴿الْأَعْمَى﴾: هُوَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَاسْمُهُ: عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ. وَقِيلَ:

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٣١)، وَالتَّطَبَّرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢١٧)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٢ / ٥٥٨)، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. وَأَبُو يَعْلَى فِي الْمُسْنَدِ (٨ / ٢٦١) (٤٨٤٨)، وَعَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٤٧١) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْأُمَوِيِّ، عَنْ أَبِيهِ. وَأَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ (٢٧١)، وَابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ، كَمَا فِي الْإِحْسَانِ (٢ / ٢٩٣ - ٢٩٤) (٥٣٥)، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ سُلَيْمَانَ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى (٤ / ٢٠٨) عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ مَرْسَلًا. رَجَعَ الذَّهَبِيُّ إِرْسَالَهُ.

(٢) تَفْسِيرُ مَقَاتِلِ (٤ / ٥٨٩).

(٣) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، انْظُرْ: الْمُحْتَسِبُ (٢ / ٣٥٢)، وَالشَّوَاذُ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (٥٠٣).

(٤) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، انْظُرْ: الْبَحْرُ الْمَحِيطُ (٨ / ٤٢٧).

اسمُهُ: عبد الله بن عمرو^(١).

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾؛ أي: يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وما [٨٢٣/ب] يتعلَّمه منك. وقال مُقَاتِلٌ: لَعَلَّهُ يُؤْمِنُ^(٢).

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾؛ أي: يَتَعَبَّطُ بِمَا يَتَعَلَّمُهُ مِنَ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ. ﴿فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ قرأ حفص عن عاصم: «فَنَنْفَعُهُ» بفتح العين، والباقون: برفعها^(٣). قال الزَّجَّاج: مَنْ نَصَبَ؛ فعلى جواب «لَعَلَّ»، وَمَنْ رَفَعَ؛ فعلى العطف على «يَزَكِّي»^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى﴾ قال ابنُ عَبَّاسٍ: اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِمَالِهِ^(٥).

قال مجاهد: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى﴾: عتبه وشيية^(٦). ﴿فَأَن تَصَدَّى﴾ قرأ ابنُ كثير، ونافع: «تَصَدَّى» بتشديد الصَّاد.

وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تَصَدَّى»

(١) انظر: تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١١)، الطبقات الكبرى (٤/ ٢١٢)، أسد الغابة ترجمة: (٢٩٤٥)، الاستيعاب ترجمة: (١٥٥٠).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٥٩٠).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨٣).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٢١٣) وعزاه إلى الكلبي. وعزاه البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٤٤٧) عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٢٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى﴾ قال: عتبه بن ربيعة، وشيية بن ربيعة.

بفتح التَّاء والصَّادِ وتخفيفها^(١).

وقرأ أبو بِنُ كَعْبٍ، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار: «تَصَدَّى»
بتاءَيْنِ مع تخفيف الصَّادِ^(٢).

قال الزَّجَّاجُ: الأصل: تصدى، ولكن حُذفت التَّاءُ الثانية؛ لاجتماع
تاءَيْنِ. ومَنْ قرأ: «تصدى» بإدغام التَّاءِ، فالمعنى أيضًا: تصدى، إلا أن
التَّاءَ أدغمت في الصَّادِ؛ لِقُرْبِ مَخْرَجِ التَّاءِ مِنَ الصَّادِ^(٣).

قال ابنُ عَبَّاسٍ: «تصدى»: تُقبل عليه بوجهك^(٤). وقال ابنُ قُتَيْبَةَ:
تَعَرَّضَ [له] ^(٥)^(٦).

وقرأ ابنُ مَسْعُودٍ، وابنُ السَّمِيعِ، والحدادي: «تَصَدَّى» بتاءٍ واحدةٍ
مضمومة، وتخفيف الصَّادِ^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ عليك في أن لا يسلمَ مَنْ تدعوه
إلى الإسلام؟ يعني: أنَّه ليس عليه إلا البلاغ.
قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ فيه قولان:

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (٢٢٠).

(٢) قراءة شاذة، انظر: إعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (٢/ ٦٧٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨٣ - ٢٨٤).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٢١٣) وعزاه إلى مقاتل والكلبي.

(٥) من (س).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥١٤)، وفيه: تعرَّض، بدل: تعرَّض.

(٧) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٥٢).

أحدهما: يَمْشِي^(١).

والثاني: يعمل في الخير، وهو ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ^(٢).

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وطلحة بن مُصَرِّف، وأبو الجوزاء: «تَلَهَّى» بتاءين^(٣).

وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ السَّمِيعِ، والجدري: «تَلَهَّى» بتاءٍ واحدةٍ خفيفة مرفوعة^(٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: أي: تَشَاغَلَ عَنْهُ. يُقال: لَهَيْتَ عَنِ الشَّيْءِ أَهْلَهُ عَنْهُ؛ إذا تشاغلت عنه^(٥).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا تفعل ذلك. ﴿إِنَّمَا﴾ في المكني عنها قولان:

أحدهما: آيات القرآن، قاله مقاتل^(٦).

والثاني: هذه السُّورة، قاله الفراء^(٧).

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٤٢١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٣٦)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٣٧).

(٢) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٥٤٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٢١٥) وعزاه إلى ابن عباس ومقاتل والكلبي.

(٣) قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٦٩)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٠٣)، والبحر المحيط (٨ / ٤٢٨).

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢ / ٣٥٢)، والبحر المحيط (٨ / ٤٢٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٤).

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٥٩١).

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٣٦).

«والتَّذْكَرَةُ» بمعنى: التذكير. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ مفسَّر في آخر المدثر [آية: ٥٥]، ثم أخبر بجلالة القرآن عنده؛ فقال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي: هو في صحفٍ؛ أي: في كُتُبٍ مَّكْرَمَةٍ.

وفيها قولان:

أحدهما: أنَّها اللُّوحُ المَحْفُوظُ، قاله مُقاتِلٌ^(١).

والثاني: كُتُبُ الأنبياء، ذكره الثعلبي^(٢).

فعلى هذا يكون^(٣) معنى «مرفوعة»: عالية القدر. وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء.

وفي معنى «المطهرة»^(٤) أربعة أقوال:

أحدها: مُطَهَّرَةٌ من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن^(٥).

والثاني: مُطَهَّرَةٌ مِنَ الشُّرْكِ والكفر، قاله مُقاتِلٌ^(٦).

والثالث: لَأَنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، قاله الفراء^(٧).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٥٩١).

(٢) الكشف والبيان (٢٨ / ٤٢٣).

(٣) في (س): تكون.

(٤) في (س): مطهرة.

(٥) ذكره القرطبي عنه في تفسيره (١٩ / ٢١٦).

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٥٩١).

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٣٦).

وَالرَّابِعُ: مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ، قَالَه يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِي سَفَرٌ﴾ فِيهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ، قَالَه الْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَه وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ^(٢).

وَفِي مَعْنَى سَفَرَةٍ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الْكُتَبَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣)، وَمَجَاهِدٌ^(٤)، وَأَبُو عُبَيْدَةَ^(٥)،
وَابْنُ قَتِيْبَةَ^(٦)، وَالزَّجَّاجُ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَاحِدُهُمْ: سَافِرٌ، وَسَفَرَةٌ؛ مِثْلُ: كَاتِبٌ، وَكُتَبَةٌ، وَكَافِرٌ
وَكُفْرَةٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْكِتَابِ: سَفَرَةٌ، وَلِلْكَاتِبِ: سَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَبَيِّنُ [٨٢٤/أ]

(١) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٠٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٨ / ٤٢٦) مِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ
الصَّمَدِ بْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمِّي وَهْبَ بْنَ مَنبَهٍ يَقُولُ: ﴿يَأْتِي سَفَرٌ﴾ قَالَ: هُمْ
أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ - كَمَا فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ؛ لِلْسَّيْوَتِيِّ (٦ / ٥١٩) -، وَذَكَرَهُ
النَّحَّاسُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ (٥ / ١٥١)، وَالزُّنْجَشَرِيُّ فِي الْكُشَافِ (٦ / ٣١٥) وَلَمْ يَنْسِبْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٢١) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي
قَوْلِهِ: ﴿يَأْتِي سَفَرٌ﴾ يَقُولُ: كُتَبَةٌ.

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٨ / ٤٢٤)، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ
(٢ / ٣٤٨) عَنْ قَتَادَةَ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ؛ لِلْسَّيْوَتِيِّ (٦ / ٥١٩).

(٥) مِجَازُ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٦).

(٦) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥١٤).

الشَّيْءَ وَيُوضِّحُهُ. يُقَالُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ؛ إِذَا أَضَاءَ، وَسَفَرَتِ الْمَرْأَةُ؛ إِذَا كَشَفَتِ النَّقَابَ عَنْ وَجْهِهَا. وَمِنْهُ: سَفَرَتَ بَيْنَ الْقَوْمِ؛ أَي: كَشَفَتْ مَا فِي قَلْبِ هَذَا وَقَلْبِ هَذَا؛ لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ^(١).

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْقُرَّاءُ، قَالَه قَتَادَةُ^(٢).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمُ السُّفَرَاءُ، وَهُمْ الْمَصْلِحُونَ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: تَقُولُ الْعَرَبُ: سَفَرَتَ بَيْنَ الْقَوْمِ؛ أَي: أَصْلَحْتَ بَيْنَهُمْ، فَجُعِلَتِ الْمَلَائِكَةُ إِذَا نَزَلَتْ بِوَحْيِ اللَّهِ، كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ^(٣)، قَالَ الشَّاعِرُ [مَنْ الْوَافِرُ]:

وَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أُمَشِّي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ^(٤)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَرِيمٌ﴾؛ أَي: عَلَى رَبِّهِمْ ﴿رَزَقٌ﴾؛ أَي: مُطِيعِينَ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَاحِدُ {الْبَرَّةِ} فِي قِيَاسِ الْعَرَبِيَّةِ: بَارٌّ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَقُولُ: «فَعَلَةً» يَنْوُونَ بِهِ الْجَمْعَ إِلَّا وَالْوَاحِدَ مِنْهُ: فَاعِلٌ؛ مِثْلُ: كَافِرٌ،

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٢١) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (١٣) فِي مُحْفَرٍ مَكْرَمَةٍ (١٣) تَرْفُوعَةً مَطْهَرَةً (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) قَالَ: هُمُ الْقُرَّاءُ. وَذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ عَنْهُ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٠٤).

(٣) معاني القرآن (٢ / ٢٣٦).

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفرء (٣ / ٢٣٦)، وتفسير الطبري (٢٤ / ٢٢٢)، والزاهر (١ / ٧٨)، والكشف والبيان (٢٨ / ٤٢٥)، والنكت والعيون (٦ / ٢٠٤)، والتفسير البسيط (٢٣ / ٢١٩).

وكفرة، وفاجر وفجرة^(١).

﴿قِيلَ لِلْإِنْسَنِ مَا أَكْفَرُهُ﴾ (١٧) مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ﴿١٨﴾ مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ، ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ، ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ، ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ، ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ، ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، ﴿٢٦﴾ فَأَبْيْنَا فِيهَا حَبًّا، ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا، ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا، ﴿٣٠﴾ وَفِكَهًا وَآبًا، ﴿٣١﴾ مَتَّعَلِكُمْ وَلَا نَعْمِكُمْ، ﴿٣٢﴾ [عبس: ١٧ - ٣٢].

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لِلْإِنْسَنِ﴾؛ أي: لعن. والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر.

وفيمن عني بهذا القول ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أشار إلى كل كافر، قاله مجاهد^(٢).

والثاني: أنه أمة بن خليف، قاله الضحاك^(٣).

والثالث: عتبة بن أبي لهب، قاله مقاتل^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: ما أشد كُفْرَهُ، قاله ابن جريج^(٥).

(١) معاني القرآن (٣ / ٢٣٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٢٢) من طريق الأعمش، عن مجاهد قال: ما كان في القرآن ﴿قِيلَ لِلْإِنْسَنِ﴾ أو فعل بالإنسان، فإنما عني به: الكافر. وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٠٥).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٠٥)، والسماعي في تفسيره (٦ / ١٥٨).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٥٩١).

(٥) أخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور (٨ / ٤١٩) - عن ابن جريج، وذكره القرطبي في تفسيره (١٩ / ٢١٨).

والثاني: أي شيء أكفره؟ قاله السُّدِّي^(١). فعلى هذا يكون استفهام توبيخ.

والثالث: أنه على وجه التعجب، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون.

والمعنى: اعجبوا أنتم من كفره، قاله الزَّجَّاج^(٢).

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ثم فسره، فقال تعالى: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾.

وفي معنى «فَقَدَّرَهُ» ثلاثة أقوال:

أحدها: قَدَّرَ أَعْضَاءَهُ، رَأْسَهُ، وَعَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ، وَرَجْلَيْهِ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ^(٣).

والثاني: قَدَّرَهُ أَطْوَارًا: نُطْفَةٍ، ثُمَّ عِلْقَةٍ، إِلَى آخِرِ خَلْقِهِ، قَالَهُ مُقَاتِلُ^(٤).

والثالث: فَقَدَّرَهُ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ^(٥).

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: سَهَّلَ لَهُ الْعِلْمَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَجُهَاذُ^(٦).

قال الفراء: فالمعنى: ثُمَّ يَسَّرَهُ لِلْسَّبِيلِ^(٧).

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٢٢٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٣٧).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٥٩٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٥).

(٦) ذكر ذلك عنها البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٣٧).

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٣٧).

والثاني: يَسَّرَ لَهُ السَّيْلَ فِي خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ^(١)، وَمُقَاتِلُ^(٢).
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْبِرْهُ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: جَعَلَهُ مُقْبَرًا، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَمَّنْ يُلْقَى
 لِلسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ، فَكَأَنَّ الْقَبْرَ مِمَّا أُكْرِمَ بِهِ الْمُسْلِمُ، وَلَمْ يَقُلْ: قَبْرَهُ؛ لِأَنَّ الْقَابِرَ هُوَ
 الدَّافِنُ بِيَدِهِ. وَالْمُقْبَرُ: اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ صَيَّرَهُ مُقْبَرًا، فَلَيْسَ فَعْلُهُ كَفَعْلِ الْآدَمِيِّ.
 وَالْعَرَبُ تَقُولُ: بَتَرْتُ ذَنْبَ الْبَعِيرِ، وَاللَّهُ أَبْتَرَهُ. وَعَضَبْتُ قَرْنَ الثَّوْرِ، وَاللَّهُ
 أَعْضَبَهُ. وَطَرَدْتُ فَلَانًا عَنِّي، وَاللَّهُ أَطْرَدَهُ؛ أَي: صَيَّرَهُ طَرِيدًا^(٣).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٤): أَقْبَرَهُ: أَي: أَمَرَ أَنْ يُقْبَرَ، وَجَعَلَ لَهُ قَبْرًا، قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ
 لِعَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ لَمَّا قُتِلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَقْبَرْنَا صَالِحًا، فَقَالَ: دُونَكُمْوهُ.
 وَالَّذِي يَدْفَنُ بِيَدِهِ هُوَ الْقَابِرُ، قَالَ الْأَعَشَى [مِنَ السَّرِيعِ]:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَى قَابِرٍ^(٥)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أَي: بَعَثَهُ. يُقَالُ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى [٨٢٤/ب]
 فَنُشِّرُوا، وَنَشَرَ الْمَيْتُ: حَيَّيَ هُوَ بِنَفْسِهِ، وَاحْدُهُمْ: نَاشَرَ. قَالَ الْأَعَشَى
 [مِنَ السَّرِيعِ]:

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٢٣) مِنْ طَرِيقِ مَهْرَانَ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنِ السُّدِّيِّ
 ﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَتَرَهُ﴾ قَالَ: أَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ.

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ (٤ / ٥٩٢).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣ / ٢٣٧).

(٤) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٦).

(٥) الْبَيْتُ لَهُ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٦)، وَلِأَعَشَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (٥ / ٤٧٧)،

وَالْأَغَانِي (١٦ / ٤٥٥)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ؛ لِلزَّجَّاجِ (٥ / ٢٨٥).

(٦) فِي (س): فَيَقَالُ.

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ^(١)
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ قال الحسن: حقًّا^(٢) ﴿لَتَأْيِظُنَّ مَا أَمْرُهُ﴾ به [ربُّه]^(٣)،
ولم يؤدِّ ما فرض عليه^(٤).

وهل هذا عامٌّ أم خاصٌّ؟

فيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ عَامٌّ. قال مجاهد: لا يقضي أحدٌ أبدًا كُلَّ ما افترض الله عليه^(٥).
والثاني: أَنَّهُ خَاصٌّ للكافر، لم يقض ما أمره^(٦) به من الإيمان
والطاعة، قاله يحيى بن سلام^(٧).

ولما ذكر خلق^(٨) ابن آدم، ذكر رِزْقَه ليعتبر وليستدلَّ بالنبات على
البعث، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قال مقاتل: يعني به: عتبة بن

(١) البيت له في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٠)، وتفسير الطبري
(٥/ ٤٧٧)، و(٢٤/ ٢٢٥)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٢٨٥).

(٢) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٢٢٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٣٨).

(٣) من (س)، و(م).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢٥).

(٥) تفسير مجاهد (٧٠٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٢٥) من طريق ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَتَأْيِظُنَّ مَا أَمْرُهُ﴾ قال: لا يقضي أحدٌ أبدًا ما افترض عليه.

(٦) في (م): أمر.

(٧) ذكر عنه ذلك الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٠٦).

(٨) ليست في (س).

أبي لهب^(١).

ومعنى الكلام: فلينظر الإنسان كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته؟

ثُمَّ بَيَّنَّ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «إِنَّا» بالكسر وقرأ عاصم، وحمة، والكسائي: ﴿أَنَا صَبَبْنَا﴾ بفتح الهمزة في الوصل وفي الابتداء، ووافقهم رؤيس على فتحها في الوصل، فإذا ابتداء كسر^(٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسَرَ ﴿أَنَا﴾ فعلى الابتداء والاستئناف، وَمَنْ فَتَحَ فعلى البدل من الطعام، المعنى: فلينظر الإنسان أَنَا صَبَبْنَا الماء^(٣).

قال المفسرون: أراد بصب الماء: المطر.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا﴾^(٤) فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جِبَاً يَعْنِي بِهِ: جميع الحبوب التي يتغذى بها.

﴿وَعَبَّأَوْقَضْبَا﴾ قال الفراء: هو الرطبة. وأهل مكة يُسمُّون القَتَّ: القضب^(٥).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَيُقَالُ: سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُقْضَبُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؛ أَي: يُقْطَعُ، وَكَذَلِكَ الْقَصِيلُ؛ لِأَنَّهُ يُقْصَلُ^(٦)؛ أَي: يُقْطَعُ^(٧).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥٩٢).

(٢) قراءتا سبعيتان، انظر: التيسير (٢٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨٦).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٣٨).

(٥) في غريب القرآن: الفصيل؛ لأنه يفصل.

(٦) غريب القرآن (ص: ٥١٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزَيَّنَّا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَّيْنِ غُلْبًا﴾ قال الفراء: كُلُّ بُسْتَانٍ كَانَ عَلَيْهِ حَائِطٌ، فَهُوَ حَدِيقَةٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَائِطٌ لَمْ يُقَلْ: حَدِيقَةٌ. وَالْغُلْبُ: مَا غُلِظَ مِنَ النَّخْلِ^(١).

قال أبو عبيدة: يقال: شَجَرَةٌ غُلْبَاءُ: إِذَا كَانَتْ غَلِيظَةً^(٢). وقال ابن قتيبة: الْغُلْبُ: الْغِلَاطُ الْأَغْنَاقِ^(٣). وقال الزَّجَّاجُ: هِيَ الْمَتَكَائِفَةُ، الْعِظَامُ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِكَهَةً﴾ يعني: أَلْوَانَ الْفَاكِهَةِ ﴿وَأَبَا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَا تَرَعَاهُ الْبَهَائِمُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥)، وَعِكْرَمَةٌ^(٦)، وَاللُّغَوِيُّونَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ جَمِيعُ الْكَلَأِ الَّتِي تَغْتَلِفُهَا الْمَاشِيَةُ^(٧).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الثَّمَارُ الرَّطْبَةُ، رَوَاهُ الْوَالِبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَتَعَا لَكُمْ وَلَا تُنْعِمَكُمُ﴾ قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.

(١) معاني القرآن (٣ / ٢٣٨).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥١٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٦) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٣٩).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٦).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣١) من طريق علي بن أبي طلحة - الوالبي - عن ابن عباس.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ (٣٥) وَصَاحِبِهِ، وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْنَا عَبْرَةٌ (٤٠) رَهَقَهَا فَتْرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿[عبس: ٣٣ - ٤٢].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾: وهي الصيحة الثانية.

قال ابن قتيبة: ﴿الصَّاعَةُ﴾: تَصْخُّ صَخًا؛ أي: تُصَمُّ. يُقال: رجلٌ أَصْحٌ، وَأَصْلَحٌ؛ إذا كان لا يَسْمَعُ. والدَّاهِيَةُ: صَاخَةٌ أَيْضًا^(١).

وقال الزَّجَّاج: هي الصيحة التي تكون عليها القيامة، تَصْخُّ الأَسْمَاعُ؛ أي: تُصَمُّهَا، فلا تَسْمَعُ إلا ما تُدْعَى به لإِحْيَائِهَا^(٢).

ثم فسر في أي وقت تجيء؛ فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ قال المفسرون: المعنى: لا يلتفت الإنسان إلى أحدٍ من أقاربه؛ لِعَظَمِ ما هو فيه. قال الحسن: أَوَّلَ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ هَابِيلُ، وَمِنْ أُمِّهِ وَإِبْرَاهِيمُ، وَمِنْ صَاحِبَيْهِ نُوحٌ وَلُوطٌ، وَمِنْ ابْنِهِ نُوحٌ^(٣).

وقال قتادة: يَفِرُّ هَابِيلُ مِنْ قَابِيلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ أُمِّهِ، وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ [٨٢٥/أ] أَبِيهِ، وَلُوطٌ مِنْ صَاحِبَيْهِ، وَنُوحٌ مِنْ ابْنِهِ^(٤).

(١) غريب القرآن (ص: ٥١٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٧).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٤٥٠) (٣٣٥٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤ / ٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٤٢٤) عن الحسن.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٤٥١) من طريق خليل بن دعلج، عن =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: يُشْغَلُهُ عَنْ قَرَابَتِهِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: أَي: يَصْرِفُهُ وَيَصُدُّهُ عَنْ قَرَابَتِهِ. يُقَالُ: اغْنِ عَنِّي وَجْهَكَ؛ أَي: اضْرِفْهُ. وَاغْنِ عَنِّي السَّفِيهَ^(٢).

وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَابْنُ السَّمِيعِ، وَابْنُ مُحِيسَنٍ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «يُغْنِيهِ» بَفَتْحِ الْيَاءِ وَبَعَيْنِ^(٣) غَيْرِ مُعْجَمَةٍ^(٤).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى الْآيَةِ: لَهُ شَأْنٌ لَا يَقْدِرُ مَعَ الْإِهْتِمَامِ بِهِ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بغيرِهِ^(٥). وَكَذَلِكَ قِرَاءَةٌ مَنْ قَرَأَ: «يُغْنِيهِ» بِالْغَيْنِ، مَعْنَاهُ: لَهُ شَأْنٌ لَا يَهْمُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ.

وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَنُخْشِرُ عُرَاةً؟ قَالَ: «نَعَمْ»! قَالَتْ: وَاسْوَأَتَاهُ! فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٦).

= قَتَادَةُ. وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٤٠).

(١) معاني القرآن (٣ / ٢٣٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥١٥).

(٣) في (م): والعين.

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢ / ٣٥٣)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٠٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٨٧).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأحوال (ص: ١٨٦) (٢٣١)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣٢).

من طريق الفضل بن موسى به، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤ / ٥٦٤) من طريق، عن عائشة.



قوله تعالى: ﴿وَجْهٌ يُؤْمِدُ مُسِيراً﴾؛ أي: مُضِيئةٌ قد علمت ما لها من الخير. ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ لسُرورها ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾؛ أي: فرحةٌ بما نالها من كرامة الله عز وجل ﴿وَجْهٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾؛ أي: غبارٌ. وقال مقاتل: أي: سوادٌ وكآبةٌ^(١).

﴿تَرْمَقُهَا﴾؛ أي: تغشاها. ﴿قَرَّةٌ﴾؛ أي: ظلمةٌ. وقال الزجاج: يغلوها سوادٌ كالِدُخان^(٢).

ثم بيّن من أهل هذه الحال؛ فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرُ﴾ وهو جمع: كافر، وفاجر.

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥٩٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨٧).

سُورَةُ التَّكْوِيْرِ

وهي مكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭﴾
[التكويد: ١ - ١٤].

(١) قاله: ابن عباس، وعائشة، وابن الزُّبَيْر: ابن عباس: أخرج ابن الصُّرَيْس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٢٤) -، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٣٤٢ - ٣٤٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نزلت سورة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ بِمَكَّة. ابن الزُّبَيْر: أخرج ابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٢٤)، عن ابن الزُّبَيْر مثله. عائشة: أخرج ابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٢٤) - عن عائشة مثله.
وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٤١)، والبقاعي في مصاعد النظر (ص: ١٦٠) الإجماع على مكِّيَّتها.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه»^(١) من حديث [عبد الله]^(٢) بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيَقْرَأْ [قَوْلَهُ تَعَالَى]^(٣): ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾».

وفي قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أظلمت، رواه الوالبي، عن ابن عباس^(٤). وكذلك قال الفراء: ذهب ضوءها^(٥)، وهذا قول قتادة^(٦)، ومقاتل^(٧).

(١) المستدرك على الصحيحين (٢ / ٥٦٠) (٣٩٠٠)، من طريق إبراهيم الفراء، عن هشام به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وأخرجه أحمد في المسند (٢ / ٢٧) (٤٨٠٦)، (٢ / ١٠٠) (٥٧٥٥)، (٢ / ٣٦) (٤٩٣٤)، وعنه الطبراني كما في مجمع الزوائد؛ للهيتمي (٧ / ١٣٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩ / ٢٤١ - ٢٤٢)، والمزي في تهذيب الكمال (١٨ / ١٧) من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه.

وأخرجه الثرمذي (٣٣٣٣)، عن عباس العنبري، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) من (م).

(٣) من (م).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة - الوالبي - عن ابن عباس، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث والنشور، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٢٤)، وذكره النحاس في إعراب القرآن (٥ / ١٥٥)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢١١).

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٣٩).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣٨) من شعبة، عن قتادة، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: ذهب ضوءها فلا ضوء لها.

(٧) تفسير مقاتل (٤ / ٦٠١).



والثاني: ذهبْتُ، رواه عطية العوفي^(١)، عن ابن عباس^(٢). وكذلك قال مجاهد: اضمحلْتُ^(٣).

والثالث: غَوَّرْتُ، روي عن ابن عباس^(٤)، وسعيد بن جبير^(٥)، وابن الأثيري، وهذا من قول الناس بالفارسية: كُوزِ بَكَرد^(٦).

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: هو بالفارسية كُوزُبوز^(٧).

والرابع: أنها تكوِّر مثل تكوير العمامة، فتُلَفُّ وتُحَى، قاله أبو عبيدة^(٨). قال الزجاج: ومعنى «كُورَتْ»: جُمع ضوؤها، ولَفَّتْ كما تُلَفُّ العمامة. ويقال: كورْتُ العمامة على رأسي أَكُورُها؛ إذا لَفَفْتُها^(٩).

(١) ليست في (م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني: ذهبت.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٣٨) من طريق إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: اضمحلَّت، وذهبت.

(٤) ذكره عنه الجوهري في الصحاح (٢ / ٨٢٠)، وابن عادل في اللباب (٢٠ / ١٧٥).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٤٦٥)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢١١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٤٢).

(٦) في (م): كور يكود.

(٧) المعرب من الكلام العربي (ص: ٣٣٥).

(٨) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٧).

(٩) معاني القرآن وإعراجه (٥ / ٢٨٩).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: تَجْمَعُ الشَّمْسُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تُلْفُ وَيَرْمَى^(١) بِهَا فِي الْبَحْرِ، وَقِيلَ: فِي النَّارِ. وَقِيلَ: تُعَادُ إِلَى مَا خُلِقَتْ مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾؛ أَي: تَنَاضَرَتْ، وَتَهَاوَنَتْ، يُقَالُ: انْكَدَرَ الطَّائِرُ مِنْ^(٢) الْهَوَاءِ؛ إِذَا انْقَضَّ. [وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ] عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَاسْتَوَتْ مَعَ الْأَرْضِ^(٣).

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ: الْعِشَارُ: النُّوقُ الْحَوَامِلُ، وَهِيَ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا فِي الْحَمَلِ عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، فَقِيلَ لَهَا: الْعِشَارُ لِذَلِكَ، وَذَلِكَ الْوَقْتُ أَحْسَنُ زَمَانٍ حَمَلُهَا، وَهِيَ تَضَعُ إِذَا وَضَعَتْ لِتَمَامِ فِي سَنَةٍ، فَهِيَ أَنْفَسُ مَا لِلْعَرَبِ عِنْدَهُمْ، فَلَا يَعْطِلُونَهَا إِلَّا لِإِتْيَانِ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا، وَإِنَّمَا خَوَّطَتِ الْعَرَبُ بِأَمْرِ الْعِشَارِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ عَيْشِهِمْ وَمَالِهِمْ مِنَ الْإِبِلِ.

[٨٢٥/ب] ومعنى «عطلت»: سُيِّبَتْ وَأُهْمِلَتْ، لِإِسْتِغْلَالِهِمْ عَنْهَا بِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ يَعْنِي: دَوَابَّ الْبَحْرِ ﴿حُشِرَتْ﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَاتَتْ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤).

وَالثَّانِي: جُمِعَتْ إِلَى الْقِيَامَةِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ. وَقَدْ زِدْنَا هَذَا شَرْحًا فِي الْأَنْعَامِ.

(١) فِي (س): وَتَرْمَى.

(٢) فِي (م): فِي.

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفِينَ سَاقَطٌ مِنَ الْأَصْلِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٤١) مِنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قَالَ: حَشَرُ الْبَهَائِمِ: مَوْتُهَا.



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْحَاؤُ سُجِرَتْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «سُجِرَتْ» بتخفيف الجيم، وقرأ الباكون: بتشديدها^(١).

وفي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أوقدت فاشتعلت نارًا، قاله عليٌّ ؓ، وابن عباس^(٢).

والثاني: يبست، قاله الحسن^(٣).

والثالث: ملئت بأن صارت بحرًا واحدًا، وكثر ماؤها، قاله ابن السائب^(٤)، والفرء^(٥)، وابن قتيبة^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قرنت بأشكالها، قال عمر ؓ: الصالح مع الصالح في الجنة،

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٢) ذكره عنه التفسير الوسيط (٤ / ٤٢٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٣ / ٢٤) من طريق أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَإِذَا أَلْحَاؤُ سُجِرَتْ﴾ قال: يبست.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٩٥) (٣٥٠٥)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٤٣) عن معمر، عن الكلبي.

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٣٩٠).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥١٦).

وَالْفَاجِرُ مَعَ الْفَاجِرِ فِي النَّارِ^(١)، وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ^(٢)، وَقِتَادَةَ^(٣).

وَالثَّانِي: رُدَّتِ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ، فزُوِّجَتْ بِهَا، قَالَه الشَّعْبِيُّ^(٤)،
وَعَنْ عِكْرِمَةَ كَالْقَوْلَيْنِ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: زُوِّجَتْ أَنْفُسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَأَنْفُسُ الْكَافِرِينَ
بِالشَّيَاطِينِ، قَالَه عَطَاءٌ^(٦)، وَمُقَاتِلٌ^(٧).

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٢ / ٣٥١) مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ. وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ
فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٤٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنَفِ (١٢ / ١٩٩) (٣٥٤٩٥)، كِلَاهُمَا مِنْ
طَرِيقِ سَلَامِ بْنِ سَلِيمٍ. وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٢ / ٥٦٠) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ وَقَالَ:
صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَخْرُجْهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. ثَلَاثُهُمْ: إِسْرَائِيلُ، وَسَلَامٌ، وَسَفْيَانٌ، عَنْ
سَمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنِ الثُّعْمَانِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ.

وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ،
وَأَبُو نَعِيمٍ، وَابِيهَقِي، وَالْفَرِيَايِي كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ؛ لِلْسَّيُوطِيِّ (٦ / ٥٢٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٤٥)، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٨ / ٤٧٨)،
وَالْبَغْوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٤٧).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٤٥)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٦ / ٥٢٦) لِعَبْدِ
بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٨ / ٤٧٩)، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي
مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٤٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٤٦) دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَإِذَا
الْأَنْفُسُ زُوِّجَتْ﴾ قَالَ: زُوِّجَتْ الْأَجْسَادُ فَرُدَّتِ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٤٦) عَنْ عِكْرِمَةَ ﴿وَإِذَا الْأَنْفُسُ زُوِّجَتْ﴾ قَالَ: رُدَّتِ
الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ.

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٤٢٩)، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٤٧).

(٧) تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ (٤ / ٦٠١).



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال اللغويون: الموءودة: البنت تدفن وهي حيّة، وكان هذا من فعل الجاهليّة، ويقال: وأد ولده؛ أي: دفنه حيّا، قال الفرزدق [من المتقارب]:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا تِ فَأَخِيَا الْوَيْدَ وَلَمْ يُوَادِّ^(١)
يعني: صعصعة بن صوحان، وهو جدُّ الفرزدق.

قال الزّجاج: ومعنى سُؤْلِهَا: تَبَكَّيْتُ قَاتِلِيهَا فِي الْقِيَامَةِ؛ لأنّ جوابها: قَتَلْتُ بغير ذنب. ومثل هذا التّبكيّ قوله تعالى: ﴿قُلْتُ لِلنَّاسِ انْخَذُوا فِيَّ وَأَمَيَّ إِلَهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]^(٢).

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب، وابنُ مسعود، وابنُ عباس، وأبو عبد الرحمن، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلة، وهارونُ عن أبي عمرو: «سَأَلْتُ» بفتح السّين وألف بعدها^(٣).

﴿يَا أَيُّ ذَنْبٍ قُلْتُ﴾ بإسكان اللّام، وضمّ التاء الأخيرة، وسؤالها هذا أيضًا تبكيّ لقاتليها.

قال ابنُ عباس: كانت المرأة في الجاهليّة إذا حملت، فكان أوانٌ ولادتها حفرت حفرة، فتمخّضت على رأس الحفيرة، فإن ولدت جارية

(١) البيت له في مجاز القرآن (٢ / ٢٨٧)، والكامل في اللغة والأدب (٢ / ٥٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥ / ٢٩٠)، والأغاني (٢١ / ١٨٣)، والتفسير البسيط (٢٣ / ٢٥٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٠).

(٣) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٦٩)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٥ / ١٠٠).

رَمَتْ بِهَا فِي الْحَفِيرَةِ، وَإِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا حَبَسَتْهُ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: «نُشِرَتْ» بالتخفيف، والباقون: بالتشديد^(٢).

والمراد بالصُّحُفِ: صحائفُ أعمال بني آدم تُنشر للحساب.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قال الفرّاء: نُزِعَتْ، فطُويت، وفي قراءة عبد الله: «قُشِطَتْ» بالقاف^(٣)، وهكذا تقولُه قيسٌ، وتميمٌ، وأسدٌ، بالقاف. وأمّا قریش، فتقولُه بالكاف، والمعنى واحد.

والعرب تقول: القافور، والكافور، والقسط، والكسط، وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات، كما يقال: حدث، وحدث.

قال ابنُ قتيبة: كُشِطَتْ كما يُكْشِطُ الْغِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ، فطُويت^(٤).

وقال الزّجاج: قُلِعَتْ كما يُقْلَعُ السَّقْفُ^(٥).

﴿سُعِرَتْ﴾ أوقدت. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم:

(١) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٢٦)، والواحدي في الوسيط (٤ / ٤٢٩)، وذكره السمعاني في تفسيره (٦ / ١٦٦)، ولم ينسبه، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٤٨)، والزغشري في الكشف (٦ / ٣٢٢)، ولم ينسبه.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٣) قراءة شاذة، انظر: معاني القرآن؛ للفرّاء (٣ / ٢٤١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥١٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩١).

«سُعِّرَتْ» مشددة^(١).

قال الزَّجَّاج: المعنى واحدٌ، إلَّا أنَّ معنى المشدد: أوقدت مرَّةً بعدَ [٨٢٦/أ] مرَّةً^(٢).

و﴿أَزْلَفْتُ﴾: قُرِبْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَجَوَابُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾؛ أَي: إِذَا كَانَتْ هَذَا الْأَشْيَاءِ؛ عَلِمَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَحْضَرَتْ مِنْ عَمَلٍ، فَأُثْبِتَتْ عَلَى قَدَرِ عَمَلِهَا.

وَرُوي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هَذَا جَرَى الْحَدِيثُ^(٣).

وقال ابن عباس: مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَاهُنَا اثْنَتَا عَشْرَةَ خُصْلَةً، سِتَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَسِتَّةٌ فِي الْآخِرَةِ^(٤).

﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخَنَازِيرِ﴾ ١٥ ﴿الْجَوَارِ الْكُنَاسِ﴾ ١٦ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ ١٧ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ ١٨ إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمِيْنِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[التكويد: ١٥ - ٢٩].

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥٠ - ٢٥١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣١٨ - ٣١٩) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٤٩١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٤٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقِيمُ﴾ لا: زائدة، والمعنى: أقسم بالخنس. وفيها خمسة أقوال:

أحدها: أنها خمسة أنجم تُخَنَسُ بالنَّهَارِ فلا تُرى، وهي: زحل، وعطارد، والمشتري، والمريخ، والزُّهرة، قاله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام^(١)، وبه قال مقاتِلُ^(٢)، وابن قتيبة^(٣).

وقيل: اسم المشتري: البرجس. واسم المريخ: بهرام.

والثاني: أنها النُّجوم، قاله الحسن^(٤)، وقتادة على الإطلاق^(٥)، وبه قال أبو عبيدة^(٦).

والثالث: أنها بقر الوحش، قاله ابن مسعود^(٧).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥١) من طريق سيبك بن حرب، قال: سمعت خالد بن عُرْعرة، قال: سمعت عليًّا عليه السَّلام، وسُئِلَ عن ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخَنَسِ﴾ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَسِ قال: هي النجوم تخنس بالنَّهَارِ، وتكنس بالليل.

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٦٠٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥١٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٩٨) (٣٥١٤)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥٢) عن معمر عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥٢) من طريق سعيد، عن قتادة.

(٦) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٧).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥٢) من طريق أبي إسحاق السَّبيعي، عن أبي ميسرة، عن عبد الله بن مسعود أنه قال لأبي ميسرة: ما الجواري الكنس؟ قال: فقال: بقر الوحش قال: فقال: وأنا أرى ذلك.



والرابع: الطباء، رواه العوفي عن ابن عباس^(١)، وبه قال سعيد بن جبير^(٢).

والخامس: الملائكة، حكاه الماوردي^(٣). والأكثر على أنها النجوم.

قال ابن قتيبة: وإنما سمّاها خُنَسًا؛ لأنها تَسِيرُ في البروج والمنازل، كَسِيرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ، ثُمَّ تَخْنُسُ؛ أي: ترجعُ بَيْنًا تُرى^(٤) أحدها في آخر البروج كرّ راجعًا إلى أوله، وسمّاها كُنَسًا؛ لأنها تَكْنُسُ؛ أي: تَسْتَرُ كما تَكْنُسُ الطّٰبِءُ^(٥).

وقال الزّجّاج: تخنس؛ أي: تغيب، وكذلك تكنس؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. وإذا كان المراد: الطّٰبِءُ؛ فهي^(٦) يدخل الكِنَاسَ، وهو الغصن من أغصان الشّجر^(٧). ووقف يعقوب على «الجواري» بالياء^(٨).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسُ يعني: الطّٰبِءُ.

(٢) تفسير الطبري (٢٤ / ٢٥٤).

(٣) النكت والعيون (٦ / ٢١٦).

(٤) في (م): يرى.

(٥) أدب الكاتب (ص: ٩٤).

(٦) في (م): فهو.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٢).

(٨) قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفًا، وحذفها الباقيون في الحالين، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الواو. انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢٠٦)، وتفسير البغوي (٤ / ٢٨٦ - ٢٨٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلِيلَ إِذَا عَسَعَسَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: وَلَى، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَابْنُ زَيْدٍ^(٢)، وَالْفَرَّاءُ^(٣).

وَالثَّانِي: أَقْبَلَ، قَالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ^(٤).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: عَسَعَسَ اللَّيْلُ؛ إِذَا أَقْبَلَ. وَعَسَعَسَ؛ إِذَا أَدْبَرَ^(٥).
وَاسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ إِدْبَارَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ وَأَنْشَدَ
أَبُو عُبَيْدَةَ^(٦) لِعَلْقَمَةَ بْنِ قُرْطٍ [مَنْ الرِّجْزُ]:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ هَا تَنَفَّسَا

وَأَنْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَعَسَا^(٧)

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٥٥) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَلِيلَ إِذَا عَسَعَسَ﴾ يَقُولُ: إِذَا أَدْبَرَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٥٦) عَنْ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَلِيلَ إِذَا عَسَعَسَ﴾ نَالَ: عَسَعَسَ: تَوَلَّى.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣ / ٢٤٢).

(٤) ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٧)، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٢ / ٣٥٢)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ؛ لِلْسَّيْرُطِيِّ (٦ / ٥٣٠) عَنْ مُجَاهِدٍ.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٢٩٢).

(٦) مَجَازِ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٨).

(٧) الْبَيْتُ لَهُ فِي الْأَزْمَنَةِ وَتَلْيِيقِ الْجَاهِلِيَّةِ (ص: ٥١)، وَمَجَازِ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٨٧)، وَتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (٢٤ / ٢٥٧)، وَالْأَضْدَادُ؛ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ (ص: ٣٣)، وَالْكَشَفُ وَالْبَيَانُ (٢٨ / ٤٩٧)، وَالتَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ (٢٣ / ٢٧٢)، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ (٥ / ٤٤٤).



وفي قوله تعالى: ﴿نَفَسَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه طلوع الفجر، قاله عليٌّ عليه السلام^(١)، و قتادة^(٢).

والثاني: طلوع الشمس، قاله الضحَّاك^(٣).

قال الزَّجَّاج: معناه: إذا امتدَّ حتَّى يصيرَ نهارًا بيِّنًا^(٤).

وجواب القسم في قوله: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾، وما بعده قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: أن القرآن نزلَ به جبريلُ وقد بيَّنَّا هذا في الحاقة. ثم وصفَ جبريلَ بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وقد شرَّخناه في النجم.

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يعني: في المنزلة ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾؛ أي: في السموات تطيعه الملائكة. فمن طاعة الملائكة له: أنه أمرَ خازنَ الجنة ليلة المعراج حتى فتحها لمحمَّدٍ عليه السلام فدخلها ورأى ما فيها، وأمرَ خازنَ جهنَّم ففتح له عنها حتى نظرَ إليها.

وقرأَ أبي بَرنُ كعبٍ، وابن مسعود، وأبو حيوة: «ثُمَّ أَمِين» [٨٢٦ / ب]

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٦١) (٣٩٠٥) من طريق أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، كلاهما عن علي عليه السلام، أنه خرج حين طلع الفجر، فقال: نعم ساعة الوتر هذه، ثم تلا: ﴿وَأَنبِلْ إِذَا عَسَيْتَ ۖ (٧) وَأَلْصِقْ إِذَا تَنَفَّسَ﴾. قال أبو عبد الله: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢١٧).

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢١٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩٢).

بِضْمِ الشَّاءِ^(١)، ومعنى «أمين»: على وحي الله ورسالاته.

قال أبو صالح: أمينٌ على أن يدخل سبعين سرادقاً من نورٍ بغير إذن^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يعني: مُحَمَّدًا ﷺ، والخطابُ لأهل مكة.

قال الزَّجَّاج: وهذا أيضًا من جواب القسم، وذلك أنه أقسم أن القرآن نزل به جبريل وأن مُحَمَّدًا ليس بمجنونٍ، كما يقول أهل مكة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ قال المفسرون: رأى مُحَمَّدٌ ﷺ جبريلَ على صورته في الأفق^(٤)، وقد ذكرنا هذا في سورة النجم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾؛ أي: على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض ﴿بِضْنَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس: «بظنين» بالظَّاء، وقرأ الباقون: بالضَّاد^(٥).

وقال ابن قتيبة: مَنْ قرأ: بالظَّاء، فالمعنى: ما هو بمُتَّهِمٍ على ما يُخْبِرُ به عن الله، وَمَنْ قرأ: بالضَّاد، فالمعنى: ليس ببخيلٍ عليكم بعلم^(٦).

(١) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرمانى (٥٠٥)، والبحر المحيط (١٠ / ٤١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥٩) من طريق إسماعيل بن أبي خالد. عن أبي صالح: ﴿مُطَاعٌ تَمَّ آمِينَ﴾ قال جبريل عليه السلام، أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٢).

(٤) في (م): بالأفق.

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: (ص: ٢٢٠).

(٦) الذي في غريب القرآن: يُعْلَم.



ما غاب عنكم مما ينفعكم^(١).

وقال غيره: ما يكتمه كما يكتُم الكاهنُ لياخذَ الأجرَ عليه^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا: إنما يجيء به الشيطان، فيلقيه على لسان محمد^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَن تَذَهَبُونَ﴾ قال الزجاج: معناه: فأني طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم^(٤)؟

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: موعظة للخلق أجمعين. ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ﴾ على الحق والإيمان.

والمعنى: أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق. وقد بينا سبيل الاستقامة فمن شاء أخذ في تلك السبيل.

ثم أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه بما بعد هذا، وقد بينا هذا في سورة الإنسان، قال أبو هريرة: لما نزلت: ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالوا: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

(١) غريب القرآن (ص: ٥١٧).

(٢) ذكره الواحدي (٢٣ / ٢٨٠) ونسبه إلى أبي علي الفارسي. وانظر: الحجة (٦ / ٣٨١).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٦٠٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٣).

(٥) أخرجه الفريابي في القدر (ص: ٢٦٩) (٤٢٣)، ومن طريقه الأجرى في الشريعة (٢ / ٧٢٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٥١٠)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ١٨٠) (١٥٨).

وقيل: القائل لذلك: أبو جهل. وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو المتوكل، وأبو عمران: «وما يشاؤون» بالياء^(١).

فَصْلٌ

وقد زعم بعض ناقلي التفسير أن قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، وقوله تعالى في عبس ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾، وقوله تعالى في سورة الإنسان، وفي [سورة] المزمل ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ كُله منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ولا أرى هذا القول صحيحاً؛ لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجه النسخ فأما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته فليس للنسخ وجه.

(١) انظر: معجم القراءات (١٠ / ٣٣٢).

(٢) من (س)، و(م).

سورة الإنفطار

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾
وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾
وإنَّ الْفَاجِرَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾
ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

[الأنفطار: ١ - ١٩].

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انفطارها: انشقاقها. و﴿انْتَرَتْ﴾ بمعنى: تساقطت. و﴿فُجِرَتْ﴾ بمعنى: فُتِحَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا.

(١) قاله ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وابن الزبير: ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٣٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٣) عن ابن عباس قال: نزلت: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ بمكة. ابن الزبير: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٣٣) مثله. وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٤٦)، والبقاعي في مصاعد النظر (٣/ ١٦٤) الإجماع على مكيتها.

وقال الحسن: ذهب ماؤها^(١). و﴿بُعِثَتْ﴾ بمعنى: أثيرت. قال ابن قتيبة: قلبت فأخرج ما فيها. يُقال: بعثرت المتاع وبحثرته؛ إذا جعلت أسفله أعلاه^(٢).

قوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا جوابُ الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَذِي مَاقَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه عني به أبو الأشدّين^(٣)، وكان كافراً، قاله ابنُ عباس^(٤)، ومقاتل^(٥). وقد ذكرنا اسمه في المدثر: [آية ٣٠].

والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء^(٦).

والثالث: أبي بن خلف، قاله عكرمة^(٧).

والرابع: أنه أشار إلى كل كافر، ذكره الماوردي^(٨).

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٥٤)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٦٨) من طريق معمر، عن الحسن ﴿وَإِذَا الْيَعْقُوبُ فُجِرَتْ﴾ قال: فجر بعضها في بعض، فذهب ماؤها.

(٢) غريب القرآن (ص: ٥١٨).

(٣) اختلف في اسمه: ف قيل اسمه: أسيد بن كلدة. وقيل: كلدة بن خلف الجمحي.

(٤) انظر: تفسير الخازن (٤ / ٤٠١).

(٥) تفسير مقاتل (٤ / ٦١٣).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٨ / ٣٥٢).

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٢١).

(٨) النكت والعيون (٦ / ٢٢١).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: مَا خَدَعَكَ وَسَوَّلَ لَكَ حَتَّى أَضْغَتَ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ ^(١)؟.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الْمَعْنَى: مَا الَّذِي أَمَّنَكَ مِنْ عِقَابِهِ وَهُوَ كَرِيمٌ مُتَجَاوِزٌ إِذْ لَمْ يَعَاقِبْكَ عَاجِلًا ^(٢)؟.

وَقِيلَ لِلْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ: لَوْ أَقَامَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ مَاذَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ لَهُ: غَرَّنِي سُتُورُكَ الْمَرْخَاةُ ^(٣).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ: لَوْ قَالَ لِي: مَا غَرَّكَ بِي؟ قُلْتُ: بَرُّكَ سَالِفًا وَأَنْفًا ^(٤).

قِيلَ: لَمَّا ذَكَرَ الصِّفَةَ الَّتِي هِيَ الْكَرَمُ ^(٥) هَاهُنَا دُونَ سَائِرِ صِفَاتِهِ، كَانَ كَأَنَّهُ لَقَّنَ ^(٦) عَبْدَهُ الْجَوَابَ، لِيَقُولَ: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ ^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا ﴿فَسَوَّنَكَ﴾ إِنْسَانًا تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ: «فَعَدَّلَكَ» بِالتَّشْدِيدِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ: «فَعَدَّلَكَ» بِالتَّخْفِيفِ ^(٨).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٢٩٣).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٣ - ١٤)، والواحدي في التفسير البسيط

(٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٥٦).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٣٥).

(٥) في (س) ذكر صفة الكرم.

(٦) في الأصل: أمر، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٣٥) ونسبه إلى أبي بكر الوراق.

(٨) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

قال الفراء: مَنْ قرأ: بالتخفيف، فوجهه - والله أعلم - فصورك^(١) إلى أي صورة شاء، إما حسن، وإما قبيح، وإما طويل، وإما قصير.

وقيل: في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القربات تشبيهاً. ومن قرأ: بالتشديد، فإنه أراد - والله أعلم - جعلك معتدلاً، معدّل الخلق^(٢). وقال غيره: عدل أعضائك، فلم تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيمًا^(٣).

قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون «ما» زائدة، ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك^(٤).

وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: في أي صورة من صور القربات ركبك، وهو معنى قول مجاهد^(٥). والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو قصر، أو ذكر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء^(٦).

(١) في المطبوع من معاني القرآن: صرفك.

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٤٤).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٢٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩٥).

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٧١٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٧٠).

(٦) معاني القرآن (٣/ ٢٤٤).

والثالث: إن شاء أن يركبك في غير صورة الإنسان ركبك، قاله مقاتل^(١).

وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير^(٢).

والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب بالبخل، أو خنزير بالشرة، ذكره الثعلبي^(٣).

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾؛ أي: بالجزء والحساب، تزعمون أنه غير كائن، وقرأ أبو جعفر: «بالياء»^(٤).

ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة؛ فقال تعالى: ﴿وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾؛ أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ على ربهم ﴿كُنِينَ﴾ يكتبون أعمالكم ﴿يَعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر فيكتبونه عليكم.

[٨٢٧/ب]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة ﴿وَلِإِنَّ الْفَجَّارَ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون.

والثاني: الظلمة.

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٦١٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٧٠) من طريق أبي رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ﴾؛ أي: صورة ما شاء ركبك.

(٣) الكشف والبيان (٢٩/ ٢٢).

(٤) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٩٩).

وَنُقِلَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي حَازِمٍ: يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ: اغْرِضْ عَمَلَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ مَا لَكَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: وَأَيْنَ أَجِدُهُ؟ قَالَ: عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَبْرَأَنَّ لِفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّا لَنَفْجَرَنَّ لِفِي حَجِيمٍ﴾ قَالَ سُلَيْمَانُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يَعْنِي: يَدْخُلُونَ الْجَحِيمَ مُقَاسِمِينَ حَرَّهَا ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ أَي: يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾؛ أَي: عَنِ الْجَحِيمِ ﴿بِقَائِينَ﴾ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَخْلِيدِ الْكَفَّارِ.

وَأَجَازَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ تَكُونَ «عَنْهَا» كِنَايَةً عَنِ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ ^(٢) فَائِدَةُ الْكَلَامِ تَحْقِيقَ الْبَعْثِ. وَيَشْتَمِلُ هَذَا عَلَى الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ.

ثُمَّ عَظَّمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثُمَّ كَرَّرَ ذَلِكَ تَفْخِيمًا لِمَا فِيهِ، وَكَانَ ابْنُ السَّائِبِ يَقُولُ: الْخِطَابُ بِهَذَا لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ، لَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ (٣/ ٢٣٤)، وَالدَّارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ (١/ ٤٩٩) (٦٧٣)، وَفِي إِسْنَادِهِ مُجَاهِيلٌ. وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤/ ٤٣٩)، وَابْنُ الْغَوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨/ ٣٥٧).

(٢) فِي (س): فَتَكُونُ.

(٣) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤/ ٤٣٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: «يَوْمٌ» بِالرَّفْعِ وَالْبَاقُونَ: بِالْفَتْحِ^(١).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ رَفَعَ الْيَوْمَ؛ فَعَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَوْمَ الدِّينِ»، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفْعُهُ بِإِضْمَارِ هُوَ، وَنَصَبُهُ عَلَى مَعْنَى: هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ تَكُونُ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾^(٢).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَمَعْنَى الْآيَةِ: [أَنَّهُ]^(٣) لَا يَمْلِكُ الْأَمْرَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ شَيْئًا كَمَا مَلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

وَكَانَ مُقَاتِلٌ يَقُولُ: لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ كَافِرَةً شَيْئًا مِنَ الْمُنْفَعَةِ^(٤). وَالْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَصَحُّ؛ لِأَنَّ مُقَاتِلًا فِيهَا أَحْسَبَ خَافَ نَفْيَ شَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ. وَالشَّفَاعَةُ إِنَّمَا تَكُونُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَتَمْلِكُهُ.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٦).

(٣) من (س)، و(م).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٦١٤)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٥٨).

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

وفيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، قَالَه^(١) ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَيُحْيَى بْنُ سَلَامٍ^(٢).
والثَّانِي: مَدَنِيَّةٌ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ،
إِلَّا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةَ، قَالَا: فِيهَا ثَمَانِ آيَاتٍ مَكِّيَّةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾... إِلَى آخِرِهَا^(٣).
وقال مُقَاتِلٌ: فِيهَا آيَةٌ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِ ابْنُ آدَمَ قَالَ
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤).

(١) فِي الْأَصْلِ: قَالَ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخ.

(٢) أَخْرَجَهُ النُّحَاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمُنْسُوخِ (٣/ ١٣٢)، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ كَمَا فِي الدَّرِ الْمَنْشُورِ؛
لِلسَّيُوطِيِّ (٦/ ٥٣٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ بِمَكَّةَ، وَأَخْرَجَ
ابْنُ مَرْدَوَيْهِ كَمَا فِي الدَّرِ الْمَنْشُورِ؛ لِلسَّيُوطِيِّ (٦/ ٥٣٦) عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِثْلَهُ. وَأَخْرَجَ
ابْنُ الضَّرِيرِ فِي فُضَائِلِ الْقُرْآنِ (ص ٣٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: آخِرُ مَا أَنْزَلَ بِمَكَّةَ
سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ (٥/ ٤٤٩): وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ
جَمَاعَةِ الْمُفَسِّرِينَ، وَاحْتَجُّوا لِذِكْرِ الْأَسَاطِيرِ، وَهَذَا عَلَى أَنَّ تَطْفِيفَ الْكَيْلِ وَالْوِزْنَ كَانَ
بِمَكَّةَ، حَسْبَمَا هُوَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، لِأَسْمَا مَعَ كُفْرِهِمْ. وَانْظُرْ: النُّكْتُ وَالْعَيُونُ؛ لِلْمَاورِدِيِّ
(٦/ ٢٢٥)، مُصَاعِدُ النَّظَرِ؛ لِلْبَقَاعِيِّ (٣/ ١٦٧-١٦٨).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ كَمَا فِي الدَّرِ الْمَنْشُورِ؛ لِلسَّيُوطِيِّ (٦/ ٥٣٦)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ
(٧/ ١٤٢-١٤٣)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

(٤) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤/ ٦١٩).

والثالث: أنها نزلت بين مكة والمدينة، قاله جابر بن زيد، وابن السائب^(١).
وذكر هبة الله بن سلامة المفسر^(٢) أنها نزلت في الهجرة بين مكة
والمدينة، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِلِّ الْمُطَفِّفِينَ﴾^(١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ^(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ^(٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ^(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ^(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

[المطففين: ١ - ٦].

قوله تعالى: ﴿وَبِلِّ الْمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ
المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَبِلِّ الْمُطَفِّفِينَ﴾
فأحسنوا الكيل بعد ذلك^(٤).

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٤٠)، والقرطبي في تفسيره (١٩ / ٢٥٠)، وابن
عادل في اللباب (٢٠ / ٢٠٥).

(٢) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم البغدادي، المفسر، صاحب كتاب
«الناسخ والمنسوخ». كان من حفاظ أئمة التفسير، وكان ضريراً توفي سنة (٤١٠). انظر
ترجمته في: تاريخ بغداد (١٤ / ١٧٠)، وشذرات الذهب (٥ / ٦٠).

(٣) الناسخ والمنسوخ (ص: ١٩٥).

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه (٢٢٢٣)، والنسائي في الكبرى (١١٥٩٠)، والطبري في
تفسيره (٢٤ / ٢٧٧)، وابن جبان في صحيحه (٤٩١٩)، والطبراني في الكبير (١١ / ٣٧١)
(١٢٠٤١).

وقَالَ السُّدِّيُّ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [إِلَى] ^(١) الْمَدِينَةَ، وَبِهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو جُهَيْنَةَ، وَمَعَهُ صَاعَانِ يَكِيلُ بِأَحَدِهِمَا، وَيَكْتَالُ بِالْآخَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ^(٢).

وقد شرحنا معنى «الويل» في البقرة: [آية: ٧٩].

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: الْمُطْفَفُ: الَّذِي لَا يُوفِي الْكَيْلَ، يُقَالُ: إِنَاءٌ طَفَّانٌ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَمْلُوءًا ^(٣).

وقال الزَّجَّاجُ: إِنَّمَا قِيلَ مُطْفَفٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَسْرِقُ فِي [٨٢٨ / أ] الْمِيزَانِ وَالْمِكْيَالِ إِلَّا الشَّيْءَ الطَّفِيفَ، وَإِنَّمَا أَخَذَ مِنْ طَفِّ الشَّيْءِ وَهُوَ جَانِبُهُ ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾؛ أَي: مِنَ النَّاسِ. فـ«عَلَى» بِمَعْنَى: «مِنْ» فِي قَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ ^(٥).

قال الفَرَّاءُ: «عَلَى» وَ«مِنْ» يَعْتَقَبَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: أَكْتَلْتُ عَلَيْكَ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَخَذْتُ مَا عَلَيْكَ، وَإِذَا قُلْتَ: أَكْتَلْتُ مِنْكَ، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: اسْتَوْفَيْتَ مِنْكَ ^(٦).

(١) من (س).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٦ - ٣٧)، الواحد في الوسيط (٤ / ٤٤٠)، وفي أسباب النزول (ص: ٤٨٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥١٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٧).

(٥) في الأصل: اللغويون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٤٦).

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا اُكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ اسْتَوْفُوا عَلَيْهِمُ الْكِيلَ، وكذلك «إِذَا اتَّرْتُوا» ولم يذكر إذا اتَّرْتُوا؛ لأنَّ الكيلَ والوزنَ بهما الشَّراءُ والبيعُ فيما يُكَالُ ويوزن، فأحدهما يدلُّ على الآخر^(١).

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالواهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنواهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: يُنْقِصُونَ في الكيل، والوزن.

فعلى هذا لا يجوز الوقفُ^(٢) على «كَالُوا» ومن النَّاسِ مَنْ يجعل «هم» توكيداً لما في^(٣) كالوا، ويجوز أن يقفَ على «كالوا» والاختيارُ الأوَّلُ. قال الفراء: سمعت أعرابيةً تقول: إذا صدرَ النَّاسُ أتينا التَّاجرَ، فيكيلنا المدَّ والمدَّينَ إلى الموسم المقبل^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو ظنُّوا أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ ما نقصوا في الكيل والوزن^(٥).

﴿يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ يعني به: يومَ القيامةِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ اليوم: منصوبٌ بقوله تعالى: ﴿مَبْعُوثُونَ﴾.

قال المفسِّرون: والظَّنُّ هاهنا بمعنى: العلم واليقين. ومعنى: ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ أي: من قبورهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٧).

(٢) في (م): أن يقف.

(٣) ليست في (م).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٢٤٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٨).



﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لأمره، أو لجزائه وحسابه، وقيل: يقومون بين يديه لفضل القضاء.

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال - في هذه الآية -: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رُشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»^(١).

وقال كعب: يَقِفُونَ ثلاثمائة عام^(٢).

قال مقاتل: وذلك إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ^(٣).

﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْفُجَارِ لَفِي سَعِيرٍ﴾ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعِيرٌ (٨) كُنْتُ مَرْقُومٌ (٩) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ
(١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِدِينِكُمْ يُكْذِبُونَ (١٧) كَلَّا إِنْ كُنَّ الْآبْرَارِ لَفِي
عِلَاقٍ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلَاقُونَ (١٩) كُنْتُ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْآبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢)
عَلَى الْأَرْبَابِ يُنْظَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَّحْتُومٍ (٢٥)
خِتَمُهُمْ مِنْسُكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمَرْجَاهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴿[المطففين: ٧ - ٢٨].﴾

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٢) (٦٠)، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٦)، والطبري في تفسيره (٣٠ / ٩٣)، وابن حبان (٧٣٣٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٠٣)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٨١)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٢٣٨).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٦٢٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾: ردُّ وزجر؛ أي: ليس الأمر على ما هم عليه فليزددوا.
وها هنا تمَّ الكلام عند كثيرٍ من العلماء. وكان أبو حاتم يقول:
«كَلَّا» ابتداءً يتَّصل بما بعده، على معنى: «حقًّا»^(١).

﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ^(٢).

﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أنَّها الأرض السَّابعة، وهذا قول مجاهدٍ، وقتادة، والضَّحَّاك،
وابن زَيْدٍ، ومقاتل^(٣).

ورُوي عن مجاهدٍ قال: «سجين»: صخرةٌ تحت الأرض السَّابعة،
يُجعل كتابُ الفجار تحتها، وهذه علامةٌ لخسارتهم^(٤)، ودلالةٌ على خِسارة
منزلتهم^{(٥)(٦)}.

والثَّاني: أنَّ المعنى: إِنَّ كِتَابَهُمْ لَفِي سَفَالٍ، قاله الحسن^(٧).

(١) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣١٤)، وانظر: القطع والائتناف (٢ / ٧٩٥)،
ومنازل الهدى (ص: ٤٢١)، علل الوقوف؛ للسجائوندي (٣ / ١١٠٥).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٦٢٢)، وانظر إلى قول مجاهد وقتادة والضَّحَّاك وابن زيد في تفسير
الطبري (٢٤ / ٢٨٢-٢٨٣).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٦٢٢).

(٤) في الأصل: بخسارتهم، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: منزلهم، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ٤٣٣) (١٢٢٢) وأبو الشيخ في العظمة (٤ / ١٣٧٨)،
والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٢٦٥) (٤٥٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٢٧).



والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة^(١).

والرابع: لفي حبس، «فَعِيلٌ» مِنَ السَّجْنِ، قاله أبو عبيدة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحَحْنَ﴾ هذا تعظيمٌ لأمرها. وقال الزجاج: أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك^(٣).

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ مَرْقُومٌ﴾؛ أي: ذلك الكتاب الذي في سَجِّينَ ﴿كَتَبَ مَرْقُومٌ﴾؛ أي: مكتوبٌ. قال ابنُ قتيبة^(٤): والرقم: الكتاب. قال أبو ذؤيب [من المتقارب]:

عَرَفْتُ الدَّيَّارَ كَرَفَمِ الدَّوَا ۞ يَزُبُّهُ الْكَاتِبُ الْحَمِيرِيُّ^(٥)

وأنشده الزجاج: «يَذْبُرُهَا» بالذال المعجمة، وكسر الباء^(٦).

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: زَبِرَ: كَتَبَ، وَزَبِرَ: قُرِئَ^(٧).

(١) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٥٥٧)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٢٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٣١٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٦٤).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩٨).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥١٩).

(٥) البيت لأبي ذؤيب في مجاز القرآن (١/ ٣٥٩)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/ ٢٤٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٠)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٠٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٠٤).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٠).

(٧) ذكره عنه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٤)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٣/ ١٣٥).

[٨٢٨/ب] وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ، عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: الصَّوَابُ: زَبَرْتُ - بِالزَّاي - كَتَبْتُ. وَذَبَرْتُ - بِالذَّال - أَتَقَنْتُ مَا حَفَظْتُ. قَالَ: وَالْبَيْتُ يَزْبِرُهَا، بِالزَّاي وَالضَّمُّ^(١).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُرَوَّى: «يَزْبِرُهَا» وَ«يَذْبِرُهَا» وَهُوَ مِثْلُهُ يُقَالُ: زَبَرَ الْكِتَابَ يَزْبُرُهُ، وَيَزْبِرُهُ. وَذَبَرَهُ يَذْبِرُهُ وَيَذْبِرُهُ^(٢).

وَقَالَ قَتَادَةُ: رُقِمَ لَهُ بَشَرٌّ، كَأَنَّهُ أُعْلِمَ بِعَلَامَةٍ يُعْرِفُ بِهَا أَنَّهُ الْكَافِرُ^(٣). وَقِيلَ: الْمَعْنَى: إِنَّهُ مَثَبٌ لَهُمُ كَالرَّقَمِ فِي الثُّوبِ، لَا يُنْسَى وَلَا يُمَحَى حَتَّى يُجَازِوا بِهِ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هَذَا مُنْتَظَمٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ وَمَا بَيْنَهُمَا كَلَامٌ مُعْتَرِضٌ، وَمَا بَعْدَهُ قَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ: «بَلْ رَانَ» بِفَتْحِ الرَّاءِ مَدْغَمَةً.

وَقَرَأَ أَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «بَلْ رَانَ» مُدْغَمَةً بِكُسْرِ الرَّاءِ^(٥). وَقَرَأَ

(١) ذَكَرَهُ عَنْهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ فِي الْغُرَبِيِّينَ (٢/ ٦٧١).

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (٣٧/ ٣٧).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ٢٨٥) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ. وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٢٨)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣/ ٣٢١)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّرْزِيلِ (٨/ ٣٦٤).

(٤) ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩/ ٥٩)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣/ ٣٢٢) وَعَزَاهُ إِلَى بَعْضِ الْمَفْسِّرِينَ.

(٥) فِي (س): وَكُسِرَ.

حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «بَلْ» بِإِظْهَارِ اللَّامِ «رَانَ» بَفَتْحِ الرَّاءِ^(١).
 قَالَ اللَّغَوِيُّونَ: [أَي: غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، يُقَالُ: الْخُمْرَةُ تَرِينُ عَلَى
 عَقْلِ السَّكْرَانِ^(٢)].

قَالَ الزَّجَّاجُ^(٣): قُرِئَتْ بِإِذْغَامِ اللَّامِ فِي الرَّاءِ؛ لِقُرْبِ مَا بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ،
 وَإِظْهَارِ اللَّامِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كَلِمَةٍ، وَالرَّاءُ مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى. وَيُقَالُ: رَانَ
 عَلَى قَلْبِهِ الذَّنْبُ يَرِينُ رَيْنًا؛ إِذَا غَشِيَ عَلَى قَلْبِهِ. وَيُقَالُ: غَانَ يَغِينُ غَيْنًا.
 وَالْغَيْنُ: كَالْغَيْمِ الرَّقِيقِ، وَالرَّيْنُ: كَالصَّدَأِ يُغْشَى عَلَى الْقَلْبِ^(٤).

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا مَنْصُورٍ اللَّغَوِيَّ، يَقُولُ: الْغَيْنُ يُقَالُ بِالرَّاءِ،
 وَبِالْغَيْنِ، فَفِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي»^(٥)،
 وَكَذَلِكَ الرَّايَةُ تُقَالُ بِالرَّاءِ، وَبِالْغَيْنِ، وَالرَّمِيصَاءُ تُكْتَبُ بِالْغَيْنِ وَبِالرَّاءِ؛ لِأَنَّ
 الرَّمَصَ يُكْتَبُ بِهِمَا.

(١) كلها قراءات سبعة، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٩٩)، والسجستاني في غريب القرآن (ص: ٢٤٣)،
 والأزهري في تهذيب اللغة (٧ / ١٣٧).

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩٩).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٤٠)، ومسلم (٢٧٠٢) (٤١)، وأبو داود (١٥١٥)،
 وأبو عوانة في الدعوات كما في إتحاف المهرة (١ / ٣٨٤) من طرق عن حماد بن زيد.
 وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٤٤٣) من طريق جعفر بن سليمان الضبيعي،
 والطبراني في المعجم الكبير (٨٨٩)، وفي الدعاء (١٨٣٤)، والخطيب في تاريخ بغداد
 (٨ / ٢٤) من طريق هشام بن حسان، كلاهما عن ثابت البناني.

قَالَ الْمَفْسِّرُونَ: لَمَّا كَثُرَتْ مَعَاصِيهِمْ وَذُنُوبُهُمْ أَحَاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ^(١).

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يُغْمَى الْقَلْبُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَا يُصَدِّقُونَ. ثُمَّ اسْتَأْنَفَ ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُحْجَبُ عَنْ رُؤْيَيْهِ^(٣).

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: لَمَّا حَجَبَ أَعْدَاءَهُ فَلَمْ يَرَوْهُ؛ تَجَلَّى لِأَوْلِيَائِهِ حَتَّى رَأَوْهُ^(٤).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسَّخَطِ دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرَّضَى^(٥).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُرَى فِي الْقِيَامَةِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا كَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَائِدَةٌ، وَلَا خَسَتْ مِنْزِلَةُ الْكُفَّارِ بِأَنَّهُمْ يُحْجَبُونَ عَنْ رَبِّهِمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ حُجْبِهِمْ عَنِ اللَّهِ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾^(٦).

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن (٣ / ٢٤٦)،

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٨٧)، والمخلص في المخلصيات (٢ / ٣٤٦) (١٧١٢) من طريق أبي رجاء، عن الحسن.

(٣) تنوير المقباس (ص: ٥٠٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٢٧) وعزاه إلى الكلبي.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٦٥)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٢٧)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٦٦).

(٥) أخرجه الثعلبي بسنده في الكشف والبيان (٢٩ / ٦٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٢٧).

(٦) معاني القرآن وإعراجه (٥ / ٢٩٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾؛ أَي: يَقُولُ^(١) لَهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ: ﴿هَذَا﴾ الْعَذَابُ
 ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾^(٢) كَلَّا؛ أَي: لَا يُؤْمِنُ بِالْعَذَابِ الَّذِي يَصْلَاهُ.
 ثُمَّ أَغْلَمَ أَيْنَ مَحَلِّ ﴿كِتَابِ الْأَنْبَرَارِ﴾ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ وَفِيهَا
 سَبْعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا الْجَنَّةُ، رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣).
 والثَّانِي: أَنَّهُ لَوْحٌ مِنْ زَبَرٍ جَدَّةٍ خَضِرَاءَ مَعْلَقٌ تَحْتَ الْعَرْشِ فِيهِ
 أَعْمَالُهُمْ مَكْتُوبَةٌ، رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا^(٤).
 والثَّالِثُ: أَنَّهَا السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَهُ كَعْبٌ^(٥)،
 وَهُوَ مَذْهَبُ مُجَاهِدٍ^(٥)، وَابْنِ زَيْدٍ^(٦).

(١) فِي (س): تَقُولُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٩٢) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٦٧)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٦٦).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٩١) مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ
 هَلَالِ بْنِ يَسَافٍ، قَالَ: سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ كَعْبًا وَأَنَا حَاضِرٌ عَنِ الْعَلِيِّينَ، فَقَالَ كَعْبٌ:
 هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ.

(٥) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ (ص: ٧١٢)، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٩١) مِنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ،
 عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ قَالَ: السَّمَاءُ السَّابِعَةُ.

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٢٩١) مِنْ يَحْيَى بْنِ يَسَانَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ
 أَبِيهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنَّ الْأَنْبَرَارُ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ قَالَ: فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

والرَّابِع: أنها قائمة العرش اليمنى، قاله قتادة^(١)، وقال مقاتل: ساق العرش^(٢).

والخامس: أنه سدرة المنتهى، قاله الضَّحَّاك^(٣).

والسَّادِس: أنه في علوِّ وصعودٍ إلى الله عزَّ وجلَّ، قاله الحسن^(٤). [١/٨٢٩]

وقال القراء: في ارتفاع بعد ارتفاع^(٥).

والسَّابِع: أنه أعلى الأمكنة، قاله الرَّجَّاج^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ هذا تعظيمٍ لشأنها.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ مَرْفُوعٌ﴾ الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبله^(٧).

قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي: يحضر المقرَّبون من الملائكة ذلك

المكتوب، أو ذلك الكتاب؛ إذا صعد به إلى عليين، وما بعد هذا قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ﴾.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٠٥) (٣٥٣٩)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٩١) عن معمر عن قتادة. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٦٦) وعزاه إلى كعب و قتادة.

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٦٢٤)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٦٨)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٤١)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٩٢)، وذكره النحاس في إعراب القرآن (٥/ ١٨٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٦٩)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٢٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٦٦).

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٢٩).

(٥) معاني القرآن (٣/ ٢٤٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩٩).

(٧) في (م): قبلها.

ففيه قولان:

أحدهما: إلى ما أعطاهم الله من الكرامة^(١).

والثاني: إلى أعدائهم حين يُعذبون^(٢).

قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وقرأ أبو جعفر، ويعقوب: «تُعَرَفُ» بضمّ التاء، وفتح الراء «نَضْرَةُ»: بالرفع^(٣).

قال الفراء: يريق النعيم ونَدَاهُ^(٤). قال المفسرون: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم، لما ترى من الحسن والنور^(٥).

وفي «الرحيق» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور.

ثم اختلفوا أي الخمر هي؟ على أربعة أقوال:

أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد^(٦).

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٩٥).

(٢) قاله مقاتل بن سليمان في تفسيره (٤ / ٦٢٦)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٧٢)، وعزاه إلى مقاتل.

(٣) قراءة عشرية، انظر: انظر: تفسير البغوي (٤ / ٥٧٧)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٩٩)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: ٤٦٨)، والإنحاف (ص: ٤٣٥).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٢٤٨).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٤٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٦٧).

(٦) في العين؛ للخليل (٣ / ٤٥): من أسماء الخمر. وذكره مكّي بن أبي طالب في الهداية (١٢ / ٨١٣٧) عن أهل اللغة بلفظ: صفو الخمر. وذكره أيضًا الماوردي في النكت =

والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش^(١).

والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل^(٢).

والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة^(٣).

والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمنك، قاله الحسن^(٤).

والثالث: أنه الشراب الذي لا غش فيه، قاله ابن قتيبة^(٥)، والزجاج^(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿مَخْتُومٌ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود^(٧).

والثاني: مختوم على إنائه، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد^(٨).

=والعيون (٦ / ٢٣٠) عن الخليل بلفظ: أصفى الخمر وأجوده.

(١) قوله ليس في معاني القرآن، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٣٠).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٦٢٤)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٧٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٦٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥١٩).

(٤) عز الماوردي هذا القول في النكت والعيون (٦ / ٢٢٩) إلى علي^{عليه السلام}، وعزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٥٣) إلى ابن مسعود وابن عباس والحسن وأبي صالح.

(٥) غريب القرآن (ص: ٥١٩).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٠).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٠٩١)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٩٧).

(٨) ذكره عنه ابن فورك في تفسيره (٣ / ١٧٦).



والثالث: له خِتَامٌ؛ أي: عاقبة ربح، وتلك العاقبة هي قولُه تعالى: ﴿خِتَمُهُمْ مِّسْكٌ﴾؛ أي: عاقبته. هذا قولُ أبي عبيدة^(١).

قولُه تعالى: ﴿خِتَمُهُمْ مِّسْكٌ﴾ قرأ ابنُ كثير، وعاصمٌ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزة: «خِتَامُهُ» بكسرِ الخاءِ، وفتحِ التَّاءِ، وبألِفٍ بعدَهما الميم مرفوعة الميم^(٢). وقرأ الكسائيُّ: «خَاتَمُهُ» بخاءٍ مفتوحةٍ، بعدَها ألِفٌ، وبعدَها تاءٌ مفتوحة^(٣).

وروى الشَّيْزَرِيُّ^(٤) «خَاتِمُهُ» مثلَ ذلك، إلَّا أنَّه يكسرِ التَّاءَ. وقرأ أبي بن كعبٍ، وعُروَةُ، وأبو العالِيَةِ: «خَتَمُهُ» بفتحِ الخاءِ والتَّاءِ، وبِضْمٍ^(٥) الميمِ من غيرِ ألِفٍ^(٦).

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٩٠).

(٢) في (م): الميم مرفوعة.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٠).

(٤) هو عيسى بن سليمان، أبو موسى الحجازي، المعروف بالشيرزي الحنفي، مقرئ عالم بوجوه القراءات، نحوي معروف، كان من قدماء أصحاب الكسائي.

الشَّيْزَرِيُّ: نسبة إلى شيزر: مدينة شامية على العاصي، شمالي غرب حماة تبعد عنها سبعة عشر ميلاً تقريباً، وبها قلعة حصينة كانت لآل منقذ الكنانيين، يتوارثونها من أيام صالح بن مرداس سنة (٤١٧هـ). انظر ترجمته في: غاية النهاية (١/ ٦٠٨).

(٥) ليست في (س).

(٦) قراءتان شاذتان، انظر: الشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥٠٧).

وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ مِمْسُكٌ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: خَلَطَهُ مِمْسُكٌ، قاله ابنُ مسعود^(١)، ومجاهد^(٢).

والثاني: أَنَّ خَتَمَهُ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ الْإِنَاءُ مِمْسُكٌ، قاله ابنُ عباس^(٣).

والثالث: أَنَّ طَعْمَهُ وَرِيحَهُ مِمْسُكٌ، قاله علقمة^(٤).

والرابع: أَنَّ آخِرَ طَعْمِهِ مِمْسُكٌ، قاله سعيدُ بنُ جبير^(٥)، والفرأ^(٦)،

وأبو عبيدة^(٧)، وابنُ قتيبة^(٨)، والزجاجُ في آخرين^(٩).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٧٨) من طريق شريك، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، في قوله: ﴿خَتَمَهُ مِمْسُكٌ﴾، قال: «خلطه مسك»، وأخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٤٥) من طريق سفيان، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن زيد بن معاوية العبسي، عن علقمة، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٩٧) من طريق أيوب، عن أشعث بن أبي الشعثاء عمن ذكره عن علقمة، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩ / ٢١٩) عن ابن مسعود، وذكره عنه أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٧٥)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٤١).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٧١٢).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٣٠) ولم ينسبه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٩٧) من طريق أشعث بن أبي الشعثاء، عن يزيد بن معاوية، عن علقمة ﴿خَتَمَهُ مِمْسُكٌ﴾ قال: طعمه وريحه مسك.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٧٩) من طريق شريك، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن جبير، ﴿خَتَمَهُ مِمْسُكٌ﴾، قال: «يجد في آخر طعمه ريح المسك».

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٤٨).

(٧) مجاز القرآن (٢ / ٢٩٠).

(٨) غريب القرآن (ص: ٥٢٠).

(٩) معاني القرآن وإعراجه (٥ / ٣٠١).

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾؛ أي: فليجِدُوا في طلبه، وليخرُصُوا عليه بطاعة الله. والتنافس: كالشَّاح على الشيء، والتنازع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه اسمُ عينٍ في الجنة، قال ^(١) ابنُ مسعودٍ: وهي عينٌ في الجنة يشربها المقرَّبون صِرْفًا، وتُمزَجُ لأصحابِ اليمين ^(٢).

والثاني: أن التَّسْنِيمَ الماء، قاله الضَّحَّاكُ ^(٣).

قال مقاتلٌ: وإنما سُمِّيَ تَسْنِيمًا؛ لأنه يتسَنَّمُ عليهم ^(٤) من جنة عدن، فينصبُ ^(٥) عليهم أنصبابًا، فيشربون الخمرَ من ذلك الماء ^(٦).

قال ابنُ قُتَيْبَةَ ^(٧): يُقال: إِنَّ التَّسْنِيمَ أَرْفَعُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ يُمْتَزَجُ بِمَاءٍ يَنْزَلُ مِنْ تَسْنِيمٍ؛ أي: مِنْ عُلُوٍّ، وَأَضْلُ هَذَا مِنْ سَنَامٍ [٨٢٩/ب] الْبَعِيرِ، وَمِنْ تَسْنِيمِ الْقُبُورِ، وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ؛ لِقَوْلِ الْمُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ - فِي وَصْفِ امْرَأَةٍ - [مِنِ الْمُتَقَارِبِ]:

(١) في الأصل: قاله، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) قول ابن مسعود، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٢)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٠٠) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود.

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٣١).

(٤) في (م): عليه.

(٥) في (م): فيتصب.

(٦) تفسير مقاتل (٤/ ٦٢٤ - ٦٢٥)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٨٢).

(٧) غريب القرآن (ص: ٥٢٠).

كَأَنَّ بِرِيقَتِهَا -لِلْمَزَا جِ مِنْ ثَلَجٍ تَسْنِيمٍ شَبِيتَ -عُقَارًا^(١)

أَرَادَ كَأَنَّ بِرِيقَتِهَا عُقَارًا شَبِيتَ لِلْمَزَا جِ مِنْ ثَلَجٍ تَسْنِيمٍ، يُرِيدُ: جَبَلًا.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾^(٢٧) عَيْنًا ﴿تَأْتِيهِمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي: من علوٍ يَتَسَنَّمُ^(٢٨) عَلَيْهِمْ مِنَ الْغُرَفِ فـ«عَيْنًا» في هذا القولِ منصوبةٌ؛ كما قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾^(٢٩) يَتِمًّا ﴿[البلد: ١٤ - ١٥]، وَيُجُوزُ أَنْ تَكُونَ «عَيْنًا» منصوبةٌ بقوله: يَسْقُونَ عَيْنًا؛ أي: مِنْ عَيْنٍ^(٣٠). وقد بَيَّنَّا مَعْنَى ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ في «هَلْ أَتَى».

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(٣١) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٥﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٦﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٧﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾؛ أي: أَشْرَكُوا ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ مثل: عُمَارٍ، وَبِلَالٍ، وَخَبَّابٍ وَغَيْرِهِمْ ﴿يَضْحَكُونَ﴾ على وجه الاستهزاء بِهِمْ ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ يعني: الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَتَغَامِرُونَ﴾ أي: بِالْكَفَّارِ يَنْظُرُونَ بِالْجَفْنِ وَالْحَاجِبِ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ.

(١) لم أقف على البيت إلا عند المصنف، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٥٢٠).

(٢) في المعاني: تنسم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠١).

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا﴾ يعني: الكُفَّار ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ﴾ أي: مُتَعَجِّبِينَ
بِمَا هُمْ فِيهِ يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِهِمْ.

وقرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم، وعبدُ الرَّزَّاقِ عن ابنِ عامِرٍ:
«فكهيْن» بغير ألف^(١). وقد شرحنا معنى القِرَاءَتَيْنِ في «يس» [آية: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: رأوا أصحابَ رسولِ الله ﷺ ﴿قَالُوا
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ يعني: الكُفَّار ﴿عَلَيْهِمْ﴾
أي: على المؤمنين ﴿حَفَظِينَ﴾ يحفظون أعمالهم عليهم؛ أي: لم يؤكلوا بحفظ
أعمالهم ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ إذا
رَأَوْهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ.

قال أبو صالح: يُقال لأهلِ النَّارِ وَهُمْ فِيهَا: اخْرُجُوا، وَتُفْتَحُ لَهُمْ
أَبْوَابُهَا، فَإِذَا أَقْبَلُوا يَرِيدُونَ الْخُرُوجَ، غُلِّقَتْ أَبْوَابُهَا دُونَهُمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ
﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ إليهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ
يَضْحَكُونَ﴾ (٣٦) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿إِلَى عَذَابٍ عَدُوَّهُمْ﴾^(٢).

قال مقاتل: لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ يَنْظُرُونَ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ
كَيْفَ يُعَذَّبُونَ، فَيَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ، فَهُمْ يُكَلِّمُونَ أَهْلَ النَّارِ

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (٢٢١)، والنشر (٢/ ٣٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (ص: ١٥٧) (٢٥٤) من طريق الكلبي، عن أبي
صالح، وذكره مكِّي بن أبي طالب في الهداية (١/ ١٦٧)، والواحدي في التفسير البسيط
(٢٣/ ٣٤٨).

وَيُكَلِّمُوهُمْ إِلَى أَنْ تَطْبِقَ النَّارُ عَلَى أَهْلِهَا فَتُسَدُّ حَيْثُ ذِ الْكُوى^(١).
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارُ﴾ وَقَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكِسَائِيُّ، وَهَارُونُ عَنْ
 أَبِي عَمْرٍو: «هَلْ ثُوب» بِإِذْغَامِ اللَّامِ^(٢)؛ أَي: هَلْ جُوزُوا وَأُثْبِتُوا عَلَى
 اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا؟ وَهَذَا الْإِسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ.

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٦٢٦).

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٤٣٥).

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا ⑥ فَمَلَقِيهِ ⑦ فَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَابُهُ، بِيَمِينِهِ، ⑧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑨ وَنَقْلُبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، مَسْرُورًا ⑩ وَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَابُهُ، وَرَاءَ ظَهْرِهِ، ⑪ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑫ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑬ إِنَّهُ، كَانَ فِي أَهْلِهِ، مَسْرُورًا ⑭ إِنَّهُ، ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ⑮﴾ [الانشقاق: ١ - ١٤].

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ قال المفسرون: انشقاقها من علامات الساعة.

وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن^(٢).

(١) قاله ابن عباس، وابن الزبير: ابن عباس: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣ / ١٣٢)، وابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٤٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧ / ١٤٢ - ١٤٣) عن ابن عباس قال: نزلت: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ بمكة. ابن الزبير: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٤٦) عن ابن الزبير مثله.

وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٥٦)، والبقاعي في مصاعد النظر (٣ / ١٧١) الإجماع على مكيّتها.

(٢) في (س): في.

(٣) ذكر ذلك في سورة الفرقان، آية: ٢٢٥، وسورة الرحمن، آية: ٣٧، وسورة الحاقة، آية: ١٦.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: استمعت وأطاعت في الانشقاق، من الأذن؛ وهو الاستماع للشيء والإضغاء إليه، وأنشدوا [من البسيط]:

صُمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ^(١) ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا^(٢)

﴿وَحُقَّتْ﴾؛ أي: حُقَّ لها أن تُطيع ربَّها الذي خلقها.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مُدَّتْ مَدَّ الْأَدِيمَ، ويزاد في سَعَتِهَا^(٣). وقال مقاتلٌ: لا يَبْقَى جَبَلٌ وَلَا بِنَاءٌ إِلَّا دَخَلَ فِيهَا^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ مِنَ الْمَوْتَى وَالْكُنُوزِ ﴿وَنَحَلَتْ﴾؛ أي: خلَّت من ذلك، فلم يبقَ في باطنها شيءٌ.

واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال: [١/٨٣٠]

(١) في (م): فإن.

(٢) اختلفوا في نسبته؛ فنسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٩١) إلى رؤبة، ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار (٣/ ٩٦)، وأبو علي القالي في أماليه (١/ ١٢٢)، والجوهري في الصحاح (٥/ ٢٠٦٨)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٣٥٤) إلى قَعْنَب بن أم صاحب، ونسبه الخالديان في حماسة الخالدين (ص: ٤٦) إلى قيس بن عاصم المنقري، ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/ ٤٥٣) إلى الأعشى، وهو في ديوانه (ص: ١٧٢)، والراجح أنه لقعنَب بن أم صاحب؛ لأن أكثر المصادر على ذلك.

(٣) ذكره ابن أبي زمنين في تفسيره (٥/ ١١١) ولم ينسبه، وذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٣٥٤ - ٣٥٥)، والوسيط (٤/ ٤٥١).

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٥٦٠) ولم ينسبه، وذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٤٥١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٧١).

أحدها: أَنَّهُ مَتْرُوكٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَعْرُوفٌ قَدْ تَرَدَّدَ فِي الْقُرْآنِ^(١).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ﴾؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: إِذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا؛ فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ تَرَوْنَ مَا عَمِلْتُمْ، فَيَجْعَلُ ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ﴾ [هو]^(٢) الجواب، وَتُضْمَرُ فِيهِ الْفَاءُ فَكَأَنَّ^(٣) الْمَعْنَى: يَرَى الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَذَكَرَ الْقَوْلَيْنِ الْفَرَاءُ^(٤).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا، تَقْدِيرُهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ قَالَهُ الْمَبْرُودُ^(٥).

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْجَوَابَ مَذْلُولٌ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ فَاَلْمَعْنَى: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِقَى الْإِنْسَانُ عَمَلَهُ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِنَّكَ عَامِلٌ لِرَبِّكَ عَمَلًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٧).

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٥٠)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٠)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٩٧).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (م): كَأَنَّ.

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٥٠).

(٥) المقتضب (٢/ ٧٩-٨٠)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٩٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٠٣).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً.

والثاني: سَاعَ إِلَى رَبِّكَ سَعِيًّا، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(١).
 قَالَ الزَّجَّاجُ^(٢): وَ«الْكَذْحُ» فِي اللُّغَةِ: السَّعْيُ، وَالذَّابُّ فِي الْعَمَلِ فِي
 بَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ تَمِيمُ بْنُ مُقْبِلٍ [مَنْ الطَّوِيلُ]:
 وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ^(٣)
 وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قَوْلَانِ:
 أَحَدُهُمَا: عَامِلٌ لِرَبِّكَ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).
 وَالثَّانِي: إِلَى لِقَاءِ رَبِّكَ، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٥).
 وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَلَقِيهِ﴾ قَوْلَانِ:
 أَحَدُهُمَا: فَمَلَقِي عَمَلِكَ.
 وَالثَّانِي: فَمَلَقِي رَبِّكَ، ذَكَرَهُمَا الزَّجَّاجُ^(٦).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٦٣٤)، وعزاه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٣٥) إلى يحيى بن سلام.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٤).

(٣) البيت له في الكتاب لسيبويه (٢ / ٣٤٦)، والحيوان (٣ / ٢١)، وحماسة البحري (ص: ٢٥٨)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥ / ٣٠٤)، وشرح كتاب سيبويه؛ للسيرافي (٣ / ٩٢)، وتهذيب اللغة (٤ / ٥٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢ / ٣٢٣)، وتفسير الطبري (٢٠ / ٨٩).

(٤) سبق تخريجه قريباً.

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٢١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ، ثُمَّ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُ، وفي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابُ هَلَكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَ: «ذَلِكَ الْعَرَضُ»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَالْأَدَمِيَّاتِ. ﴿مَسْرُورًا﴾ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الْكَرَامَةِ.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: تُغْلَى يَدُهُ الْيُمْنَى إِلَى عُنُقِهِ وَتُجْعَلُ يَدُهُ الْيُسْرَى وَرَاءَ ظَهْرِهِ^(٢). ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ يَقُولُ: يَا وَيْلَاهُ! يَا ثُبُورَاهُ! وَهَذَا يَقُولُهُ كُلُّ مَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُضَلَّى سَعِيرًا﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكِسَائِيُّ: «وَيُضَلَّى» بَضَمِّ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَخَمْزَةُ: «وَيُضَلَّى» بَفَتْحِ الْيَاءِ خَفِيفَةً إِلَّا أَنَّ خَمْزَةَ، وَالْكِسَائِيَّ يُمِيلَانِهَا^(٤). وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ [آيَةُ: ١١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ [يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا]^(٥). ﴿مَسْرُورًا﴾ بِاتِّبَاعِ هَوَاهُ، وَرُكُوبِ شَهْوَاتِهِ. ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أَيُّ: لَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْآخِرَةِ،

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٧٩-٢٨٧٦).

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٥٠)، الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ١٠٥)،

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٠٤).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٥) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

ولن يُبعثَ، وهذه صفة الكافر. قال اللغويون: الحور في اللغة: الرجوع، وأنشدوا للبيد [من الطويل]:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ
يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ^(١)

﴿بَلَّغْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾^(٥) فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ^(٦) وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقَ^(٧) وَالْقَمَرِ
إِذَا أَسَقَ^(٨) لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ^(٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا
يَسْجُدُونَ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾^(١٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ^(١٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ^(١٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿[الانشقاق: ١٥ - ٢٥].

قوله تعالى: ﴿بَلَّغْ﴾ قال الفراء: المعنى: بلى ليحورن^(١). ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ قال المفسرون: بصيرًا على جميع^(٣) أحواله.
قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ قد سبق بيانه.

[٨٣٠/ب] فَأَمَّا «الشَّفَقُ»: فقال ابنُ قُتَيْبَةَ: هُمَا شَفَقَانِ: الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ.
فَالْأَحْمَرُ: مَنْ لَدُنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثُمَّ يَغِيبُ،
وَيَبْقَى الشَّفَقُ الْأَبْيَضُ إِلَى نَصْفِ اللَّيْلِ^(٤).

وللمفسرين في المراد ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هَاهُنَا سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

(١) البيت في ديوانه (ص: ٥٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٠)، وحماسة البحرى (ص: ١٨٦)،
والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٤٦).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٥١).

(٣) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: سائر.

(٤) أدب الكاتب (ص: ٩٥).

أحدها: الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس وقد روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشفق: الحمرة»^(١)، وهذا قول عمر وابنه، وابن مسعود، وعبد الله، وأبي قتادة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس، وابن المسيب، وابن جبير، وطاووس، ومكحول، ومالك، والأوزاعي، وأبي يوسف، والشافعي، وأبي عبيد، وأحمد وإسحاق^(٢)، وابن قتيبة^(٣)، والزرجاني^(٤).

قال الفراء: سمعتُ بعض العرب يقول، وعليه ثوب مضبوغ: كأنه الشفق، وكان أحمر^(٥).

والثاني: أنه النهار^(٦).

والثالث: الشمس، روي القولان عن مجاهد^(٧).

(١) أخرجه الدار قطني في سننه (١٠٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٤٤) من طريق عتيق بن يعقوب، ثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشفق الحمرة، فإذا غاب الشفق وجبت الصلاة»، وقال الدارقطني في كتابه غرائب مالك، كما في نصب الراية (١/ ٢٣٣): حديث غريب، ورواته كلهم ثقات. قلت: الصحيح فيه وقفه.

(٢) انظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٢/ ٣٣٩-٣٤٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٢١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٠٥).

(٥) معاني القرآن (٣/ ٢٥١).

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٧١٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١٨) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، ومن طريق منصور، عن مجاهد ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ قال: النهار.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٩٣) (٣٣٦٤)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١٨) من طريق =

والرَّابِع: أَنَّهُ ^(١) مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ ^(٢).

والخَامِس: السَّوَادُ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ ذَهَابِ الْبَيَاضِ، قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ^(٣).

وَالسَّادِس: أَنَّهُ الْبَيَاضُ، قَالَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ أَي: وَمَا جَمَعَ وَضَمَّ، وَأَنْشَدُوا [مِنْ الرِّجْزِ]:

إِنَّ لَنَا فَلَانِصَا حَقَائِقًا
مُسْتَوِصَاتٍ، لَوْ يَجِدْنَ سَائِقًا ^(٥)

= محمد بن عبيد، قال: ثنا العَوَّامُ بن حوشب، قال: قلت لمجاهد: الشَّفَقُ، قال: لا تقل الشَّفَقُ، إِنَّ الشَّفَقَ مِنَ الشَّمْسِ.

(١) ليست في (م).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٦٣) (٨٨٠٨) من طريق شريك، عن خصيف، عن عكرمة، قال: الشَّفَقُ: مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ١١١)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٣٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٣٦٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٧٥).

(٣) ذكره الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٣٧١)، وأبو جعفر: هو محمد بن علي بن الحسين، الباقر.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٠٨) (٣٥٥)، وابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٦٢).

(٥) البيت للعجاج في ملحق ديوانه (ص: ٤٠٦)، وبلا نسبة في الفاضل؛ للمبرد (ص: ١٠)، والكمال (٣/ ١٦٣)، والصحاح؛ للجوهري (٤/ ١٥٦٦)، والأزمنة والأمكنة؛ للمرزوقي (ص: ٣٩٢)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٢٩/ ١١٧)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٦/ ٢٣٧).

قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ مَا عَلَا فَلَمْ يَمْتَنِعْ^(١) مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِذَا جَلَّلَ اللَّيْلُ الْجِبَالَ، وَالْأَشْجَارَ، وَالْبَحَارَ، وَالْأَرْضَ، فَاجْتَمَعَتْ^(٢) لَهُ؛ فَقَدْ وَسَقَهَا^(٣).
وقال بعضهم: معنى «مَا وَسَقَ»: مَا جَمَعَ مِمَّا كَانَ مُتَشِيرًا بِالنَّهَارِ فِي تَصَرُّفِهِ إِلَى مَأْوَاهُ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ قَالَ الْفَرَاءُ: اتَّسَقَهُ: اجْتِمَاعُهُ^(٥) وَاسْتِوَاؤُهُ لَيْلَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، إِلَى سِتِّ عَشْرَةَ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَخَمَزُهُ، وَالْكِسَائِيُّ: «لَتَرْكَبَنَّ» بَفَتْحِ التَّاءِ وَالْبَاءِ^(٦).

وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خِطَابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) فِي الْأَصْلِ: يَمْنَعُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٢) فِي (م): فَأَجْمَعَتْ.

(٣) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢/ ٢٩١).

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ فُورْكَ فِي تَفْسِيرِهِ (٣/ ١٨٣)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣/ ٣٦٦)،
وَالْتَفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤/ ٤٥٤).

(٥) فِي (س)، وَ(م): امْتَلَاؤُهُ.

(٦) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: السَّبْعِيَّةُ؛ لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٦٧٧)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ٢٢١).

ثُمَّ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أحدهما: لَتَرْكَبَنَّ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ^(١)، وَالشَّعْبِيُّ^(٢)، وَمُجَاهِدٌ^(٣).

وَالثَّانِي: لَتَرْكَبَنَّ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، [وَقَالَ]^(٤): هُوَ نَبِيُّكُمْ^(٥).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى السَّمَاءِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُا تَتَغَيَّرُ ضُرُوبًا مِنَ التَّغْيِيرِ، فَتَارَةً كَالْمَهْلِ، وَتَارَةً كَالدَّهَانِ، رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا^(٦).

وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ: «لَتَرْكَبَنَّ» بَفَتْحِ التَّاءِ، وَضَمِّ الْبَاءِ، وَهُوَ خِطَابٌ لِسَائِرِ النَّاسِ^(٧). وَمَعْنَاهُ: لَتَرْكَبَنَّ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٢٥) مِنْ طَرِيقِ عَامِرٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمَاءٌ فَوْقَ سَمَاءٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢ / ٣٢٤) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمَاءٌ بَعْدَ سَمَاءٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٠ / ٣٤١٢) (١٩١٩٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الشَّعْبِيِّ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ قَالَ: لَتَرْكَبَنَّ يَا مُحَمَّدٌ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ.

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٧٥).

(٤) لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٤٠) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَشْرٍ جَعْفَرِ بْنِ إِيَّاسٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» «حَالًا بَعْدَ حَالٍ»، قَالَ: «هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ».

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٢٥) مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ مَرَّةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» قَالَ: السَّمَاءُ مَرَّةَ كَالدَّهَانِ، وَمَرَّةَ تَشَقَّقُ.

(٧) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: السَّبْعَةُ؛ لابْنِ مُجَاهِدٍ (ص: ٦٧٧)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ٢٢١).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجوزاء، وأبو الأشهب: «لَيْرَكْبَنَّ» بالياء^(١)، ونضِبِ البَاءِ^(٢). وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن يعمر: «لَيْرَكْبَنَّ» بالياء، ورفع^(٣) الباء^(٤).

و«عَن» بمعنى: «بعد»، وهذا قولُ عامَّةِ المفسرينَ واللغويين، وأنشدوا للأقرع بن حابس [من البسيط]:

إِنِّي أَمْرٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقٍ^(٥)

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ الشَّدَائِدُ وَالْأَهْوَالُ، ثُمَّ الْمَوْتُ، ثُمَّ الْبَغْثُ، ثُمَّ الْعَرَضُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦).

والثاني: أَنَّهُ الرَّخَاءُ بَعْدَ الشَّدَّةِ، وَالشَّدَّةُ بَعْدَ الرَّخَاءِ، وَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ، وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْغِنَى، وَالصَّحَّةُ بَعْدَ السَّقَمِ، وَالسَّقَمُ بَعْدَ الصَّحَّةِ، [٨٣١/أ] قَالَهُ الْحَسَنُ^(٧).

(١) في الأصل: لتركبن بالتاء، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في (م): اللام.

(٣) في (م): وضم.

(٤) قراءتان شاذتان، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٧٠)، والشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥٠٨).

(٥) البيت له في الكشف والبيان (٢٩ / ١٢٤)، والمحزر الوجيز (٥ / ٤٥٩)، والتذكرة الحمدونية (٨ / ١٤٥)، وتفسير القرطبي (١٩ / ٢٨٠)، والبحر المحيط (١٠ / ٤٣٤).

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٢١)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٧١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٧٦).

(٧) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٣٨)، والقرطبي (١٩ / ٢٧٩).

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ كَوْنُ الْإِنْسَانِ رَضِيْعًا، ثُمَّ فَطِيْمًا، ثُمَّ غَلَامًا، ثُمَّ شَابًّا، ثُمَّ شَيْخًا، قَالَهُ عَكْرَمَةُ^(١).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ تَغَيَّرُ حَالُ الْإِنْسَانِ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ الدُّنْيَا، فَيَرْتَفِعُ مَنْ كَانَ وَضِيْعًا، وَيَتَضَعُ مَنْ كَانَ مَرْتَفِعًا، وَهَذَا مَذْهَبُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ^(٢).

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ رَكُوبُ سَنَنِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٣).

وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: يَقُولُ مَنْ كَانَ الْيَوْمَ عَلَى حَالَةٍ، وَغَدًا عَلَى حَالَةٍ أُخْرَى، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ تَدْبِيرَهُ إِلَى سِوَاهُ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يَغْنِي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ [أَي] ^(٥): لَا يُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ، وَهُوَ اسْتِفْهَامُ انْكَارٍ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا يُصَلُّونَ، قَالَهُ عَطَاءٌ، وَابْنُ السَّائِبِ^(٦).

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٢١)، والماوردي في النكت والعيون

(٦ / ٢٣٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٧٦).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٣٨).

(٣) مجاز القرآن (٢ / ٢٩٢).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٢٥).

(٥) من (م).

(٦) ذكره عنهما الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٧٣).

والثاني: لَا يُخْضَعُونَ لَهُ، وَيَسْتَكِينُونَ لَهُ^(١)، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٢)، وَاخْتَارَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى. قَالَ: وَقَدْ اخْتَجَّ بِهَا قَوْمٌ، عَلَى وَجُوبِ سُجُودِ التَّلَاوَةِ، وَلَيْسَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى ذَلِكَ. وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: لَا يُخْشَعُونَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَضَافَ السُّجُودَ إِلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ، وَالسُّجُودُ يُخْتَصُّ بِمَوَاضِعَ مِنْهُ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بِالْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ فِي صُدُورِهِمْ وَيُضْمِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ التَّكْذِيبِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿يُوعُونَ﴾^(٤) فِي قُلُوبِهِمْ^(٥). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: أَوْعَيْتُ الْمَتَاعَ فِي الْوَعَاءِ، وَوَعَيْتُ الْعِلْمَ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أَي: أَخْبِرْهُمْ بِذَلِكَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: اجْعَلْ لِلْكَفَّارِ بَدَلَ الْبَشَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ وَالرَّحْمَةِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ^(٧). وَ«الْمُنُون» عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ: الْمَقْطُوعُ.

(١) ليست في (م).

(٢) تفسير الطبري (٢٤ / ٣٢٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (م): يَجْتَمِعُونَ.

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٢١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٦).

(٧) المصدر السابق.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑪ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑫ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ⑬ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ⑭ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑮ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ⑯ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑰ فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ ⑱ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ⑲ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ⑳ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ㉑ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ㉒﴾

[البروج: ١ - ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قد ذكرنا البروج في الحجر [آية: ١٦].

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: هو يوم القيامة بإجماعهم.

(١) قاله ابن عباس: أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣)، وابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٥١) عن ابن عباس قال: نزلت: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ بمكة. وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٠)، والبقاعي في مصاعد النظر (٣/ ١٧٥) الإجماع على مكيتها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ وَمَشْهُودٌ﴾ فيه أربعة وعشرون قولاً:

أحدها: أن الشَّاهد: يومُ الجمعة، والمشهود: يومُ عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ^(١)، وبه قال علي^(٢)، وابن عباس في رواية^(٣)، وابن زيد^(٤).

فعلى هذا سُمِّي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كُلِّ عاملٍ بما عمل^(٥) فيه، وسُمِّي يوم عرفة مشهوداً؛ لأنَّ الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٣٩)، الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٤)، والطبراني في الأوسط (١٠٩١)، وابن عدي في الكامل (٧٦ / ٢)، و(٢٣٣٦ / ٦)، والبيهقي (٣ / ١٧٠) من طريق علي موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة. وقال أبو عيسى: وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤١٢) (٣٥٦٤)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٣)، الثوري، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي، في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ وَمَشْهُودٌ﴾، وقال: «الشَّاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿وَشَهِدَ وَمَشْهُودٌ﴾ قال: «الشَّاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة». وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٣١) إلى ابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٤) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَشَهِدَ وَمَشْهُودٌ﴾: يوم الجمعة، ﴿وَشَهِدَ وَمَشْهُودٌ﴾: يوم عرفة.

(٥) ليست في (م).

والثاني: أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَه ابْنُ عُمَرَ^(١).

والثالث: أَنَّ الشَّاهِدَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، رَوَاهُ الْوَالِيبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢).

والرَّابِع: أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣).

والخامس: أَنَّ الشَّاهِدَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، رَوَاهُ يُوسُفُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤)، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ^(٥) بَنُ عَلِيٍّ^(٦).

والسَّادِسُ: أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْمَشْهُودَ: النَّاسُ، [قَالَه جَابِرٌ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٥) من طريق مغيرة، عن شباك، قال: سألت رجل الحسن بن عليٍّ، عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: سألت أحدا قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذَّبْح، ويوم الجمعة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يقول الله: ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يقول: يوم القيامة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٦-٣٣٧) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٠) من طريق يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة.

(٥) في (م): الحسين.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٢٥) من طريق أبي الضحى، عن الحسن بن عليٍّ، قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة.

بُنْ عَبْدِ اللَّهِ^(١)].

وَالسَّابِعُ: أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَه
الْحَسَنُ^(٣)].

وَالثَّامِنُ: أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ التَّرْوِيَةِ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَه سَعِيدُ
بْنُ الْمُسَيَّبِ^(٥).

وَالتَّاسِعُ: أَنَّ الشَّاهِدَ: هُوَ اللَّهُ، وَالْمَشْهُودَ: بَنُو آدَمَ، قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٦).

وَالْعَاشِرُ: أَنَّ الشَّاهِدَ: مُحَمَّدٌ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَه الضَّحَّاكُ^(٧).

وَالْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: [آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ]^(٨)، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ
الْقِيَامَةِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ^(٩).

(١) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٨)، والبلنسي في مبهمات القرآن
(٢ / ٦٩٥ - ٦٩٦).

(٣) في (م): الضَّحَّاكُ.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٣).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل
(٨ / ٣٨٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٦١).

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٨٢).

(٧) ذكره عنه مكي في الهداية (١٢ / ٨١٧٣).

(٨) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٥) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله:
﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة.

وَالثَّانِي عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: ابْنُ آدَمَ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، رَوَاهُ لَيْثٌ [٨٣١/ب] عَنْ مُجَاهِدٍ^(١)، وَبِهِ قَالَ عِكْرَمَةُ^(٢).

الثَّالِثَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذُرِّيَّتُهُ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ^(٣).

وَالرَّابِعَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ^(٤).

وَالْخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْمَشْهُودَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ^(٥).
وَالسَّادِسَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمَشْهُودَ: أُمَّتُهُ،
قَالَهُ أَبُو مَالِكٍ^(٦)، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١١٧].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٥) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾ قال: الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٧) عن ليث، عن مجاهد.

(٢) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٥٦٣).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٨٢).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٨ - ١٤٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٦٠)، والبلنسي في مبهمات القرآن (٢ / ٦٩٥).

(٥) ذكره عنه مكي في الهداية (١٢ / ٨١٧٤)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٤١).

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٦١).

وَالسَّابِعَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودَ: أُمَّتُهُ، قَالَهُ عَبْدُ
الْعَزِيزِ بْنُ يُحْيَى^(١)، وَبَيَّانُهُ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].
الثَّامَنَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَالْمَشْهُودَ: سَائِرُ النَّاسِ، قَالَهُ
الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ^(٢)، وَدَلِيلُهُ: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].
وَالتَّاسِعَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: الْحَقُّةُ، وَالْمَشْهُودَ: بَنُو آدَمَ، قَالَهُ مُحَمَّدٌ
بْنُ عَلِيٍّ التَّرْمِذِيُّ^(٣)، وَحُكِيَ عَنْ عِكْرَمَةَ نَحْوُهُ^(٤).

وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: الْحَقُّ، وَالْمَشْهُودَ: الْكَوْنُ، قَالَهُ الْجَنَيْدُ^(٥).

وَالْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَالْمَشْهُودَ: الْحَاجُّ.

وَالثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْمَشْهُودَ:
مُحَمَّدٌ ﷺ، وَبَيَّانُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ ... الْآيَةُ [آل عمران: ٨١].

وَالثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَلَايِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ، وَالْمَشْهُودَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبَيَّانُهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٨٢)،
وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٦١).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٤٩ - ١٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل
(٨ / ٣٨٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٦١).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٥٢ - ١٥٣)، والبغوي في معالم التنزيل
(٨ / ٣٨٢) ولم ينسبه، والزنجشيري في الكشاف (٦ / ٣٤٦)، وابن عطية في المحرر الوجيز
(٥ / ٤٦١).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٥٥) ولم ينسبه.

وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴿﴾ [آل عمران: ١٨] حَكَى هَذِهِ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الثَّغْلَبِيُّ^(١).

وَالرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الشَّاهِدَ: الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْمَشْهُودَ: الْأُمَمَ، حَكَاهُ شَيْخُنَا عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ^(٢).

وَفِي جَوَابِ الْقَسَمِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ قَالَه قَتَادَةُ^(٣)، وَالزَّجَّاجُ^(٤).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْدُوْدَ﴾ كَمَا أَنَّ الْقَسَمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَشْمِيسَ وَضَحْنَهَا﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حَكَاهُ الْفَرَّاءُ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ مَثْرُوكٌ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْدُوْدَ﴾؛ أَي: لُعِنُوا. وَالْأَخْدُوْدُ: شَقٌّ يُشَقُّ فِي الْأَرْضِ، وَالْجَمْعُ: أَخَادِيدُ. وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ حَفَرُوا حَفَائِرَ فِي الْأَرْضِ وَأَوْقَدُوا فِيهَا النَّارَ، وَأَلْقَوْا فِيهَا مَنْ لَمْ يَكْفُرْ.

(١) الكشف والبيان (٢٩ / ١٥١ - ١٥٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٤٠) من طريق سعيد، عن قتادة، قال: وقع القسم هاهنا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٧).

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٥٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٤ / ٣٤٠).

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِمْ عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَلِكٌ كَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ السَّحْرَ، فَكَانَ الْغُلَامُ يُمَرُّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَعْجَبَهُ أَمْرُهُ، فَتَبِعَهُ فَعَلِمَ بِهِ الْمَلِكُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ، فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَاجْتَهَدَ الْمَلِكُ فِي إِهْلَاكِهِ، فَلَمْ يَقْدِرْ، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَسْتُ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ؛ أَجْمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَاضْلُبْنِي عَلَى جَذَعٍ، وَازْمِنِي بِسَهْمٍ مِنْ كِنَانَتِي، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَفَعَلَ فَمَاتَ الْغُلَامُ؛ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَخَذَّ الْأَخَادِيدَ، وَأَضْرَمَ فِيهَا النَّارَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا، فَفَعَلُوا، وَهَذَا مُخْتَصَرُ الْحَدِيثِ، وَفِيهِ طَوْلٌ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي «الْمَغْنِيِّ» وَ«الْحَدَائِقِ»^(١) بِطَوْلِهِ مِنْ حَدِيثِ صُهِيبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ سَكِرَ، فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهَا: وَيْحَكَ! كَيْفَ الْمَخْرُجُ؟ فَقَالَتْ لَهُ: أَجْمَعَ أَهْلَ مَمْلَكَتِكَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ [٨٣٢/أ] عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحَلَّ نِكَاحَ الْأَخَوَاتِ، فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا فِي النَّاسِ وَتَنَاسَوْهُ، خَطَبَتْهُمْ فَحَرَّمَتْهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ، فَبَسَطَ فِيهِمُ السَّوْطَ، ثُمَّ جَرَدَ السَّيْفَ، فَأَبَوْا فَخَذَّ لَهُمْ أَخْدُودًا، وَأَوْقَدَ فِيهِ النَّارَ، وَقَذَفَ مَنْ أَبَى قُبُولَ ذَلِكَ، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٢).

(١) الحدائق (٢/ ٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٣٧) من طريق يعقوب القمي، عن جعفر عن ابن أبيزي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ١٦٤ - ١٦٥)، والبخاري في معالم التنزيل (٨/ ٣٨٥ - ٣٨٦).

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُمْ نَاسٌ أَقْتَلُوا مُؤْمِنُوهُمْ وَكُفَّارُهُمْ، فَظَهَرَ الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا أَنْ لَا يَغْدِرَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَغَدَرَ الْكُفَّارُ بِهِمْ، فَأَخَذُوهُمْ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: أَوْقِدُوا نَارًا، وَأَعْرِضُوا عَلَيْهَا فَمَنْ تَابَعَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فِذَاكَ الَّذِي تُحِبُّونَ، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْكُمْ أَفْحَمِ النَّارَ فَاسْتَرْخِمْ مِنْهُ، ففَعَلُوا، فجعل المسلمون يفتحونها، ذكره قتادة^(١).

وَالرَّابِعُ: أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اغْتَرَلُوا النَّاسَ فِي الْفِتْرِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ جَبَّارٌ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي دِينِهِ، فَأَبَوْا، فَخَدَّ لَهُمْ أَخْدُودًا، وَأَلْقَاهُمْ فِيهِ، قَالَه الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ^(٢).

وَالْخَامِسُ: أَنَّ جَمَاعَةً آمَنُوا مِنْ قَوْمِ يُوسُفَ بْنِ ذِي نُوَاسٍ بَعْدَ مَا رُفِعَ عِيسَى، فَخَدَّ لَهُمْ أَخْدُودًا، وَأَوْقَدَ فِيهِ النَّارَ، فَأَحْرَقَهُمْ كُلَّهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ انْحَبِ الْأَخْدُودَ﴾ وَهُمْ يُوسُفُ بْنُ ذِي نُوَاسٍ وَأَصْحَابُهُ، قَالَه مُقَاتِلٌ^(٣).

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَغْبُدُونَ صَنَمًا، وَمَعَهُمْ قَوْمٌ يَكْتُمُونَ إِيْمَانَهُمْ، فَعَلِمُوا بِهِمْ، فَخَدَّوْهُمُ أَخْدُودًا، وَقَذَفُوهُمْ فِيهِ، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ^(٤).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٨) من طريق سعيد، عن قتادة، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٦٧) من طريق شيان عن قتادة. وذكره مكِّي بن أبي طالب في الهداية (١٢ / ٨١٧٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٤٠) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ١٧٨)، ومكِّي في الهداية (١٢ / ٨١٨٢).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٦٤٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٧).

وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِينَ أُحْرِقُوا عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْحَبْشَةِ، قَالَهُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ^(١).

وَالثَّانِي: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢).

وَالثَّالِثُ: مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَهُ الْحَسَنُ^(٣).

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَانُوا مِنْ نَصَارَى الْيَمَنِ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً^(٤).

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦٨ / ٢٩) من طريق شريك، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام قال: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي. قال علي عليه السلام: بُعث نبي من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] فدعاهم النبي عليه السلام، فبايعه أناس فقاتلهم، فقتل أصحابه، وأخذ فأوثق فأفلت منهم، فخذوا أخدودًا، فملؤوها نَارًا فمَن تبع النبي رُمي فيها، ومن تابعهم تركوه، فجاءوا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت، فقال لها الصبي: يَا أُمَاهُ مُرِّي وَلَا تَنَافَقِي.

وإسناده ضعيف، فيه جابر بن يزيد، ضعيف رافضي، وشريك صدوق يخطئ كثيرًا. وأخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه؛ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٥٣ - ٥٥٤)، عن عبد الله بن نجى، عن علي. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٣٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس عليه السلام: ﴿قِيلَ اتَّخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾ ① النَّارَ ذَاتِ الْوُفُودِ ② قال: هم ناس من بني إسرائيل خدُّوا أخدودًا في الأرض، ثم أوقدوا فيها نَارًا، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالًا ونساء، فعُرِضُوا عليها، وزعموا أَنَّهُ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ.

وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٤١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٨٦) عن الضحَّاك.

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٤٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٨٦).

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٤٢)، والقرطبي في تفسيره (١٩ / ٢٨٩).



والرَّابِع: مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، قَالَه مُجَاهِدٌ^(١).

والخَامِس: مِنْ النَّبْطِ، قَالَه عِكْرَمَةُ^(٢).

وَفِي عَدَدِهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، قَالَه وَهْبٌ^(٣).

وَالثَّانِي: سَبْعُونَ أَلْفًا، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ^(٤).

وَالثَّلَاث: ثَمَانُونَ رَجُلًا وَتِسْعٌ^(٥) نِسْوَةٌ، قَالَه مُقَاتِلٌ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ هَذَا بَدَلٌ مِنْ «الْأَخْدُودِ» كَأَنَّهُ قَالَ: قَتَلَ أَصْحَابُ النَّارِ. و«الْوَقُودُ» مُفَسَّرٌ فِي الْبَقَرَةِ [آيَةُ: ٢٤].

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٣٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿قِيلَ أَمَحَبُّ الْأَخْدُودِ﴾ قَالَ: كَانَ شَقُوقٌ فِي الْأَرْضِ بَنَجْرَانَ كَانُوا يَعْذِّبُونَ فِيهَا النَّاسَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْقَاسِمُ بْنُ مُوسَى فِي جَزْئِهِ (ص: ٣٥) (٣٤)، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ١٦٩) مِنْ طَرِيقِ سَلَمِ بْنِ قَتِيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ أَمَحَبُّ الْأَخْدُودِ﴾ قَالَ: كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مِنَ النَّبْطِ. وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٤١)، وَالبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٣٨٦).

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ (١ / ٣٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ مَطْوَلًا، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ١٧٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ.

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ١٧٣).

(٥) فِي (م): تِسْعَةٌ.

(٦) تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ (٤ / ٦٤٧).

وَقَرَأَ أَبُو رَزِينِ الْعُقَيْلِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَالْحَسَنُ،
وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «الْوُقُودُ» بَضَمَّ الْوَاوُ^(١).
﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾؛ أَي: عِنْدَ النَّارِ، وَكَانَ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ جُلُوسًا عَلَى
الْكِرَاسِيِّ عِنْدَ الْأَخْدُودِ يَعْزُضُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُفْرِ، فَمَنْ أَبَى أَلْقَوْهُ.
﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾؛ أَي: حُضُورٌ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي
هَذِهِ الْآيَاتِ بِقِصَّةِ قَوْمٍ بَلَغَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَيَقِينِهِمْ أَنْ صَبَرُوا عَلَى التَّحْرِيقِ
بِالنَّارِ، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ﴾ وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «نَقِمُوا» بِكَسْرِ الْقَافِ^(٢).
قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: مَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ إِيْمَانَهُمْ^(٣). وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى
«نَقِمُوا»^(٤) فِي الْمَائِدَةِ [آيَةَ: ٥٩]، وَبِرَاءَةِ: [آيَةَ: ٧٤]، وَشَرَحْنَا مَعْنَى ﴿الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ﴾ فِي الْبَقَرَةِ: [آيَةَ: ١٢٩-٢٦٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أَي: لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا صَنَعُوا،
فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ بِمَا فَعَلُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ أَي: أَخْرَقُوهُمْ، وَعَذَّبُوهُمْ؛
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ١٣].

(١) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٠٨).

(٢) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٠٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٠٨).

(٤) في (س): شرحنا هذا المعنى.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ مِنْ شُرَكَهِمْ وَفَعَلِهِمْ ذَلِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفْرِهِمْ ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ بِمَا أَحْرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَكِلَا الْعَذَابَيْنِ فِي جَهَنَّمَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ.

وذهبَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى أَنَّ النَّارَ اِرْتَفَعَتْ إِلَى الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ فَأَحْرَقَتْهُمْ، فَذَلِكَ عَذَابُ الْحَرِيقِ فِي الدُّنْيَا^(١).

قَالَ الرَّبِيعُ: وَقَبَضَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تَمْسَهُمُ النَّارُ^(٢).

وَحَكَى الْفَرَّاءُ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ نَجَّوْا مِنَ النَّارِ، وَأَنَّهَا اِرْتَفَعَتْ فَأَحْرَقَتْ الْكُفْرَةَ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْقَوْزُ الْكَبِيرُ﴾؛ لِأَنَّهُمْ فَازُوا بِالْجَنَّةِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ: فَازُوا مِنْ عَذَابِ الْكُفَّارِ، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَخْذَهُ بِالْعَذَابِ إِذَا أَخَذَ الظَّلْمَةَ وَالْجَبَابِرَةَ ﴿لَشَدِيدٌ﴾^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يُبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُمْ، قَالَهُ الْجُمْهُورُ.

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٩١ - ٣٩٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٤٠) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٥٣).

(٤) ذكره الفراء في معاني القرآن (٣ / ٢٥٣).

(٥) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٣٩٢)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤٦٢)، والبعوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٨٨).

والثاني: يُدَيُّ العذابَ في الدنيا على الكُفَّارِ ثُمَّ يُعِيدُهُ عليهم في الآخرة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عباسٍ^(١)، وقد شرحنا في هود [آية: ٩٠] معنى «الودود، والمجيد» و[قَدْ]^(٢) قرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: «المجيد» بالخفض، وقرأ غيرُهم: بالرفع^(٣)، فمن رفع ﴿المجيد﴾ جعله من صفاتِ الله عزَّ وجلَّ، ومن كسر جعله من صفةِ العرش.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ﴾؛ أي: قد أتاك حديثٌ ﴿الجنود﴾ وهم الذين تجندوا على أولياء الله، ثُمَّ بَيَّنَّ مَنْ هُمْ، فقال تعالى: ﴿فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ﴾^(١٨) بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا يعني: مشركي مكة ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك والقرآن^(٤)؛ أي: لم يعتبرا بمن كان قبلهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾؛ أي: كريمٌ؛ لأنه كلامُ الله، وليس كما يقولون بشعرٍ، ولا كهانة، ولا سحرٍ.

وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابنُ السَّمِيعِ: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ» بغيرِ تنوينٍ وبخفضٍ «مجيد»^(٥).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدَيُّ وَيُعِيدُ﴾ قال: يُدَيُّ العذاب ويعيده. وذكره عنه النحاس في إعراب القرآن (٥ / ١٢١).

(٢) من (س).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٤) في (س): وللقرآن.

(٥) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٧١).

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾: وهو اللّوح المحفوظ، منه نُسخ القرآنُ وسائرُ الكتب، فهو محفوظٌ عند الله، محروسٌ به مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ والنُّقْصَانِ مِنْهُ.

وَقَرَأَ نَافِعٌ: «مَحْفُوظٌ» رَفَعًا عَلَى نَعْتِ الْقُرْآنِ^(١). فَاَلْمَعْنَى: إِنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

سُورَةُ الطَّارِقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ
(٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) قَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ ﴿[الطارق: ١ - ١٠].

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ قال ابن قتيبة^(٢): الطَّارِقُ: النُّجْمُ، سُمِّيَ
بذلك لأنَّه يَطْرُقُ؛ أي: يَطْلُعُ لَيْلًا، وَكُلُّ مَنْ أَتَاكَ لَيْلًا، فَقَدْ طَرَقَكَ، وَمِنْهُ
قَوْلُ هِنْدِ ابْنَةِ عُتْبَةَ [من المديد]:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ^(٣)
تُرِيدُ أَنْ أَبَانَا نَجْمٌ فِي شَرْفِهِ وَعُلُوِّهِ.

(١) قاله ابن عباس: أخرجه ابن الصُّرَيْس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، وابن مروييه كما
في الدر المشور؛ للسيوطي (٦/ ٥٥٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣)، عن
ابن عباس قال: نزلت: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ بِمَكَّةَ.
وقد حكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٤)، والباقعي في مصاعد النظر
(٣/ ١٧٨) الإجماع على مكيتها.

(٢) أدب الكاتب (ص: ٩٠).

(٣) البيت لها في أدب الكاتب (ص: ٩٠)، والمعاني الكبير (١/ ٥٣٠)، والفاخر (ص: ٢٣)،
والأغاني (١٢/ ٥١٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْاسْمَ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا طَرَقَ لَيْلًا، فَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَذَرِي مَا الْمَرَادُ بِهِ حَتَّى تَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ يَعْنِي: الْمَاضِي كَمَا بَيَّنَّا فِي الصَّافَاتِ [آيَة: ١٠].

وَفِي الْمَرَادِ بِهِذَا النَّجْمِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ زُحَلٌ، قَالَهُ عَلِيٌّ ؓ^(١).

وَرَوَى أَبُو الْجَوَزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ قَالَ: هُوَ زُحَلٌ، وَمَسْكَنُهُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُهُ مِنَ النُّجُومِ، فَإِذَا أَخَذَتِ النُّجُومُ أُمُكَّتْهَا مِنَ السَّمَاءِ، هَبَطَ، فَكَانَ مَعَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَهُوَ طَارِقٌ حِينَ يَنْزِلُ، وَطَارِقٌ حِينَ يَصْعَدُ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الثُّرَيَّا، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ^(٣).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ اسْمُ جَنْسٍ، ذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ قَرَأَ أَبُو بَنْ كَعْبٍ وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ: «إِنَّ» بِالتَّشْدِيدِ «كُلٌّ» بِالنَّضْبِ^(٥).

(١) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِي فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٤٦).

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٢٠٦).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٥٢) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قَالَ: كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِي الثُّرَيَّا النَّجْمَ.

وَذَكَرَهُ عَنْهُ فِي الْمَاورِدِي فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٤٦)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٤٦٤).

(٤) التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ (٢٣ / ٤٠٤).

(٥) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، انْظُرْ: الشَّوَاذُ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٥٠٩).

﴿لَمَّا عَلَيَهَا حَافِظٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابنُ عامِرٍ، وعاصِمُ الجحدريُّ^(١)،
 وحمزة، وأبو حاتمٍ عن يعقوبَ: «لَمَّا» بالتَّشديد، وقرأ الباقر: بالتَّخفيف^(٢).
 قال الزَّجاج: هذه الآيةُ جوابُ القسم، وَمَنْ خَفَّفَ؛ فالمعنى:
 لعلَّهَا حَافِظٌ، و«مَا» لغوٌ، وَمَنْ شَدَّدَ؛ فالمعنى: إِلَّا قَالَ: فاستعملتَ «لَمَّا»
 في موضعٍ «إِلَّا» في موضعين:
 أحدهما: هذا.

والآخر: في باب القسم، تقول^(٣): سألتُك لَمَّا فعلتَ، بمعنى: إِلَّا فعلتَ^(٤).
 قال المفسِّرون: المعنى: مَا مِنْ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ^(٥).
 وفيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُمُ الحَفَظَةُ مِنَ المَلَائِكَةِ، قاله ابنُ عباسٍ^(٦).
 قال قتادة: يحفظونَ على الإنسانَ عمله مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ^(٧).

(١) ليست في (س).

(٢) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٣) في (م): يقال.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١١).

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٥٦٨)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٠٥).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٥٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله:
 ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ قال: كل نفس عليها حفظة من الملائكة.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٥٣) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفيته يا ابن آدم قبضت إلى ربك.

والثاني: حافظٌ يحفظُ الإنسانَ حتَّى حين^(١) يُسلمُهُ إلى المقاديرِ، قاله الفراء^(٢).

ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى الْبَغْثِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾؛ أَي: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ؟ وَالْمَعْنَى: فَلْيَنْظُرْ نَظَرَ التَّفَكُّرِ وَالِاسْتِدْلَالِ؛ لِيَعْرِفَ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَهُ مِنْ نُطْفَةٍ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ مَلَأْ دَافِقٍ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ: مَذْفُوقٌ؛ كَقَوْلِ الْعَرَبِ: سِرٌّ كَاتِمٌ، وَهَمٌّ نَاصِبٌ، وَلَيْلٌ نَائِمٌ، وَعَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ^(٣). وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَجْعَلُونَ الْمَفْعُولَ فَاعِلًا.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَذْهَبُ سَيَّبِيهِ وَأَصْحَابُهُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: النَّسَبُ إِلَى الْإِنْدِفَاقِ، وَالْمَعْنَى: مِنْ مَاءٍ ذِي إِنْدِفَاقٍ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَابْنُ السَّمِيعِ، وَابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ: «الصُّلْبُ» بِضَمِّ الصَّادِ وَاللَّامِ جَمِيعًا^(٥). يَعْنِي: يَخْرُجُ مِنَ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: يُرِيدُ يَخْرُجُ مِنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، يَقُولُ لِلشَّيْئَيْنِ: لِيُخْرِجَنَّ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَمِنْ هَذَيْنِ خَيْرٌ كَثِيرٌ^(٦)؛ [بِمَعْنَى:

(١) ليست في (س).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٥٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣١١).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٧١)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٠٩).

(٦) في (م) يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير.

يُخْرِجُ مِنْهُمَا^(١) ^(٢).

وَفِي التَّرَائِبِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣).

قَالَ الزَّجَّاجُ^(٤): قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَجْمَعُونَ: التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ، وَأَتَشَدُّوا لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

مُهِفَفَةٌ بَيَضَاءٌ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ^(٥)

قَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللُّغَوِيِّ: قَالَ: السَّجْنَجَلُ: الْمِرْأَةُ بِالرُّومِيَّةِ. وَقِيلَ: هِيَ سَبِيكَةُ الْفِضَّةِ، وَقِيلَ: السَّجْنَجَلُ: الزَّغْفَرَانُ، وَقِيلَ: مَاءُ الذَّهَبِ^(٦). وَيُرْوَى الْيَتُّ: «بِالسَّجْنَجَلِ»^(٧).

(١) من (م).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٥٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿الضُّلَيْبِ وَالْأَرْيَابِ﴾ قال: الترائب: موضع القلادة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣١٢).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٤٠)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٣١٢)، وشرح القصائد السبع؛ للأنباري (ص: ٥٨).

(٦) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٢٧).

(٧) انظر: شرح المعلقات التسع؛ المنسوب لأبي عمرو الشيباني (ص: ١٤٦)، وشرح القصائد السبع؛ للأنباري (ص: ٥٩).

والثاني: أَنَّ التَّرَائِبَ: اليَدَانِ، والرَّجْلَانِ، والعَيْنَانِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ^(٢).

والثالث: أَنَّهَا أَرْبَعَةٌ^(٣) أَضْلَاعٌ مِنْ يُمْنَةِ الصَّدْرِ، وَأَرْبَعَةٌ^(٤) أَضْلَاعٌ مِنْ يُسْرَةِ الصَّدْرِ، حِكَاةُ الرَّجَاجِ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ﴾ الهَاءُ كَنَاءَةٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿عَلَى جَمِيعِهِ﴾ الرَّجْعُ: رَدُّ الشَّيْءِ إِلَى أَوَّلِ حَالِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْهَاءِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ.

ثُمَّ فِي الْمَعْنَى^(٦) قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ حَيًّا بَعْدَ مَوْتِهِ قَادِرٌ، قَالَهُ الْحَسَنُ^(٧)،

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٥٥) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قَالَ: فَالتَّرَائِبُ أَطْرَافُ الرَّجُلِ وَالْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ وَالْعَيْنَانِ، فَتِلْكَ التَّرَائِبُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٥٥) مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: ثَنَا عَيْبِدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: عَيْنَاهُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ.

(٣) فِي (س): أَرْبَعٌ.

(٤) فِي (س): وَأَرْبَعٌ.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣١٢).

(٦) فِي (م): ثُمَّ فِيهِ.

(٧) ذَكَرَهُ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ الْمَاورِدِيِّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٤٧).



[٨٣٣ / ب]

وَقَتَادَةُ^(١).

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ مِنْ حَالِ الْكِبَرِ إِلَى الشَّبَابِ، وَمِنْ الشَّبَابِ إِلَى الصَّبَا، وَمِنْ الصَّبَا إِلَى النُّطْفَةِ قَادِرٌ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ^(٣).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا تَعُودُ إِلَى^(٤) الْمَاءِ.

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: عَلَى^(٥) رَدِّ الْمَاءِ فِي الْإِخْلِيلِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ^(٦).

وَالثَّانِي: عَلَى رَدِّهِ فِي الصُّلْبِ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ^(٧)، وَالضَّحَّاكُ^(٨).

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٥٨)، وذكره مكي في الهداية (١٢ / ٨١٩٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٥٨) من طريق مقاتل بن حيان، عن الضحَّاك قال: سمعته يقول في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَّ رَجِيعِهِ لَقَادِرٌ﴾ يقول: إن شئتُ رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصَّبَا، ومن الصَّبَا إلى النُّطْفَةِ.

(٤) في (م): على.

(٥) ليست في (م).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٥٧) من طريق ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَّ رَجِيعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: على أن يرد الماء في الإخْلِيلِ.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٥٧) من طريق أبي رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَّ رَجِيعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: إنه على رَدِّهِ فِي صُلْبِهِ لِقَادِرٍ.

(٨) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤١٣).

والثالث: على حبس الماء فلا يخرج، قاله ابن زيد^(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ قال المفسرون: تختبر السرائر التي بين العبد وبين ربه حتى يظهر خيرها من سرها، ومؤدبها من مضيعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا، لا يدري أصلي أم لا؟ أتوصاً أم لا؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سر، فكان زيناً في الوجه، أو شيناً.

وقال ابن قتيبة: تختبر سرائر القلوب^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: فما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ﴿وَلَا نَاصِرَ﴾ ينصره.

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجَمِ ۝ (١١) وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ (١٥) وَكَيْدُهُمْ أَكْبَرُ ۝ (١٦) فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الطارق: ١١ - ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجَمِ﴾ أي: ذات المطر، وسُمي المطر رجعاً؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر.

﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي: ذات الشق. وقيل لها هذا لأنها تصدع وتشقق بالنبات، هذا قول المفسرين وأهل اللغة في الحرفين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ يعني به: القرآن، وهذا جواب القسم.

والفصل: الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما.

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٥٧) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ عَلَى رَجْمِهِ لَقَائِدٌ ﴿﴾ قال: على رجوع ذلك الماء لقادر.

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٢٣).

﴿رَمَاهُمُ الْهَزْلُ﴾؛ أي: باللَّعب. والمعنى: إنه جدُّ، ولم ينزل باللَّعب. وبغضُّهم يقول: الهاء، في «إنه» كناية عن الوعيد المتقدِّم ذكره. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يغني: مُشركي مَكَّةَ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ [أي: يختالون]^(١)، وهذا^(٢) الإختيال في^(٣) المكرِ برسولِ الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؛ أي: أجازيهم على كيدهم بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون، فأنتقم منهم في الدنيا بالسَّيفِ وفي الآخرة بالنَّارِ. ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ هذا وعيدٌ من الله لهم، ومَهْلٌ وأمهْلٌ لغتان جُمعتا هاهنا. ومعنى الآية: مهلهم قليلاً حتَّى أُهْلِكَهُم ففعل الله ذلك بيدٍ، ونسخ الإمهال بآية السَّيفِ.

قال ابنُ قُتيبة: ومعنى «رُويداً»: مهلاً، ورُويْدُكُ: بمعنى: أمهل، قال تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا﴾؛ أي: أمهلهم قليلاً، فإذا لم يتقدَّمها: «أَمْهَلُهُمْ» كانت بمعنى: «مهلاً»، ولا يُتكلَّم بها إلَّا مصغرةً ومأموراً بها، وجاءت في الشَّعر بغيرِ تصغيرٍ في غيرِ معنى الأمر^(٤)، قال الشَّاعرُ [من البسيط]:

(١) من (م).

(٢) في (س): وهو.

(٣) ليست في (م).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٩٦).

كَأَنَّهَا مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ^(١)^(٢)

.....

أي: على مهلٍ.

(١) في الأصل: رويدا، والمثبت من سائر النسخ، ومن مصادر تخرج البيت.

(٢) عجز بيت للجموح الظفري في شرح أشعار الهذليين (ص: ٨٧٢)، والتنبيه والإيضاح

(٢ / ٢٣)، وبلا نسبة في الصاحبى (ص: ١١٠)، ومجمل اللغة (ص: ٤٠٥)، ومقاييس

اللغة (٢ / ٤٥٨)، والمحكم والمحيط (٩ / ٣٧٦)، وجمهرة الأمثال (١ / ٤٨٣).

سُورَةُ الْأَعْلَى^(١)

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُبَشِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَارُ (١٠) وَنَجْنِبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١ - ١٣].

وفي معنى ﴿سَبِّحْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: قل: سبحان ربِّي الأعلى، قاله الجفمهور.

والثاني: عَظَّم.

(١) بهذا الاسم سماها أكثر المفسرين، وكتاب المصاحف، لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، وتسمى كذلك بسورة (سبح). انظر: مصاعد النظر؛ للبقاعي (٣/ ١٨٠).

(٢) قاله ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة: ابن عباس: أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٦٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣) عن ابن عباس، قال: نزلت سورة ﴿سَبِّحْ﴾ بمكة. ابن الزبير: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٦٤) قال: أنزلت سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ بمكة. عائشة: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٦٤) قالت: نزلت سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ بمكة.

وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٨)، والبقاعي في مصاعد النظر (٣/ ١٨٠) الإجماع على مكيّتها.

والثالث: صَلَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ، رُوي القُولَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).

والرابع: نَزَّهَ رَبُّكَ عَنِ السُّوءِ، قَالَه الزَّجَّاجُ^(٢).

والخامس: نَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ، وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ أَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ مُعْظَمٌ لَهُ، خَاشِعٌ لَهُ^(٣)، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ^(٤).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَسْمَرَ رَبِّكَ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ ذِكْرَ الْإِسْمِ صَلََةٌ؛ كَقَوْلِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ [مِن الطَّوِيلِ]: [٨٣٤/أ]

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ^(٥)

وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى أَصْلِهِ^(٦).

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: سَبَّحَ رَبُّكَ، وَسَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ سَوَاءٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أَي: فَعَدَّلَ الْخَلْقَ. وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى هَذَا الْمَعْنَى

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٦٧)، وذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٣٦)،
والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٥١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٠٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٥).

(٣) ليست في (س).

(٤) الكشف والبيان (٢٩ / ٢٣٦).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٥١)، ومجاز القرآن (١ / ١٦)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة
(ص: ٧)، والتعازي؛ للمبرد (ص: ٨٣)، وتفسير الطبري (١ / ١١٩)، وبلا نسبة في
معاني القرآن؛ للفراء (١ / ٤٤٨).

(٦) في (م): أنه أصلي.

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٥٦).

في الانفطار [آية ٧]: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ قرأ الكسائي وخدّه: «قَدَّرَ» بالتخفيف^(١).

﴿فَهَدَى﴾ فيه سبعة أفعال:

أحدها: قَدَّرَ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَهَدَى لِلرُّشْدِ وَالضَّلَالَةِ، قَالَه مُجَاهِدٌ^(٢).

والثاني: جَعَلَ لِكُلِّ دَابَّةٍ مَا يُصْلِحُهَا وَهَدَاهَا إِلَيْهِ، قَالَه عَطَاءٌ^(٣).

والثالث: قَدَّرَ مُدَّةَ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ، ثُمَّ هَدَى^(٤) لِلخُرُوجِ، قَالَه السُّدِّيُّ^(٥).

والرابع: قَدَّرَهم ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَهَدَى الذَّكَرَ لِإِثْبَانِ الْأُنْثَى، قَالَه مُقَاتِلٌ^(٦).

والخامس: أَنَّ الْمَعْنَى: قَدَّرَ فَهَدَى وَأَضَلَّ، فَحَذَفَ «وَأَضَلَّ»؛ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ^(٧)، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ^(٨).

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٧٢٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٦٩) من طريق ابن أبي نجيع، عن مجاهد، قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال: هدى الإنسان للشقوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٤٨٢) إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٣٨).

(٤) في (م): هداه.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٣٩)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٥٣)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٣٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٠٠).

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٦٦٩).

(٧) في (س): عليه.

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٥).

والسَّادس: قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ وَهَدَى إِلَى طَلِبِهَا.

والسَّابع: قَدَّرَ الذُّنُوبَ وَهَدَى إِلَى التَّوْبَةِ، حَكَاهُمَا النَّعْلِيُّ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾؛ أَي: أَثْبَتَ الْعُشْبَ، وَمَا تَرَعَاهُ الْبَهَائِمُ ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بَعْدَ الْخُضْرَةِ ﴿غُثَاءً﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: جَفَّفَهُ حَتَّى جَعَلَهُ^(٢) هَشِيمًا جَافًا كَالْغُثَاءِ الَّذِي تَرَاهُ فَوْقَ مَاءِ السَّيْلِ^(٣).

وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ [آيَة: ٤١].

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُخْوَى﴾ فَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْأُخْوَى: الَّذِي قَدْ اِسْوَدَّ عَنِ الْقَدَمِ، وَالْعِثْقِ، وَيَكُونُ أَيْضًا: أَخْرَجَ الْمَرْعَى أُخْوَى - اِسْوَدَّ مِنَ الْخُضْرَةِ - ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾^(٤)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٤].
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَنْقُرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: سَنُعَلِّمُكَ^(٥) الْقُرْآنَ، وَنَجْمُهُ فِي قَلْبِكَ فَلَا تَنْسَاهُ أَبَدًا^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسَخَهُ فَيَنْسَاهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ^(٧).

(١) الكشف والبيان (٢٩ / ٢٣٩).

(٢) في (س): صيرَه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٥).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٢٥٦).

(٥) في (م): سنقرئك.

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٦٦٩).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٦).

والثاني: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَنْسَاهُ ثُمَّ تَذْكُرُهُ بَعْدُ^(١)، حكاية الزجاج^(٢).

والثالث: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ لِمَا لَا يَقَعُ^(٣)، قَالَ الْفَرَّاءُ: لَمْ يَشَأْ أَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] فَلَا يَشَاءُ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ﴾ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ مِنْهُمَا ﴿وَيُبَيِّنُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أَي: نُسَهِّلَ عَلَيْكَ عَمَلَ الْخَيْرِ ﴿فَذَكِّرْ﴾ أَي: عِظْ أَهْلَ مَكَّةَ.

﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ وَفِي «إِنْ» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الشَّرْطِيَّةُ.

وَفِي^(٥) مَعْنَى الْكَلَامِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِنْ قُبِلَتِ الذِّكْرَى، قَالَهُ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ^(٦).

وَالثَّانِي: إِنْ نَفَعَتْ، وَإِنْ لَمْ تَنْفَعْ، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ^(٧).

(١) فِي الْأَصْل: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسَخَهُ، ثُمَّ يَذْكُرُهُ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ سَائِرِ النِّسَخِ.

(٢) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ (٣١٦/٥).

(٣) فِي (م): اسْتِثْنَاءٌ لَا يَقَعُ.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢٥٦/٣).

(٥) فِي (س): ثُمَّ فِي.

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَآوَرِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/٢٥٤).

(٧) التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ (٢٣/٤٤٢).

والثاني: أنها بمعنى: «قد»، فتقديره: قد نفعت الذكرى، قاله مقاتل^(١).

والثالث: أنها بمعنى: «ما»، فتقديره: فذكر ما نفعت الذكرى،
حكاؤه الماوردي^(٢).

قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ﴾ سَيَعِظُ بِالْقُرْآنِ ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ﴿وَيَتَجَنَّبُ الذِّكْرَى﴾ (١١) الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى؛ أي: العظيمة الفظيعة؛
لأنها أشد من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْتَجِ﴾ حياة تنفعه.
وقال ابن جرير: تصير نفس أحدهم في حلقه، فلا تفارقه^(٣)
فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا^(٤).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٢) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)
وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿
[الأعلى: ١٤ - ١٩].

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قال الزجاج: أي: صادف البقاء الدائم،
والفوز [بالنعيم]^(٥) (٦).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٦٦٩).

(٢) النكت والعيون (٦ / ٢٥٤).

(٣) في (م): فلا تخرج فتفارقه.

(٤) تفسير الطبري (٢٤ / ٣٧٣).

(٥) من (م).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٦).

﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

- أحدها: مَنْ تَطَهَّرَ ^(١) مِنَ الشَّرْكَ بِالْإِيمَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٢).
 [٨٣٤/ب]
 والثاني: مَنْ أَعْطَى صَدَقَةَ الْفِطْرِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ^(٣)،
 وَعَطَاءٌ ^(٤)، وَقَتَادَةُ.
 والثالث: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ زَاكِيًا، قَالَ الْحَسَنُ ^(٥)، وَالرَّبِيعُ ^(٦).
 والرابع: أَتَمَّ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ كُلِّهَا، قَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ ^(٧).
 والخامس: تَكَثَّرَ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَمَعْنَى الزَّكَاةِ: النَّامِيُّ الْكَثِيرُ، قَالَ الزَّجَّاجُ ^(٨).

(١) فِي الْأَصْلِ: يَظْهَرُ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٣٧٣ / ٢٤) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ يَقُولُ: مَنْ تَزَكَّى مِنَ الشَّرْكَ.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ؛ لِلْسَّيُوطِيِّ (٦ / ٥٦٨)، وَذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٢٤٨)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤٠٢).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ؛ لِلْسَّيُوطِيِّ (٦ / ٥٦٩).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٣٧٣ / ٢٤) مِنْ طَرِيقِ هِشَامٍ، عَنْ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قَالَ: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ زَاكِيًا. وَذَكَرَهُ النُّحَاسُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ (٥ / ٢٠٧)، وَالْمَاورِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٥٥)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤٠٢).

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٥٥).

(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٧٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْأَحْوَصِ، وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٥٥).

(٨) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣١٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ قد سبق بيانه^(١).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَمُقَاتِلٌ^(٣).

وَالثَّانِي: صَلَاةُ الْعِيدَيْنِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ^(٤).

وَالثَّلَاثُ: صَلَاةُ التَّطَوُّعِ، قَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ^(٥)، وَالْقَوْلُ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْآيَتَيْنِ^(٦)، فَإِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ بِإِخْلَافٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ زَكَاةٌ وَلَا عِيدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ قُتَيْبَةَ، وَزَيْدٌ عَنْ يَغْقُوبَ «بَلْ يُؤْثِرُونَ» بِالْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ: بِالتَّاءِ^(٧)، وَاخْتَارَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ التَّاءَ^(٨)؛ لِأَنَّهُمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ: «بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ»^(٩).

(١) سبق في سورة الأحزاب آية: ٣١.

(٢) أخرجه الطبري (٣٧٥ / ٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَصَلِّ﴾ يقول: صَلَّى الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٦٧٠).

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٥٥).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢ / ٣٥٣) (٩٨٢٥)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٧٤) من طريق عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص. وذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٥٥).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٤ / ٣٧٥).

(٧) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٨) معاني القرآن (٣ / ٢٥٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣١٦).

(٩) قراءة شاذة، انظرها في: معاني القرآن؛ للفرأ (٣ / ٢٥٧)، وتفسير الطبري (٢٤ / ٣٧٦).

فَإِنْ أُريدَ بِذَلِكَ الْكُفَّارُ؛ فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يُؤَثِّرُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ أُريدَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ؛ فَالْمَعْنَى: يُؤَثِّرُونَ الْإِسْتِكْثَارَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِسْتِكْثَارِ^(١) مِنَ الثَّوَابِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ الدُّنْيَا عَجَّلَتْ لَنَا، وَإِنَّ الْآخِرَةَ نَعِثَتْ لَنَا، وَزُوِيَتْ عَنَّا، فَأَخَذْنَا بِالْعَاجِلِ [وَتَرَكْنَا الْآجِلَ]^{(٢)(٣)}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ يَعْنِي: الْجَنَّةَ أَفْضَلَ ﴿وَأَبْقَى﴾ أَي: أَدْوَمَ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ فِي الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قَالَه قَتَادَةُ^(٤).

وَالثَّانِي: هَذِهِ^(٥) السُّورَةُ، قَالَه عِكْرَمَةُ^(٦)، وَالسُّدِّي^(٧).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ السُّورَةَ، وَلَا أَلْفَظَهَا بَعِيْنَهَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الْفَلَاحَ

(١) فِي (م): الْإِسْتِحْسَانُ.

(٢) مِنْ (م).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الزَّهْدِ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَرْفَجَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٧٥).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٣٧٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ قَالَ: تَابَعْتُ كَتَبَ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

(٥) فِي (س): أَنَّ هَذِهِ.

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٤٧٢)، وَالْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤٠٣).

(٧) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٤٧٢).

﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ (١) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى، كَمَا هُوَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَه ابْنُ قُتَيْبَةَ (١).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَبْقَى﴾، قَالَه ابْنُ جَرِيرٍ (٢).

ثُمَّ بَيَّنَّ الصُّحُفَ الْأُولَى مَا هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وَقَدْ فَسَّرْنَاهَا فِي النَّجْمِ [آيَةُ: ٣٦].

(١) غريب القرآن (ص: ٥٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٤ / ٣٧٧).

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُشْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝﴾
[الغاشية: ١ - ٧].

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي: قد أتاك قاله، فُطِرْتُ^(٢).

وقال الزجاج: والمعنى: هذا لم يكن من علمك، ولا من علم قومك^(٣).

وفي ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال، قاله ابن عباس^(٤)،

(١) قاله: ابن عباس، وابن الزبير: ابن عباس: أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في النسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٧٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نزلت سورة الغاشية بمكة. ابن الزبير: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٧٢) عن ابن الزبير مثله.
وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٢)، والبقاعي في مصاعد النظر (ص: ١٨٦) الإجماع على مكيته.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٥٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣١٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٨١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده.

وَالضَّحَّاكُ^(١)، وَابْنُ قُتَيْبَةَ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهَا النَّارُ تَغْشَى وَجُوهَ الْكُفَّارِ، قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٣)،
وَالْقُرْطُبِيُّ^(٤)، وَمُقَاتِلٌ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَعَةٌ﴾؛ أَي: ذَلِيلَةٌ. وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا وَجُوهُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ جَمِيعُ الْكُفَّارِ، قَالَه يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الَّذِينَ عَمِلُوا وَنَصَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛
كَعَبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ مِثْل: الرَّهْبَانِ وَغَيْرِهِمْ، رَوَاهُ عَطَاءٌ،
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٨).

(١) أَخْرَجَهُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٢/ ٦٥٧) مِنْ طَرِيقِ مِرْوَانَ، عَنْ جُوَيْرٍ،
عَنِ الضَّحَّاكِ. وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٥٧).

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٢٥).

(٣) أَخْرَجَهُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٢/ ٦٥٧) مِنْ طَرِيقِ أَشْعَثَ، عَنْ جَعْفَرٍ،
عَنْ سَعِيدٍ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ٣٨٢).

(٤) أَي: مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩/ ٢٦٣)، وَابْنُ عَطِيَّةٍ فِي
الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ (٥/ ٤٧٢).

(٥) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤/ ٦٧٧).

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٥٨).

(٧) ذَكَرَهُ عَنْهُ أَيْضًا الْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٥٧).

(٨) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤/ ٤٧٣)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨/ ٤٠٤).

والثاني: أَنَّهُمُ الرُّهْبَانُ، وَأَصْحَابُ الصَّوَامِعِ، رَوَاهُ أَبُو الضُّحَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(١).

والثالث: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ فِي النَّارِ بِمَعَالِجَةِ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ [٨٣٥ / أ]؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَمَّلُوا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَأَعْمَلَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ، وَرَوَى هَذَا الْمُعْنَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ^(٣).

وَقَالَ قَتَادَةُ: تَكَبَّرَتْ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَأَعْمَلَهَا وَأَنْصَبَهَا^(٤) فِي النَّارِ بِالْإِنْتِقَالِ مِنْ عَذَابٍ إِلَى عَذَابٍ^(٥).

قَالَ الضَّحَّاكُ: يُكَلَّفُونَ ارْتِقَاءَ جَبَلٍ [مِنْ حَدِيدٍ]^(٦) فِي النَّارِ^(٧).

وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ: يَحْرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ فِي النَّارِ^(٨).

(١) ذكره عنهم الثعلبي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٥٩)، والمحرم الوجيز (٥ / ٤٧٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٨٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ فَإِنَّهَا تَعْمَلُ وَتَنْصَبُ مِنَ النَّارِ.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٢) من طريق ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، قرأ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار.

(٤) ليست في (س).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٢) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تَكَبَّرَتْ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَأَعْمَلَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ.

(٦) من (س).

(٧) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٠٧).

(٨) المصدر السابق.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: عَامِلَةٌ فِي النَّارِ تَأْكُلُ مِنَ النَّارِ، نَاصِبَةٌ لِلْعَذَابِ^(١).
والرَّابِعُ: عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي، نَاصِبَةٌ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَه
عِكْرَمَةُ^(٢)، وَالسُّدِّيُّ^(٣).

وَالْكَلَامُ هَاهُنَا عَلَى الْوُجُوهِ، وَالْمَرَادُ أَصْحَابُهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى
«النَّصَبِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨].
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُضَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْبُضْرَةِ وَعَاصِمٌ إِلَّا حَفْصًا:
«تُضَلَّى» بَضَمَ التَّاءِ، وَالْبَاقُونَ: بَفَتْحِهَا^(٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ حَمِيَتْ فِيهِ تَلْظَى عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ^(٥).

﴿تُشَقَّقِي مِنْ عَيْنٍ أَيْتَةٍ﴾؛ أَي: مُتَنَاهِيَةً فِي الْحَرَارَةِ.

قَالَ الْحَسَنُ: وَقَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهَا جَهَنَّمُ مِنْذُ خُلِقَتْ، فَدَفِعُوا إِلَيْهَا
وَرَدًّا عِطَاشًا^(٦).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٦٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٧٣)، وذكره النحاس في
إعراب القرآن (٥ / ٢١٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٦٦).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٠٧)،
وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٧٢).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢١).

(٥) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٦٠)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤٧٤)،
والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٤٧٤).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (ص: ٩٠) (١٢٩) من طريق يزيد بن زريع، عن
يونس، عن الحسن، وذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٧٤)، والبغوي في =

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: أنه نبت ذو شوكٍ لاطٍ^(١) بالأرض وتسميه قريش: «الشَّبرق» فإذا هاج سمّوه: ضريعاً، رواه العوفي عن ابن عباس^(٢)، وبه قال مجاهد^(٣)، وعكرمة^(٤)، وقتادة^(٥).

والثاني: أنه شجرٌ من نارٍ، رواه الواليُّ عن ابن عباس^(٦).

والثالث: أنها^(٧) الحجارة، قاله ابن جبير^(٨).

=معالم التنزيل (٨ / ٤٠٨).

(١) في (م): لاطن.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: الضريع: الشَّبرق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٤) من طريق سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: الشَّبرق. ومن طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ضَرِيعٍ﴾ قال: الشَّبرق اليابس.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٤) من طريق محمد بن سليمان، عن عبد الرحمن الأصبهاني، عن عكرمة في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: الشَّبرق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٤) من طريق معمر، عن قتادة ﴿لَا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: هو الشَّبرق إذا يبس يسمى الضريع.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ يقول: شجر من نار.

(٧) في (س): أنه.

(٨) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٨٥) من طريق جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: الحجارة.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ السَّلَاءُ^(١)، قَالَ أَبُو الْجَوَزَاءِ^(٢).

وَالخَامِسُ: أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا الشُّوكُ الْيَابِسُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَرَقٌ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ شُوكٌ مِنْ نَارٍ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ^(٣).

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ طَعَامٌ يَضْرَعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ^(٤).

قَالَ الْمَفْسُرُونَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ إِلَهَنَا لَتَسْمَنُ عَلَى الضَّرِيعِ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ وَكَذَّبُوا؛ فَإِنَّ الْإِبِلَ إِنَّمَا تَرْعَاهُ مَا دَامَ رَطْبًا، وَحَيْثُ يُسَمَّى شَبْرَقًا، لَا ضَرِيعًا، فَإِذَا يَبَسَ يُسَمَّى:

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَ(س)، وَ(ف)، وَفِي (م): السَّلْمُ. وَالسَّلَاءُ: مُفْرَدٌ سَلًا، وَهِيَ شُوكَةٌ النَّخْلَةِ، وَالْجَمْعُ سُلَاءٌ. انْظُرْ: النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٢/ ٣٨٧).

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣/ ٤٦٣)، وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ (٣١/ ١٤٠).

وَرَوَايَةُ السَّلْمِ: أَخْرَجَهَا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنِّفِهِ (٧/ ٢٣٨) (٣٥٦٥٧) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْجَوَزَاءِ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: السَّلْمُ كَيْفَ يَسْمَنُ مَنْ يَأْكُلُ الشُّوكَ، وَذَكَرَهَا عَنْهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٥٩) وَالسَّلْمُ: شَجَرٌ مِنَ الْعُضَاهِ، وَوَرَقُهَا الْقَرَطُ الَّذِي يَدْبَغُ بِهِ الْأَدِيمَ. وَقَالَ شَمْرٌ: السَّلْمَةُ شَجَرَةٌ ذَاتُ شُوكٍ يَدْبَغُ بِوَرَقِهَا وَقَشْرِهَا وَيُسَمَّى وَرَقُهَا الْقَرَطُ. انْظُرْ: لِسَانَ الْعَرَبِ (١٢/ ٢٩٦) مَادَّةُ: (سَلْم).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٣٨٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قَالَ: الضَّرِيعُ: الشُّوكُ مِنَ النَّارِ. قَالَ: وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الضَّرِيعَ: الشُّوكُ الْيَابِسُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَرَقٌ، تَدْعُوهُ الْعَرَبُ الضَّرِيعَ.

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (٢٩/ ٢٧٠)، ذَكَرَهُ أَيْضًا الْمَوَارِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٦٠) وَنَسَبَهُ لِابْنِ بَحْرٍ.

ضريعاً لم يأكله شيء^(١).

فإن قيل: إنه قد أخبر في هذه الآية أنه لا طعام^(٢) لهم إلا الضريع، وفي مكان آخر: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٦] فكيف الجمع بينهما؟

فالجواب: أن النار دركات، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه غسلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد، قاله ابن قتيبة^(٣).

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۖ (٨) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ (٩) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۖ (١٠) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ (١١) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ (١٢) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ (١٣) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ (١٤) وَزَرَارٍ مَبْنُوتَةٌ ۖ (١٥) أَفْلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ (١٦) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ (١٧) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ (١٨) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ (١٩) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ (٢٠) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۖ (٢١) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ (٢٢) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۖ (٢٣) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ (٢٤) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٨ - ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي: في نعمة وكرامة ﴿لِّسَعِيهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: رضى بشواب عملها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ قد فسّرناه في الحاقة [آية: ٢٢].

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٧١)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٦٦ - ٤٦٧).

(٢) في الأصل: إطعام، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٨).

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وزويس: «لا يُسْمَعُ» بياءٍ مضمومةٍ «لاغية» بالرفع. وقرأ^(١) نافع كذلك إلا أنه بتاءٍ مضمومة، والباقون: بتاء مفتوحة، ونصب «لاغية»^(٢). والمعنى: لا تسمع فيها كلمة لغو.

﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ألواحها من ذهبٍ مكلَّلةٍ بالزبرجد، والدرّ، والياقوت، مرتفعة ما لم يحنِ أهلها، فإذا أراد أن يجلسَ عليها صاحبها، تواضعت له حتّى يجلسَ عليها، ثم ترتفع إلى موضعها^(٣).
﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ عندهم، وقد ذكرنا الأكواب في الزخرف [آية: ٧١]،
﴿وَنَمَارِقُ﴾: وهي الوسائد، واحدها: نمرقة؛ بضم النون.

قال الفراء: وسمعتُ بعضَ كلبٍ تقول: نمرقة، بكسر النون والراء^(٤).

[٨٣٥/ب] ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى جنبٍ بغضٍ، والزرايبي: الطنافس [التي]^(٥) لها خمل رقيق ﴿مَبْنُوثَةٌ﴾: كثيرة. قال ابنُ قُتيبة: كثيرة مفرقة^(٦)^(٧).

(١) في (س): وقرأه.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

(٣) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٠ / ٤٨٧)، وفي التفسير الوسيط (٤ / ٤٧٥).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٣٥٨).

(٥) من (م).

(٦) في (م): متفرقة.

(٧) غريب القرآن (ص: ٥٢٥).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: لما نعت الله سبحانه ما في الجنة؛ عجب من ذلك أهل الكفر، فذكروهم صنعه؛ فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ﴾^(١).
وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها، فقالوا: كيف نضعدها؟ فنزلت هذه الآية^(٢).

قال العلماء: وإنما خص الإبل من غيرها؛ لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل، إلا الشاذ منهم، ولأنها كانت أنفَسَ أموالهم وأكثرها، لا تفارقهم ولا يفارقونها، فيلاحظون فيها العبر الدالة على قدرة الخالق؛ من إخراج لبنها من بين فرث ودم، ومن عجب خلقها، وهي على عظمها مذللة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبي الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وفره وهو بَارِكُ فيطيق النهوض به سواها.

وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني، والأصمعي، عن أبي عمرو: «الإبل» بإسكان الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدري، وابن السميع، ويونس بن حبيب، وهارون - كلاهما - عن أبي عمرو: «الإبل» بكسر الباء وتشديد اللام^(٣).

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٧٦)، وعزه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٧٥) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والعيون (٢٩ / ٢٧٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٠).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ١٧٢)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٥١١).

قال هارون: قال أبو عمرو: «الإِبِلُ» بتشديد اللام: السَّحَابُ الَّذِي يَحْمِلُ الْمَاءَ^(١).

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ خَلَقْتُ﴾ وقرأ عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وابنُ عَبَّاسٍ، وأبو العالية، وأبو عمران، وابنُ أَبِي عُبَلَةَ: «خَلَقْتُ» بفتح الحاءِ وَضَمَّ التَّاءِ. وكذلك قرءوا: «رَفَعْتُ»، و«نَصَبْتُ»، و«سَطَخْتُ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْلُغَهَا شَيْءٌ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ عَلَى الْأَرْضِ لَا تَزُولُ وَلَا تَغْيِرُ ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أَي: بُسِطَتْ. وَالسَّطْحُ: بَسْطُ الشَّيْءِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى [قُدْرَةِ] خَالِقِهِ^(٣).

﴿فَذَكِّرْ﴾: أَي: فَعِظْ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾: أَي: وَاعِظٌ، وَلَمْ يَكُنْ حَيْثُذُ أَمْرٍ بِغَيْرِ التَّذْكِيرِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾: أَي: بِمَسْلُطٍ^(٤) فَتَقْتُلُهُمْ وَتُكْرَهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، ثُمَّ نَسَخْتَهَا آيَةُ السَّيْفِ.

وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعُكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْحُلَوَانِيُّ، عَنِ ابْنِ عَامِرٍ: «بِمُصِيطِرٍ» بِالسَّيْنِ^(٥).

(١) انظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٥ / ١٣٣).

(٢) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥١١).

(٣) من (م).

(٤) في (س): بمتسلط.

(٥) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

وقد سبق بيان «المسيطر» في قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].
 قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ وهذا استثناء منقطع مغناه: لكن من
 تولى ﴿وَكَفَرَ﴾ بعد التذكير.
 وقرأ ابن عباس، وعمر بن العاص، وأنس بن مالك، وأبو مجلز،
 وقتادة، وسعيد بن جبيرة: «أَلَا مَنْ تَوَلَّى» بفتح الهمزة وتخفيف اللام^(١).
 ﴿فَعَذَابُ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾: وهو أن يدخله جهنم، وذلك أنهم قد
 عذبوا في الدنيا بالجويع، والقتل، والأشر، فكان عذاب جهنم هو الأكبر.
 ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ قرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وأبو
 جعفر: «إِيَابَهُمْ» بتشديد الياء^(٢)؛ أي: رجوعهم ومصيرهم بعد الموت.
 ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ قال مقاتل: أي: جزاءهم^(٣).

(١) قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٧٣)، والشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥١١).

(٢) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٤٠٠).

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٦٨٠).

سُورَةُ الْفَجْرِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيْلٍ عَشِيرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ إِمْرَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبَاصِدٍ ١٤﴾
[الفجر: ١ - ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال ابنُ فارس^(٢): الْفَجْرُ: انفجارُ الظُّلْمَةِ عن الصُّبْحِ، وانفجرَ الماءُ: انفتح^(٣).

(١) قاله: ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة. ابن عباس: أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٧٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣) من طرق عن ابن عباس قال: نزلت ﴿وَالْفَجْرُ﴾ بمكة. ابن الزبير: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٧٧) عن عبد الله بن الزبير قال: أنزلت ﴿وَالْفَجْرُ﴾ بمكة. عائشة: أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٧٧)، عن عائشة قالت: أنزلت سورة ﴿وَالْفَجْرِ﴾ بمكة.

وحكى ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٧٦)، والبقاعي في مصاعد النظر (٣/ ١٨٩) الإجماع على مكيتها. وحكى أبو عمرو الداني في كتابه البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٧٣) عن علي ابن أبي طلحة أنها مدنية. والأوّل أشهر وأصح، وعليه جمهور المفسرين.

(٢) في الأصل، و(م): ابن عباس، والمثبت من (س)، و(ف).

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٥).

[٨٣٦/أ] وَقَالَ شَيْخُنَا عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: الْفَجْرُ: ضَوْءُ النَّهَارِ إِذَا انْشَقَّ عَنْهُ اللَّيْلُ، وَهُوَ^(١) مَأْخُودٌ مِنَ الْانْفِجَارِ، يُقَالُ: انْفَجَرَ النَّهْرُ يَنْفَجِرُ انْفِجَارًا؛ إِذَا انْشَقَّ فِيهِ مَوْضِعٌ لَخُرُوجِ الْمَاءِ، وَمِنْ هَذَا سُمِّيَ الْفَاجِرُ فَاجِرًا؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ^(٢).

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي الْمَرَادِ بِهَذَا الْفَجْرِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْفَجْرُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي هُوَ بَدَأُ النَّهَارِ، قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣).

وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: هُوَ انْفِجَارُ الصُّبْحِ كُلِّ يَوْمٍ^(٤). وَبِهَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ^(٥)، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(٦)، وَالْقُرْظِيُّ^(٧).

وَالثَّانِي: صَلَاةُ الْفَجْرِ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٨).

وَالثَّلَاثُ: النَّهَارُ كُلُّهُ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْفَجْرِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُهُ، وَرَوَى هَذَا الْمَعْنَى

(١) ليست في (س).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٦٥).

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٨٣ - ٤٨٤)، وفي التفسير الوسيط (٤ / ٤٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٩٥) من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة، في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قول: الفجر: فجر الصبح.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٩٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٨٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٧٦).

(٧) المراجع السابقة.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٩٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ يعني: صلاة الفجر.

أبو نصر، عن ابن عباس^(١).

والرابع: أنه فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد^(٢).

والخامس: أنه فجر أول يوم من ذي الحجة، قاله الضحاك^(٣).

والسادس: أنه أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة، قاله قتادة^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَيْلٍ عُشْرٍ﴾ فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنه عشر ذي الحجة، رواه العوفي، عن ابن عباس^(٥)، وبه قال مجاهد^(٦)، وقاتادة^(٧)، والضحاك^(٨)، والسدي^(٩)، ومقاتل^(١٠).

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٩٥) من طريق خليفة بن الحصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال: النهار.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٦٥).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٩٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٨٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٢).

(٤) المصادر السابقة.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٩٦) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٢٢) (٣٥٩١) من طريق معمر، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد. والطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٩٦) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَلَيْلٍ عُشْرٍ﴾ قال: عشر ذي الحجة.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٢٢) (٣٥٨٩) من طريق معمر، عن قتادة، والطبري (٢٤ / ٣٩٦) من طريق سعيد، عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٩٧) من طريق عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلَيْلٍ عُشْرٍ﴾ يعني: عشر الأضحى.

(٩) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٢).

(١٠) تفسير مقاتل (٤ / ٦٨٧).

والثاني: أنها العشرُ الآخرُ من رمضان، رواه أبو ظبيان، عن ابنِ عباسٍ^(١).

والثالث: العشرُ الأولُ من رمضان، قاله الضَّحَّاكُ^(٢).

والرَّابع: العشرُ الأولُ من المحَرَّم، قاله يمانُ بنُ رِثابٍ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «وَالْوَتْرَ» بكسرِ الواو، وفتحها الباقون، وهما لغتان^(٤).

قال القراء: الكسرُ لقريش، وتميم، وأسد، والفتحُ لأهلِ الحجاز^(٥).

وللمفسرين في «الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ» عشرون قولاً:

(١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٨١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٧٩) من طريق جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، قال: سألنا ابن عباس عن الفجر وليال عشر، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ العشر الأواخر من شهر رمضان.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٩٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٥).

(٣) هو: يمان بن رثاب، خراساني، له تفسير ومعاني القرآن، كما ذكر ابن مأكولا. ذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين، وقال: يرى رأي الخوارج. من مصنفاته: التفسير ومعاني القرآن، المخلوق، التوحيد، أحكام المؤمنين، الرد على المعتزلة في القدر، المقالات وغيرها. انظر: الإكمال؛ لابن مأكولا (٤ / ٣-٥-٦)، والضعفاء والمتروكين؛ للدارقطني (ص: ٤٠٧) (٦١١)، وميزان الميزان؛ لابن حجر (٦ / ٣١٦). وقوله عنه ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٢٩٤). وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٩٧) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: أول ذي الحجة؛ وقال: هي عشر المحرم من أوله.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٦٠)، ولغات القرآن (ص: ١٥٧).

أحدهما: أَنَّ الشَّفْعَ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ الْأُضْحَى، والوَتَرُ: لَيْلَةُ النَّحْرِ،
رَوَاهُ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

وَالثَّانِي: أَنَّ الشَّفْعَ: يَوْمَ النَّحْرِ، والوَتَرُ: يَوْمَ عَرَفَةَ، رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ
اللَّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢)، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣)، وَعُكْرَمَةُ^(٤)، وَالضَّحَّاكُ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الشَّفْعَ والوَتَرَ: الصَّلَاةُ، مِنْهَا الشَّفْعُ، وَمِنْهَا الْوَتَرُ، رَوَاهُ
عُمَرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٦)، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ^(٧).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٤ / ١٨٠) (٤٠٧٣)، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ
كَمَا فِي الدَّرِ الْمَشْهُورِ لِلْسَّيْطِيِّ (٦ / ٥٨٢) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ فَذَكَرَ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ
الزَّوَائِدِ (٧ / ١٣٧): فِيهِ وَاصِلُ بَنِ السَّائِبِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٤١٠١)، وَالطَّبْرِيُّ (١٢ / ١٦٩)، وَالْحَاكِمُ (٤ / ٢٢٠) مِنْ
طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ الْحَبَابِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ - وَاقْتَصَرَ الطَّبْرِيُّ عَلَى عَشْرِ الْأُضْحَى. وَصَحَّحَهُ
الْحَاكِمُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٧) مِنْ طَرِيقِ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الشَّفْعُ:
يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتَرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٧) مِنْ طَرِيقِ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ عُكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَالشَّفْعُ﴾ قَالَ: يَوْمُ النَّحْرِ ﴿وَالْوَتَرُ﴾ قَالَ: يَوْمُ عَرَفَةَ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٨) مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَالشَّفْعُ﴾ يَوْمُ النَّحْرِ ﴿وَالْوَتَرُ﴾ يَوْمُ عَرَفَةَ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٩٩١٩) مِنْ طَرِيقِ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ عَنْ
الشَّفْعِ، وَالْوَتَرِ فَقَالَ: هِيَ الصَّلَاةُ: بَعْضُهَا شَفْعٌ، وَبَعْضُهَا وَتَرٌ. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٤٢)
مِنْ طَرِيقِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، بِهِ. وَقَالَ: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ. وَأَخْرَجَهُ
التِّرْمِذِيُّ (٣٣٤٢)، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٤٠٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١٨ / ٢٣٢)
(٥٧٩)، وَالوَاحِدِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٤٨٠) مِنْ طَرِيقِ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَى.

(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٩) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتَرُ﴾

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الشَّفْعَ: الْوَتْرُ كُلُّهُ^(١)، وَالْوَتْرَ اللَّهُ تَعَالَى، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ مَسْرُوقٍ^(٣)، وَأَبُو صَالِحٍ^(٤).
وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْوَتْرَ: آدَمُ شَفَعَ بِزَوْجَتِهِ، رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥).
وَالسَّادِسُ: أَنَّ الشَّفْعَ يَوْمَانِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، وَهُوَ النَّفَرُ الْأَوَّلُ، وَالْوَتْرُ: الْيَوْمُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ النَّفَرُ الْأَخِيرُ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ^(٦)، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].
وَالسَّابِعُ: أَنَّ الشَّفْعَ: صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ: صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، حَكَاهُ عَطِيَّةٌ^(٧).

= قال عمران: هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر.

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَ(س)، وَفِي (م): الْخَلْقُ كُلُّهُ. وَهَذَا سَيِّئٌ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ.
(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٨) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ قَالَ: اللَّهُ وَتَر، وَأَنْتُمْ شَفَع.
(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ قَالَ: كُلُّ خَلْقٍ اللَّهُ شَفَعَ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْجَنَّةُ وَالْإِنْسُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَاللَّهُ الْوَتْرُ وَحْدَهُ.
(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٩) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ، وَاللَّهُ وَتْرٌ وَاحِدٌ صَمَدٌ.
(٥) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣ / ٤٩١).
(٦) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٠١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جَرِيحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُرْتَفَعِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: وَالشَّفْعُ: النَّفَرُ الْأَوَّلُ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ النَّفَرِ الْأَخِيرِ. وَذَكَرَهُ عَنْهُ مَكِّي فِي الْهُدَايَةِ (١٢ / ٨٢٣٦)، وَالوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣ / ٤٩٢)، وَالبَغْوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤١٦).
(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٣٩٨) عَنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ قَالَ: اللَّهُ وَتَر، وَأَنْتُمْ شَفَعَ، وَيُقَالُ: الشَّفْعُ: صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ.

وَالثَّامِنَ: أَنَّ الشَّفْعَ الرَّكْعَتَانِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالْوَتْرَ: الرَّكْعَةُ الثَّلَاثَةُ، قَالَه أَبُو الْعَالِيَةِ^(١)، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ^(٢).

وَالتَّاسِعَ: أَنَّ الشَّفْعَ، وَالْوَتْرَ: الْخَلْقُ كُلُّهُ؛ مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ^(٣)، وَمُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ^(٤).

وَالْعَاشَرَ: أَنَّهُ الْعَدَدُ مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ، وَهَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ مَرْوِيَّانِ عَنِ الْحَسَنِ^(٥).

وَالْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ الشَّفْعَ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْوَتْرَ: أَيَّامُ مَنَى الثَّلَاثَةَ، قَالَه الضَّحَّاكُ^(٦).

[٨٣٦/ب]

وَالثَّانِي عَشَرَ: أَنَّ الشَّفْعَ: هُوَ اللَّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وَالْوَتْرَ: هُوَ اللَّهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٠٦)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٩٩) من طريق مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ قال: ذلك صلاة المغرب، الشفع: الركعتان، والوتر: الركعة الثالثة.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٠٥)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٩٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٩٩) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ قال: الخلق كله شفع ووتر، وأقسم بالخلق.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٠٠) من طريق همام، عن قتادة، أنه سئل عن الشفع والوتر، فقال: قال الحسن: هو العدد.

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٦٦).

أَحَدٌ ﴿١﴾، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ^(١).

وَالثَّالِثُ عَشَرَ: أَنَّ الشَّفْعَ: هُوَ آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ تَعَالَى، قَالَه مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(٢).

وَالرَّابِعُ عَشَرَ: أَنَّ الشَّفْعَ: الْإِيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَالْوَتْرُ: الْيَوْمُ الَّذِي لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَه مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ^(٣).

وَالْخَامِسُ عَشَرَ: الشَّفْعُ: دَرَجَاتُ الْجَنَانِ؛ لِأَنَّهَا ثَمَانٍ، وَالْوَتْرُ: دَرَكَاتُ النَّارِ؛ لِأَنَّهَا سَبْعٌ، فَكَأَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَه الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ^(٤).

وَالسَّادِسُ عَشَرَ: الشَّفْعُ: تَضَادُّ أَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ بَيْنَ عِزٍّ وَذُلٍّ، وَقُدْرَةٍ وَعَجْزٍ، وَقُوَّةٍ وَضَعْفٍ، وَعِلْمٍ وَجَهْلٍ، وَمَوْتٍ وَحَيَاةٍ، وَالْوَتْرُ: انْفِرَادُ صِفَاتِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ؛ عِزٌّ بِلا ذُلٍّ، وَقُدْرَةٌ بِلا عَجْزٍ، وَقُوَّةٌ بِلا ضَعْفٍ، وَعِلْمٌ بِلا جَهْلٍ، وَحَيَاةٌ بِلا مَوْتٍ، قَالَه أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ^(٥).

(١) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٠٧) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ الْعَلَاءِ الْعَطَارِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ: الْوَتْرُ: هُوَ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ، وَهُوَ الشَّفْعُ أَيْضًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾... الْآيَةُ.

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ (٤ / ٦٨٧)، وَذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٠٥).

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٠٧)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٣ / ٤٩٤)، وَالبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤١٦).

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٠٦)، وَالبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤١٦).

(٥) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٠٨) مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ خَتَنَ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقَ، فَذَكَرَهُ.

والسَّابِعَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّفَعَ: الصَّفا والمزوة، والوَتْرَ: البيتُ.
 والثَّامَنَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّفَعَ: منسجِدُ مَكَّةَ والمدينة، والوَتْرَ: بيتُ المقدسِ.
 والثَّاسِعَ عَشَرَ: أَنَّ الشَّفَعَ: القرآنُ بين الحجِّ والتَّمَتُّع، والوَتْرَ: الإِفْرَادُ.
 والعِشْرُونَ: الشَّفَعَ: العِبَادَاتُ المتكرَّرة؛ كالصَّلَاةِ، والصَّوْمِ، والزَّكَاةِ،
 والوَتْرَ: العِبَادَةُ الَّتِي لَا تَتَكَرَّرُ وَهُوَ الْحَجُّ، حَكَى هَذِهِ الْأَقْوَالَ الْأَرْبَعَةَ
 الثَّغْلَبِيُّ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ، ويعقُوبُ: «يَسْرِي» بياءٍ
 فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ، وافقَهُمَا فِي الْوَضَلِ نافعٌ وأبو عمرو. وقرأ ابنُ عامِرٍ،
 وعاصِمٌ، وحمزة، والكسائيُّ: «يَسِرَ» بغيرِ ياءٍ فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ^(٢).
 قَالَ الْفَرَّاءُ، وَالزَّجَّاجُ: الْإِخْتِيَارُ حَذْفُهَا لِمَشَاكِلِهَا لِرُؤُوسِ الْآيَاتِ،
 وَلَا تَبَاعُ الْمَصْحَفِ^(٣).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْفِعْلَ لَهُ.

ثُمَّ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِذَا يَسْرِي ذَاهِبًا، قَالَهُ الْجُمْهُورُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الزَّجَّاجِ^(٤).

(١) الكشف والبيان (٢٩ / ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٦٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢١).

والثاني: إِذَا يَسْرِي مُقْبِلًا، قَالَه قَتَادَةُ^(١).

والقول الثاني: أَنَّ الْفِعْلَ لغيره، والمعنى: إِذَا يَسْرِي فِيهِ؛ كَمَا يُقَالُ:
لَيْلٌ نَائِمٌ؛ أَي: يُنَامُ فِيهِ، قَالَه الْأَخْفَشُ^(٢)، وَابْنُ قُتَيْبَةَ^(٣).

وَفِي الْمَرَادِ بِهَذَا اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَهَذَا الظَّاهِرُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَيْلَةُ الْمَزْدَلِفَةِ، وَهِيَ لَيْلَةُ جَمْعٍ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَعِكْرَمَةُ^(٤).

وَالثَّلَاثُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾؛ أَي: هَلْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي
أَقْسَمْنَا بِهَا ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾؛ أَي: لِذِي عَقْلٍ، وَسُمِّيَ الْعَقْلُ حِجْرًا؛ لِأَنَّهُ
يَحْجَرُ صَاحِبَهُ عَنِ الْقِيحِ، وَسُمِّيَ عَقْلًا؛ لِأَنَّهُ يَعْقِلُ عَمَّا لَا يَحْسُنُ، وَسُمِّيَ
الْعَقْلُ النُّهَى؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى عَمَّا لَا يَحِلُّ.

وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّ مَنْ كَانَ ذَا لُبٍّ؛ عَلِمَ أَنَّ مَا أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ، فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُقْسَمَ بِهِ؛ لِدَلَالَتِهِ.

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣١٢)، والواحدي في التفسير البسيط
(٢٣ / ٤٩٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٧).

(٢) قوله ليس في معاني القرآن، وذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٧٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٢٦).

(٤) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣١٢)، والواحدي في التفسير البسيط
(٢٣ / ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٥) النكت والعيون (٦ / ٢٦٦).

وجواب القسم: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ﴾ فاعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ فخوف أهل مكة بإهلاك من كان أشد منهم.

وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر: «بِعَادٍ إِرَمَ» بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة^(١).

وفي ﴿إِرَمَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم بلدة، قال الفراء: ولم يجرَّ ﴿إِرَمَ﴾؛ لأنها اسم بلدة^(٢).

ثم فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها دمشق، قاله سعيد بن المسيب^(٣)، وعكرمة^(٤)، وخالد الربيعي^(٥).

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٧٢)، والمحتسب (٢/ ٣٥٧)، والشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥١٢).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٣١٨) (٣٤٦٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢١٧) من طريق إسحاق بن بشر، عن محمد بن إسحاق، عمن يخبره أن سعيد ابن المسيب كان يقول: ﴿إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾: دمشق.

(٤) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم؛ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٨٣)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٣١٩)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٦٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٤١٧).

(٥) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم؛ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٨٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٣١٩) من طريق أبي الأشهب هوذة، عن عوف الأعرابي، عن خالد الربيعي: ﴿إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ قال: دمشق.

- والثاني: الإسكندرية، قاله محمد بن كعب^(١).
- والثالث: أنها مدينة صنعها شداد بن عاد، وهذا قول كعب^(٢). وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.
- والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة، قاله مجاهد^(٣).
- والثالث: أنه قبيلة من قوم عاد، قاله قتادة^(٤)، ومقاتل^(٥).
- قال الزجاج: وإنما لم تنصرف إرم؛ لأنها جعلت اسماً للقبيلة ففتحت، وهي في موضع خفض^(٦).
- والرابع: أنه اسم لجد عاد؛ لأنه عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق^(٧).
-
- (١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٠٤) من طريق يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبي صخر، عن القُرظي، أنه سمعه يقول: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ الإسكندرية.
- (٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤ / ١٤٩٣ - ١٥٠٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٢٧ - ٣٢٩) من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبد الله بن قلابة.
- (٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٠٤) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِرمَ﴾ قال: القديمة. وذكره عنه النحاس في إعراب القرآن (٥ / ١٣٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٧).
- (٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٠٤) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ﴾ ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال: كنا نحدث أن إرم قبيلة من عاد، بيت مملكة عاد.
- (٥) تفسير مقاتل (٤ / ٦٨٧).
- (٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٢).
- (٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٠٤) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ﴾

قَالَ الْفَرَاءُ: فَإِنْ كَانَ اسْمًا لِلرَّجُلِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، فَإِنَّمَا تَرَكَ إِجْرَاءَهُ؛ لِأَنَّهُ كَالْعَجْمِيِّ^(١).

قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ: هُمَا عَادَانِ؛ فَالْأُولَى هِيَ إِرَمٌ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنتُمْ أَهْلُكَ عَادًا الْأُولَى﴾^(٢) [النجم: ٥٠].

وَهَلْ قَوْمُ هودٍ عَادِ الْأُولَى أَمْ لَا؟ فِيهِ قَوْلَانِ، قَدْ ذَكَرْنَا هُمَا فِي النَّجْمِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عُمْدٍ وَخِيَامٍ يَطْلُبُونَ الْكَلَاءَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، فَلَا يُقِيمُونَ، فِي مَوْضِعٍ، رَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ^(٤)، وَقَتَادَةُ^(٥)، وَالْفَرَاءُ^(٦).

وَالثَّانِي: أَنَّ مَعْنَى ذَاتِ الْعِمَادِ: ذَاتِ الطُّولِ، رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

إِرَمٌ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿يَقُولُ اللَّهُ: ﴿عِمَادٍ ٦﴾ إِرَمٌ﴾ إِنْ عَادَ بْنِ إِرَمَ بْنِ عَوْصِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

(١) معاني القرآن (٣ / ٢٦٠).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٩٧).

(٣) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٥٠١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤١٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٠٦) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْعِمَادِ﴾ قال: أهل عُمُودٍ لَا يُقِيمُونَ.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٠٦) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عُمُودٍ لَا يُقِيمُونَ، سِيَارَةً.

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٦٠).

أَيْضًا^(١)، وَبِهِ قَالَ مُقَاتِلُ^(٢)، وَأَبُو عُيَيْدَةَ^(٣)، قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: رَجُلٌ مُعَمَّدٌ؛ إِذَا كَانَ طَوِيلًا^(٤).

وَالثَّلَاثُ: ذَاتُ الْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ، مَاخُذٌ مِنْ قُوَّةِ الْأَعْمَدَةِ، قَالَه الضَّحَّاكُ^(٥).

وَالرَّابِعُ: ذَاتُ الْبِنَاءِ الْمَحْكَمِ بِالْعِمَادِ، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ^(٦).

وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ ذَاتُ الْعِمَادِ؛ لِبِنَائِهِ بِنَاهُ بَعْضُهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾ وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكَّلِ، وَأَبُو الْجَوَازِ، وَأَبُو عَمْرٍانَ: «لَمْ تَخْلُقْ» بَتَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَرَفْعِ اللَّامِ، «مِثْلَهَا» بِنَصْبِ اللَّامِ.

وَقَرَأَ مَعَاذُ الْقَارِئِ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: «لَمْ نَخْلُقْ» بَنُونٍ مَفْتُوحَةٍ وَرَفْعِ اللَّامِ، «مِثْلَهَا» بِنَصْبِ اللَّامِ^(٧).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٠٥ - ٤٠٦) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤ / ٦٨٨).

(٣) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢ / ٢٩٧).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٢٢).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٠٦) مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ يَعْنِي: الشَّدَّةَ وَالْقُوَّةَ.

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٦٨).

(٧) قَرَأَتْهُ تَانِ شَاذَتَانِ، انْظُرْ: الشَّوَاذُ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٥١٢).

وَفِي الْمَشَارِ إِلَيْهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطُّول والقوَّة، وهذا معنَى قولِ الحَسَنِ^(١).

والثَّاني: المدينة، لم يخلق مثل مدينتِهِم ذات العِمَادِ، قاله عِكرمة^(٢).
وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة.

وهذه الإشارة إلى ذلك

رَوَى وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِلَابَةَ: أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ شَرَدَتْ، فَبَيَّنَّهَا هُوَ فِي صَحَارَى عَدَنٍ وَقَعَ عَلَى مَدِينَةٍ فِي تِلْكَ الْفَلَوَاتِ عَلَيْهَا حِصْنٌ، وَحَوْلَ الْحِصْنِ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ.

فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ظَنَّ أَنَّ فِيهَا أَحَدًا يَسْأَلُهُ عَنْ إِبِلِهِ، فَلَمْ يَرَ خَارِجًا وَلَا دَاخِلًا، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَعَقَلَهَا، وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْحِصْنِ، فَلَمَّا دَخَلَ^(٣) الْحِصْنَ إِذَا هُوَ بِبَابَيْنِ عَظِيمَيْنِ [لَمْ يَرَ أَكْثَرَ مِنْهُمَا]^(٤)، وَالْبَابَانِ مُرْصَعَانِ بِالْيَاقُوتِ [الْأَبْيَضِ وَ]^(٥) الْأَحْمَرِ.

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٦٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في الأصل: دنا، وفي (س): خلف، والمثبت من (م)، وبقية مصادر الرواية.

(٤) من (م).

(٥) من (م).

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دُهِشَ فَفَتَحَ أَحَدَ الْبَابَيْنِ، فَإِذَا هُوَ بِمَدِينَةٍ لَمْ يَرَ أَحَدًا
مِثْلَهَا، وَإِذَا قُصُورٌ، كُلُّ قُصْرٍ مِنْهَا^(١) فِيهَا غُرْفٌ وَفَوْقَ الْغُرْفِ غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ
بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، وَمَصَارِيعُ تِلْكَ الْغُرْفِ مِثْلُ مَصَارِيعِ
الْمَدِينَةِ، يُقَابِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، مَفْرُوشَةٌ كُلُّهَا بِاللُّؤْلُؤِ، وَبَنَادِقُ مِنْ مِسْكِ
وَزَعْفَرَانٍ.

فَلَمَّا عَايَنَ ذَلِكَ وَلَمْ يَرَ أَحَدًا، هَالَه ذَلِكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأَزْقَةِ، فَإِذَا هُوَ
فِي كُلِّ زُقَاقٍ مِنْهَا شَجَرٌ قَدْ أَثْمَرَ، وَتَحْتَ الشَّجَرِ أَنْهَارٌ مُطْرَدَةٌ تَجْرِي مَآوُهَا
مِنْ قَنَوَاتٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ، فَحَمَلَ مَعَهُ مِنْ
لُؤْلُؤِهَا، وَمِنْ بَنَادِقِ الْمِسْكِ وَالزَّعْفَرَانِ، وَرَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ، فَأَظْهَرَ مَا كَانَ
مَعَهُ وَبَلَغَ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَصَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى، فَأَرْسَلَ
مُعَاوِيَةُ إِلَى كَعْبِ الْأَخْبَارِ، فَلَمَّا آتَاهُ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ: هَلْ فِي الدُّنْيَا
مَدِينَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ! أَخْبِرْكَ بِهَا وَبِمَنْ بَنَاهَا؟ إِنَّمَا بَنَاهَا
شَدَّادُ بْنُ عَادٍ، وَالْمَدِينَةُ ﴿إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾.

قَالَ: فَحَدَّثَنِي حَدِيثُهَا، فَقَالَ: إِنَّ عَادًا الْمُنْسُوبَ إِلَيْهِمْ عَادًا الْأُولَى،
كَانَ لَهُ وَلَدَانِ: شَدِيدٌ وَشَدَّادٌ، فَلَمَّا مَاتَ عَادٌ، ثُمَّ مَاتَ شَدِيدٌ وَبَقِيَ شَدَّادٌ،
مَلَكَ الْأَرْضَ، وَدَانَتْ لَهُ الْمُلُوكُ، وَكَانَ مُوَلَّعًا بِقِرَاءَةِ الْكُتُبِ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ
بِذِكْرِ الْجَنَّةِ دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى بِنَاءِ مِثْلِهَا عَتُّوًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَمَرَ بِصُنْعِ «إِرَمِ
ذَاتِ الْعِمَادِ» فَأَمَرَ عَلَى عَمَلِهَا مِائَةَ قَهْرَمَانٍ، مَعَ كُلِّ قَهْرَمَانٍ أَلْفٌ مِنَ
الْأَعْوَانِ، وَكَتَبَ إِلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ أَنْ يَمْدُودَهُ بِمَا فِي بِلَادِهِمْ مِنَ الْجَوَاهِرِ،

فَخَرَجَ الْقَهَّارِمَةُ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ لِيَجِدُوا أَرْضًا مُوَافِقَةً، فَوَقَّفُوا عَلَى صَحْرَاءَ عَظِيمَةٍ نَقِيَّةٍ مِنَ التَّلَالِ، وَإِذَا فِيهَا عُيُونُ مَاءٍ وَمُرُوجٌ، فَقَالُوا: هَذِهِ صِفَةُ الْأَرْضِ الَّتِي أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُبْنَى بِهَا، فَوَضَعُوا أَسَاسَهَا مِنَ الْجَزْعِ الْيَمَانِيِّ، وَأَقَامُوا فِي بِنَائِهَا ثَلَاثَمِائَةَ سَنَةٍ، وَكَانَ عُمُرُ شَدَادٍ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ، فَلَمَّا أَتَوْهُ وَقَدْ فَرَّغُوا مِنْهَا.

قَالَ: انْطَلِقُوا وَاجْعَلُوا عَلَيْهَا حِصْنًا، وَاجْعَلُوا حَوْلَ الْحِصْنِ أَلْفَ قَصْرِ، عِنْدَ كُلِّ قَصْرِ أَلْفُ عِلْمٍ؛ لِيَكُونَ فِي كُلِّ قَصْرِ مِنْ تِلْكَ الْقُصُورِ وَزِيرٌ مِنْ وَزَرَائِي، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ الْوُزَرَاءَ - وَهُمْ أَلْفُ وَزِيرٍ - أَنْ يَتَهَيَّئُوا لِلنُّقْلَةِ إِلَى «إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» وَكَانَ الْمَلِكُ وَأَهْلُهُ فِي جِهَازِهِمْ عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ سَارُوا إِلَيْهَا فَلَمَّا كَانُوا مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ صَنِحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَتْهُمْ جَمِيعًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ^(١).

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٢٧ / ٢٩) (٣٤٦٨) من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبد الله بن قلابة. وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٤ / ٣٤٤ - ٣٤٥)، وذكره الزخشي في الكشف (٦ / ٣٦٩)، وقال ابن كثير: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي، فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال. فأعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك، وهذا ما يقطع بعدم صحته. وقال ابن حجر في تخرجه أحاديث الكشف (٤ / ١٨٤): آثار الوضع عليه لائحة.

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ دَغْفَلِ الشَّيْبَانِيِّ^(١) عَنْ عَلَمَاءِ حِمِيرٍ، قَالُوا: لَمَّا هَلَكَ شَدَّادُ بْنُ عَادٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّيْحَةِ، مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مَرْثَدُ بْنُ شَدَّادٍ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ خَلَفَهُ بِحَضْرَمَوْتَ عَلَى مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ فَأَمَرَ بِحَمْلِ أَبِيهِ مِنْ تِلْكَ الْمَفَازَةِ^(٢) إِلَى حَضْرَمَوْتَ، وَأَمَرَ [بِدَفْنِهِ]^(٣) فَحُفِرَتْ لَهُ حُفِيرَةٌ فِي مَغَارَةٍ^(٤)، فَاسْتَوْدَعَهُ فِيهَا عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ سَبْعِينَ حُلَّةً مَنْسُوجَةً بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ، وَوَضَعَ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحًا عَظِيمًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ [مَجْزُوءَ الرَّمْلِ]:

اعْتَبِرْ يَا أَيُّهَا الْمَغْفُ رُورُ بِالْعُمَرِ الْمَدِيدِ
أَنَا شَدَّادُ بْنُ عَادٍ صَاحِبُ الْحِصْنِ الْمَشِيدِ
[٨٣٨/أ] وَأَخُو الْقُوَّةِ وَالْبَأْ سَاءِ وَالْمُلْكِ الْحَشِيدِ
دَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ طُرًّا لِي مِنْ خَوْفٍ وَعَيْدِي
وَمَلَكَتُ الشَّرْقَ وَالْغَرْ بَ بِسُلْطَانٍ شَدِيدِ

(١) هو دغفل بن حنظلة بن زيد السدوسي، النسابة الشيباني، الذهلي، مختلف في صحبته، سئل أحمد: له صحبة؟ قال: ما أعرفه، وعده ابن المديني في المجهولين من شيوخ الحسن، وقال ابن سعد: لم يسمع من النبي ﷺ، وقال العسكري: يقال إنه روى مرسلاً، وقال ابن حبان: أدرك النبي ﷺ، وقال ابن حجر: مخضرم، ويقال: له صحبة، ولم يصح. انظر: الاستيعاب؛ لابن عبد البر (٢/ ٤٥)، وأسد الغابة؛ لابن الأثير (٢/ ١٩٣)، وتهذيب الكمال؛ للمزي (٨/ ٤٨٦)، وتقريب التهذيب؛ لابن حجر (١٨٢٦).

(٢) في (م): المغارة.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) في (ر)، و(م): مغارة.

وَيَفْضُلِ الْمُلْكَ وَالْعِزَّ دَةً فِيهِ وَالْعَدِيدِ
فَأَتَى هُودٌ وَكُنَّا فِي ضَلَالٍ قَبْلَ هُودِ
فَدَعَانَا لَوْ قَبِلْنَا هُ إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ
فَعَصَيْنَاهُ وَنَادَى مَا لَكُمْ هَلْ مِنْ مَحِيدِ
فَأَتَيْنَا صِيْحَةً تَهْ وَي مِنَ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ
فَتَوَافَيْنَا كَزَرْعٍ وَشَطَ بَيْدَاءٍ حَصِيدِ^(١)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾: قَطَعُوهُ وَنَقَّبُوهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَالْوَادِي: وَادِي الْقُرَى^(٢). وَقَرَأَ الْحَسَنُ: «بِالْوَادِي»
بِإثْبَاتِ الْيَاءِ فِي الْحَالَيْنِ^(٣).

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ مَفْسَّرٌ فِي سُورَةِ «ص»^(٤).

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ يَعْنِي: عَادًا، وَتُمُودَ، وَفِرْعَوْنَ، عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي،
وَتَجَبَّرُوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ﴿فَاكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ الْقَتْلَ وَالْمَعَاصِي.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَإِنَّمَا قَالَ: سَوْطَ

(١) ذكر القصة والأبيات الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٣٣)، وذكر الأبيات ياقوت الحموي في معجم البلدان (١ / ١٥٧).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٦٩).

(٣) قراءة سبعية، أثبتها وضلاً ورش، وفي الحالين البزي، واختلف عن قبل، انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

(٤) آية: ١٢.

عَذَابٍ؛ لَأَنَّ التَّعْذِيبَ قَدْ يَكُونُ بِالسَّوْطِ^(١).

وقال الزَّجَّاجُ: أي: جعل سوطه^(٢) الَّذِي ضَرَبَهُمْ بِهِ الْعَذَابُ^(٣).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَاسٌ مَرَصَدٌ﴾؛ أي: يرصد مَنْ كَفَرَ بِهِ بِالْعَذَابِ، والمرصدُ: الطَّرِيقُ، وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَانَتْ مَرَصَدًا﴾ [النبا: ٢١].

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^(٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ^(٦) كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ^(٧) وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ^(٨) وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْثَلًا لَمَّا^(٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا^(١٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا^(١١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(١٢) وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى^(١٣) يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي^(١٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا^(١٥) وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدًا^(١٦) يَتَابَعُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ^(١٧) أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً^(١٨) فَأَدْخِلْ فِي عِبْدِي^(١٩) وَأَدْخِلْ جَنَّتِي^(٢٠) [الفجر: ١٥ - ٣٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ فِيمَنْ عَنِ بِهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ، رَوَاهُ عَطَاءٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩٨).

(٢) في (م): سوطهم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٢).

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٥٠٨)، وفي التفسير الوسيط (٤ / ٤٨٣).

والثاني: أَبِي بَنُ خَلَفٍ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ^(١).

والثالث: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، قَالَ مُقَاتِلٌ^(٢).

والرابع: أَنَّهُ الْكَافِرُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ.

قَالَ الرَّجَّاجُ: ﴿وَأَبْلَلَهُ﴾ بِمَعْنَى: اخْتَبَرَهُ بِالْغِنَى وَالْيُسْرِ^(٣).

﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بِالْمَالِ ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بِمَا وَسَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِفْضَالِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّ أَكْرَمَنِي﴾ فَتَحَ يَاءَ «رَبِّي» «أَكْرَمَنِي» «رَبِّي» «أَهَانَنِي» أَهْلُ الْحِجَازِ، وَأَبُو عَمْرٍو^(٤)؛ أَي: فَضَّلَنِي بِمَا أَعْطَانِي، وَيُظَنُّ أَنَّ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الدُّنْيَا لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْلَلَهُ﴾ بِالْفَقْرِ ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ: «فَقَدَّرَ» بِتَشْدِيدِ الدَّالِ^(٥).

وَالْمَعْنَى: ضَيَّقَ عَلَيْهِ بِأَنْ جَعَلَهُ عَلَى مَقْدَارِ الْبُلْغَةِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِي﴾؛ أَي: هَذَا الْهُوَ أَنْ مِنْهُ لِي حِينَ أَذْلَنِي بِالْفَقْرِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، فَالْكَرَامَةُ عِنْدَهُ زِيَادَةُ الدُّنْيَا، وَالْهُوَ أَنْ قَلَّتْهَا.

(١) ذكره عنه الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (٢٣ / ٥٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٦٨٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٢).

(٤) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٢٣).

(٥) قراءة سبعية لابن عامر ولأبي جعفر، انظر: النشر (٢ / ٤٠٠).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يظن^(١).

قال مقاتل: مَا أُعْطِيتُ مَنْ أَغْنَيْتُ هَذَا الْغِنَى لِكِرَامَتِهِ عَلَيَّ، وَلَا أَفْقَرْتُ مَنْ أَفْقَرْتُ لِهَوَانِهِ عَلَيَّ^(٢).

وقال الفراء: المعنى: لم يكن ينبغي له أن يكون هكذا، إنما ينبغي أن يحمد الله على الأمرين: الفقر، والغنى^(٣).

ثم أخبر عن الكفار، فقال تعالى: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ قرأ أهل البصرة: «يُكْرِمُونَ»، و«يَحْضُونَ»، و«يَأْكُلُونَ»، و«يُحِبُّونَ» بالياء فيهن، والباقون: بالتاء^(٤).

ومعنى الآية: إِنِّي أَهَنْتُ مَنْ أَهَنْتُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُكْرِمُ الْيَتِيمَ.

والآية تحتمل معنيين:

أحدهما: أنهم كانوا لا يُبرّونه.

والثاني: لا يعطونه حقه من الميراث، وكذلك كانت عادة الجاهلية

لَا يُورَثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الصِّبْيَانَ، ويدل على المعنى الأول قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ قرأ أبو جعفر، وأهل الكوفة: «تَحْضُونَ»^(٥)

(١) في (م): ظن.

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٦٩٠).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٦١).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

(٥) في الأصل: يحاضون، والمثبت من سائر النسخ.

بِأَلْفٍ مَعَ فَتْحِ التَّاءِ^(١).

وروى الشَّيرَازِيُّ، عَنِ الْكَسَائِيِّ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ ضَمَّ التَّاءَ^(٢).

وَالْمَعْنَى: لَا يَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الثَّرَاثُ: الْمِيرَاثُ، وَالتَّاءُ فِيهِ مُنْقَلِبَةٌ عَنْ وَاوٍ، كَمَا قَالُوا: تُجَاهُ، وَالْأَصْلُ: وُجَاهُ. وَقَالُوا: تُحْمَةُ، وَالْأَصْلُ: وُحْمَةٌ. ﴿لَمًّا﴾؛ أَي: شَدِيدًا، وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ: لَمَمْتُ بِالشَّيْءِ: إِذَا جَمَعْتَهُ^(٤). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ مِيرَاثُ الْيَتَامَى^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتُحْبَبُونَ أَلْمَالَ﴾؛ أَي: تُحْبَبُونَ جَمْعَهُ ﴿حُبًّا جَمًّا﴾؛ أَي: كَثِيرًا، فَلَا يُتَفَقَّهونَهُ^(٦) فِي خَيْرٍ ﴿كَلَّا﴾؛ أَي: مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تَلَهْفِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّادًا﴾؛ أَي: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَتَكْسُرُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا.

(١) فِي الْأَصْلِ: الْيَاءُ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٢) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: السَّبْعِيَّةُ؛ لِابْنِ مَاجَهْدٍ (ص: ٦٨٥)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ٢٢٢).

(٣) قِرَاءَةُ شَاذَةٌ، انْظُرْ عِزُّوهُمَا فِي الشُّوَاذِ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٥١٣).

(٤) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٢٧).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٢٣).

(٦) فِي (ر)، وَ(م): تَتَفَقَّهونَهُ.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾؛ أي: يأتي أهل^(١) كل سماء صفًا [صفًا]^(٢) على حدة. قال الضحّاك: يكونون سبعة صفوف^(٣).

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ روى مسلم في إفراذه من حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْرِقُونَهَا»^(٤).
قال مقاتل: يُجاء بها فتقام عن يسار^(٥) العرش^(٦).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم يُجاء بهنَّ ﴿يَبْذَرُونَ الْإِنْسَانَ﴾؛ أي: يتعظ الكافر ويتوب.
وقال مقاتل: هو أُمِيَّةُ بْنُ خَلَفٍ^(٧).

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾؛ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَقُولُ بَلَيْتَنِي فَدَمْتُ﴾ العمل الصالح في الدنيا ﴿لِحَيَاتِي﴾ في الآخرة التي لا

(١) في (ر)، و(م): تأتي ملائكة.

(٢) من (ر)، و(م).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤١٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩ - ٢٨٤٢)، والترمذي في سننه (٢٥٧٣).

(٥) في (م): ساق.

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٦٩١).

(٧) المصدر السابق.

مَوْتَ فِيهَا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ ﴿قَرَأَ الْكِسَائِيُّ، وَيَعْقُوبُ، وَالْمُفَضَّلُ: «لَا يُعَذِّبُ»، و«لَا يُوَثِّقُ» بفتح الدالِ والثاءِ، والباقون: بكسرها^(١).

فَمَنْ فَتَحَ؛ أَرَادَ: لَا يُعَذِّبُ عَذَابَ الْكَافِرِ أَحَدًا، وَمَنْ كَسَرَ؛ أَرَادَ: لَا يُعَذِّبُ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدًا؛ أَي: كَعَذَابِهِ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَخْتَصُّ بِالدُّنْيَا، وَالْأُولَى تَخْتَصُّ بِالْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿اِخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ عَلَى خُمْسَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: فِي حُمْزَةِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَمَّا اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ^(٢)، وَبُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ^(٣).

وَالثَّانِي: فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حِينَ أَوْقَفَ^(٤) بِثَرِ رُومَةَ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ^(٥).
وَالثَّلَاثُ: فِي حُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ لَمَّا صَلَبَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(٦).

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: انظر: التيسير (ص: ٢٢٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه يحيى بن معين في جزء الفوائد من رواية أبي بكر المروزي (ص: ١٩٩) (١٣٤) من طريق صالح بن حيّان، عن ابن بريدة في قوله: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، قال: «حمزة بن عبد المطلب». والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٣١١) (٤٧٥).
والأجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٥) (١٧٢٧).

(٤) في (س): وقف.

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٧٣).

(٦) تفسير مقاتل (٤/ ٦٩٢).

والرَّابِع: فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(١).

والخَامِس: فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ^(٢).

وَفِي مَعْنَى الْمَطْمَئِنَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الْمُؤْمِنَةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَطْمَئِنَّةُ بِالْإِيمَانِ^(٤).

وَالثَّانِي: الرَّاضِيَةُ بِقَضَاءِ اللَّهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: الْمَوْقِنَةُ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ، قَالَهُ قَتَادَةُ^(٦).

وَاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ حِينٍ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الدُّنْيَا، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ.

وَالثَّانِي: عِنْدَ الْبَغْثِ، يُقَالُ لَهَا: ازْجِعِي إِلَى صَاحِبِكِ، وَإِلَى جَسَدِكِ.

فِيَأْمُرُ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْأَجْسَادِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَبِهِ

(١) النكت والعيون (٦ / ٢٧٣).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٣).

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٤).

(٥) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١ / ٢٩٧) (٥١٥)، وابن بطّة في الإبانة (٤ / ٢٠٠).

(٦) (١٧٣١) من ابن أبي نجيع، عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٢٣) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَتَأَيَّنُهَا

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٢٤) من طريق عطية العوفي عن عباس، قوله: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ

الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ قال: تردّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد.

[٨٣٩/أ]

قَالَ عَطَاءٌ^(١)، وَعِكْرَمَةُ^(٢)، وَالضَّحَّاكُ^(٣).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَرْجِعْ إِلَىٰ صَاحِبِكَ الَّذِي كُنْتَ فِي جَسَدِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي رِوَايَةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ عِكْرَمَةُ، وَالضَّحَّاكُ^(٤).

وَالثَّانِي: أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الدُّنْيَا، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: أَرْجِعْ إِلَىٰ ثَوَابِ رَبِّكَ، قَالَهُ الْحَسَنُ^(٦).

وَالرَّابِعُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [إِلَى الدُّنْيَا]^(٧) أَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بِتَرْكِهَا، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أَي: فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الْمُصْطَفِينَ.

(١) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٦٩)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤٢٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٢٥) مِنْ طَرِيقِ الْمُعْتَمَرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْهُبَةً﴾ إِلَى الْجَسَدِ.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ؛ لِلْسَّيُوطِيِّ (٦ / ٥٩٠)، وَذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٦٩)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤٢٤).

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُ أَقْوَالِهِمْ قَرِيبًا.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٢٥) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْهُبَةً﴾ قَالَ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ.

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٧١)، وَالْمَاورِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٧٢).

(٧) لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٨) النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٧٢).

قَالَ أَبُو صَالِحٍ: يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ: ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ لَهَا: ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾^(١).
وَقَالَ الْفَرَّاءُ: ادْخُلِي مَعَ عَبْدِي^(٢).

وَقَرَأَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو عَمْرٍان: «فِي عَبْدِي» عَلَى التَّوْحِيدِ^(٣).
قَالَ الزَّجَّاجُ: فَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - يَكُونُ الْمَعْنَى: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ أَي: إِلَى صَاحِبِكِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ فَادْخُلِي فِيهِ^(٤).

(١) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٣٧١) وَلَمْ يَنْسِبْهُ، وَالْمَاورِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦ /) وَعَزَاهُ إِلَى السَّدِيِّ.

(٣) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، انْظُرْهَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (٢٤ / ٤٢٤)، وَالشَّوَاذُ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٥١٣).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٢٥).

سُورَةُ الْبَلَدِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا (٦) أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿﴾ [البلد: ١ - ١٠].

قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أقسم، و«لَا» دخلت توكيداً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ (٢) [الحديد: ٢٩].

وقرأ عكرمة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو العالية: «لَأُقْسِمُ» (٣). قال الزجاج: وهذه القراءة بعيدة في العربية^(٤). وقد شرحنا هذا في أول القيامة. و﴿الْبَلَدِ﴾ هاهنا: مكة.

(١) أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣ / ١٣٢)، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة (٧ / ١٤٣) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: نزلت سورة ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٥٩١)، وهو قول جمهور المفسرين كما في تفسير الطبري (٢٤ / ٤٢٩)، وقيل: إنها مدنية. انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥ / ٤٨٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٧).

(٣) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥١٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: حِلٌّ لَكَ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْبَلَدِ مِنْ قَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَمُجَاهِدٌ^(٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: رَجُلٌ حِلٌّ، وَحَلَالٌ، وَمُحِلٌّ^(٣).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ نَبِيَّهٖ أَنْ يَفْتَحَ مَكَّةَ عَلَى يَدَيْهِ بِأَنْ يَحِلَّهَا لَهُ، فَيَكُونُ فِيهَا حِلًّا.

وَالثَّانِي: فَأَنْتَ مُحِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ غَيْرُ مُحْرَمٍ فِي دُخُولِهِ، يَغْنِي: عَامَ الْفَتْحِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَعَطَاءٌ^(٤).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمَشْرُكِينَ بِهَذَا الْبَلَدِ يَسْتَحِلُّونَ إِخْرَاجَكَ وَقَتْلَكَ، وَيُحَرِّمُونَ قَتْلَ الصَّيْدِ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالِدِرْءَ مَا وُلِدَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٣٠) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٣٠) مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قَالَ: مَا صَنَعْتَ فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ أَمْرِ الْقِتَالِ.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٢٧).

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُمَا الْمَوَارِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٧٤).

(٥) الْكُشْفُ وَالْبَيَانُ (٢٩ / ٣٨١)، وَانْظُرْ: التَّفْسِيرَ الْبَسِيطَ؛ لِلْوَحِيدِ (٢٤ / ١٠)، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ؛ لِلْبَغَوِيِّ (٨ / ٤٢٦).

أَحَدُهَا: أَنَّهُ آدَمُ ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾، قَالَهُ الْحَسَنُ^(١)، وَمَجَاهِدُ^(٢)، وَالضَّحَّاكُ^(٣)، وَقَتَادَةُ^(٤).

وَالثَّانِي: أَوْلَادُ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾: ذُرِّيَّتُهُ، قَالَهُ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ.

وَنِيْمَنَ عَنَى بِالْإِنْسَانِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا^(٧): أَنَّهُ اسْمُ جَنْسٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٨).

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٥).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٧٢٩) من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال: الوالد: آدم، وما ولد: يعني ولده. وأخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٢) من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال: الوالد: آدم، وما ولد: ولده.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٢) من طريق عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال: الوالد: آدم، وما ولد: ولده.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٢) من طريق سعيد، عن قتادة، ومن طريق معمر، عن قتادة: ﴿وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال: آدم وما ولد.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٣٣) من طريق جعفر بن سليمان، قال: سمعت أبا عمران الجوني يقرأ: ﴿وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال: إبراهيم وما ولد.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٧).

(٧) في (س): أحدهما.

(٨) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

والثاني: أنه أبو الأشدين الجمحي، وقد سبق ذكره^(١)، قاله الحسن^(٢).
 والثالث: أنه الحارث بن عامر بن نوفل، وذلك أنه أذنب ذنباً،
 فأمره النبي ﷺ بالكفارة، فقال: لقد ذهب مالي في الكفارات، والنفقات
 منذ دخلت في دين محمد، قاله مقاتل^(٣).
 والرابع: آدم عليه السلام، قاله ابن زيد^(٤).
 والخامس: الوليد بن المغيرة، حكاه الثعلبي^(٥).
 قوله تعالى: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:
 أحدها: في نصيب، رواه الوالبي عن ابن عباس^(٦)، وبه قال الحسن^(٧)،

(١) سبق في سورة المدثر، آية: ٢٩، وسورة الانفطار، آية: ٥.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١٧)، وعزاه إلى الكلبي.

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٧٠١)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٩٠)، والذي
 في تفسير مقاتل المطبوع: الحارث بن عمرو.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٥) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَقَدْ
 خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾ قال: في السماء، يسمى ذلك الكيد. وذكره عنه الثعلبي في الكشف
 والبيان (٢٩ / ٣٨٨)، ومكي في الهداية (١٢ / ٨٢٧٦)، والماوردي في النكت والعيون
 (٦ / ٢٧٦).

(٥) الكشف والبيان (٢٩ / ٣٨٩).

(٦) تقدم قريباً من طريق الوالبي: علي بن أبي طلحة.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٣) من طريق عن منصور بن زاذان، عن الحسن، أنه قال في
 هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾ يقول: في شدة.

وَمُجَاهِدٌ^(١)، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٢)، وَأَبُو عُبَيْدَةَ^(٣)، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: فِي شِدَّةٍ. [٨٣٩/ب]

قَالَ الْحَسَنُ: يُكَابِدُ الشُّكْرَ عَلَى السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الضَّرَّاءِ، لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِهِمَا، وَيُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَشِدَائِدَ الْآخِرَةِ^(٤).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي شِدَّةٍ غَلَبَةٍ وَمُكَابِدَةٍ لَأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٥). فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مِنَ مُكَابِدَةِ الْأَمْرِ، وَهِيَ مُعَانَاثُهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: خُلِقَ مُتَّصِبًا يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ^(٦)، وَسَائِرُ الْحَيَوَانِ غَيْرُ مُتَّصِبٍ، رَوَاهُ مِقْسَمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَبِهِ قَالَ عِكْرِمَةُ^(٨)، وَالضَّحَّاكُ^(٩)،

(١) أخرجه الطبري (٤٣٣ / ٢٤) من طريق مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد ﴿الْإِنْسَنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: شدة خروج أسنانه.

(٢) أخرجه الطبري (٤٣٣ / ٢٤) من طريق سفيان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في شدة.

(٣) مجاز القرآن (٢ / ٢٩٩).

(٤) أخرجه الطبري (٤٣٤ / ٢٤)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٣٨٤)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٦).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٢٨).

(٦) في (ر)، و(م): رجلين.

(٧) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٢٤)، وفي التفسير الوسيط (٤ / ٤٨٨).

(٨) أخرجه الطبري (٤٣٤ / ٢٤) من طريق عمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في انتصاب، يعني القامة.

(٩) أخرجه الطبري (٤٣٥ / ٢٤) من طريق عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ خُلِقَ مُتَّصِبًا عَلَى رِجْلَيْنِ، لَمْ تَخْلُقْ دَابَّةً عَلَى خَلْقِهِ.

وَعَطِيَّةٌ^(١)، والفراء^(٢).

فعلى هذا يكون معنى الكبد: الاستواء والاستقامة.

والثالث: في^(٣) وسط السماء، قال ابن زبيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم ﴿فِي كَبَدٍ﴾؛ أي: في وسط السماء^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني: الله عز وجل؛ أي: أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَى بَعْثِهِ وَمُعَاقِبَتِهِ؟

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾؛ أي: كثيرا. قال أبو عبيدة: هو فَعْلٌ مِنَ التَّلَبُّدِ؛ وهو المال الكثير بغضه على بغض^(٥).

قال ابن قتيبة: وهو المال المتلبد؛ كأن بغضه على بغض^(٦).

قال الزجاج: وهو فَعْلٌ للكثرة؛ كما يقال: رَجُلٌ حُطِمَ: إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْحُطَمِ^(٧).

وقرأ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وقتادة،

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في انتصاب.

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٦٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) تقدّم قريبا.

(٥) مجاز القرآن (٢ / ٢٩٩).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٢٨).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٨).

وأبو العالية، وأبو جعفر: «لُبْدًا» بضم اللام وتشديد الباء مفتوحة^(١).
 وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو المتوكل، وأبو عمران: «لَبْدًا»
 بفتح اللام وتسكين الباء خفيفة^(٢).
 وقرأ عثمان بن عفان، والحسن، ومجاهد: «لُبْدًا» برفع اللام والباء وتخفيفهما^(٣).
 وقرأ علي [بن أبي طالب]^(٤)، وابن أبي الجوزاء: «لَبْدًا» بكسر اللام
 وفتح الباء مخففة^(٥).

وفيا قال لأجله ذلك قولان:

أحدهما: أنه أراد أهلكت ما لا كثيرًا في عداوة محمد، قاله ابن
 السائب، فكانه استطال بما أنفق^(٦).
 والثاني: أنفقت في سبيل الله وفي الكفارات ما لا كثيرًا، قاله مقاتل^(٧).
 فكانه ندم على ما أنفق.

(١) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢ / ٤٠١).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٧٤).

(٣) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥١٤).

(٤) من (س).

(٥) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥١٤)، وإعراب ثلاثين سورة (ص: ٨٩).

(٦) تنوير المقباس (ص: ٥١١)، وذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٨٩).

(٧) تفسير مقاتل (٤ / ٧٠٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾^(١) يَغْنِي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَالْمَعْنَى: أَيُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِ نَفَقَتَهُ وَلَمْ يُحْصَهَا؟ وَكَانَ قَدْ ادَّعَى مَا لَمْ يُنْفِقْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾^(٢) وَالْمَعْنَى: أَلَمْ نَفْعَلْ بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِ؟.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٣) فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: سَبِيلُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ قَالَهُ عَلِيٌّ^(١)، وَالْحَسَنُ^(٢)، وَالْفَرَاءُ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُرِيدُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ^(٤). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: النَّجْدَيْنِ: الطَّرِيقَيْنِ الْوَاضِحَيْنِ^(٥).

وَالنَّجْدُ: الْمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ، فَالْمَعْنَى: أَلَمْ نَعْرِفْهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَتَبْتَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ الْعَالِيَيْنِ^(٦).

وَالثَّانِي: سَبِيلُ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٨). وَقَالَ مُجَاهِدٌ:

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٢٨) (٣٦١٨) من طريق معمر عن الحسن، والطبري (٢٤ / ٤٣٨) من طريق يونس، عن الحسن.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٦٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٢٨).

(٥) في (م): النجدين: الطريقين الواضحين.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٢٩).

(٧) في الأصل: الغالبين، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٧)، والواحيدي في التفسير البسيط (٢٣ / ١٧).

هُوَ سَبِيلُ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ^(١).

والثالث: الثَّدْيَانِ لِيَتَغَذَّى بِلَبَنِهِمَا، رُوي عن ابْنِ عَبَّاسٍ أيضًا^(٢)، وبه قال ابْنُ الْمُسَيَّبِ^(٣)، والضَّحَّاكُ^(٤)، وقتادة^(٥).

﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾^(١١) وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾^(١٢) أَوْ إِطْعَمَنِي يَوْمَ ذِي مَسْقَبَةٍ ﴿يَتِمَّ مَا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾^(١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْإِيمَنِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بِلَيْسِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(١٨) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿[البلد: ١١ - ٢٠].

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

قال أبو عبيدة: فَلَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقَبَةَ [في الدنيا]^{(٦)(٧)}.

وقال ابنُ قتيبة: فَلَا هُوَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ^(٨).

(١) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٥٨٣)، ومكي بن أبي طالب في الهداية (١٢ / ٧٩٠٦)، والسمعاني في تفسيره (٦ / ١٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٩) من طريق عيسى بن عقال، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَهَدَيْنَهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: هما الثَّدْيَانِ.

(٣) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٣٩) من طريق مجاهد، عن جوير، عن الضحَّاك، قال: الثَّدْيَانِ.

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٧).

(٦) ليست في الأصل، و(س)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٧) مجاز القرآن (٢ / ٢٩٩).

(٨) غريب القرآن (ص: ٥٢٨).

قَالَ الْفَرَاءُ: لَمْ يُضْمَّ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ كَلَامًا آخَرَ فِيهِ «لَا»، وَالْعَرَبُ لَا تَكَادُ تُفْرَدُ^(١) «لَا» فِي الْكَلَامِ^(٢) حَتَّى يُعِيدُوهَا عَلَيْهِ فِي كَلَامٍ آخَرَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّ﴾ [الْقِيَامَةُ: ٣١] ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

[٨٤٠/أ] وَمَعْنَى «لَا» مَأْخُوذٌ^(٣) فِي^(٤) آخِرِ هَذَا الْكَلَامِ، فَكَتَفَى بِوَاحِدَةٍ مِنْ الْأُخْرَى، أَلَا تَرَى أَنَّهُ فَسَّرَ اقْتِحَامَ الْعُقَبَةِ؛ فَقَالَ: ﴿فَكَرَقِبَةَ﴾^(٥) أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَفَسَّرَهَا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، فَكَأَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ: فَلَا فَعَلَ ذَا، وَلَا ذَا^(٥).

وَذَهَبَ ابْنُ زَيْدٍ فِي آخِرِينَ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى: أَفَلَا اقْتَحَمَ الْعُقَبَةَ؟ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى: فَهَلَّا أَنْفَقَ مَالَهُ فِي فَكِّ الرُّقَابِ وَالْإِطْعَامِ لِيَجَاوَزَ بِذَلِكَ الْعُقَبَةَ^(٦)؟

فَأَمَّا الْإِقْتِحَامُ فَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي «ص» [آيَةُ: ٥٩].

(١) فِي الْأَصْلِ: تُقَرَّرُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخ.

(٢) فِي (س)، وَ(م): كَلَام.

(٣) فِي (م): مَوْجُود.

(٤) فِي (ر): مِنْ.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآن (٣/ ٢٦٥).

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٤٤٠)، وَذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٢٩/ ٤٠٢)،

وَمَكِّيُّ فِي الْهُدَايَةِ (١٢/ ٨٢٨٠)، وَالْمَاورِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٢٧٨).

وفي العقبة سبعة أقوال:

أحدها: أنه جبل في جهنم، قاله ابن عمر^(١).

والثاني: عقبة دون الجسر، قاله الحسن^(٢).

والثالث: سبعون درجة في جهنم، قاله كعب^(٣).

والرابع: الصراط، قاله مجاهد^(٤)، والضحاك^(٥).

والخامس: نار دون الجسر، قاله قتادة^(٦).

والسادس: طريق النجاة، قاله ابن زيد^(٧).

والسابع: أن ذكر العقبة هاهنا مثل ضرب الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١٨ / ٧) (٣٤٦٤٠)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٤٠) من طريق عطية، عن ابن عمر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٤٠) من طريق شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قول الله: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: عقبة في جهنم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٠) من طريق حنش، عن كعب، أنه قال: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: هو سبعون درجة في جهنم.

(٤) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣٢).

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٤٠) من طريق معمر، عن قتادة: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: للنار عقبة دون الجسر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٢٤ / ٤٤٠) من ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: أفلا سلك الطريق التي منها النجاة والخير.

يَقُولُ: لَمْ يَحْمِلْ عَلَى نَفْسِهِ الْمَشَقَّةَ بَعَثَ الرِّقَبَةَ وَالْإِطْعَامَ^(١)، ذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّسَابُورِيُّ فِي آخِرِينَ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَذْرَنَّاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ مَا فِيهِ: ﴿وَمَا أَذْرَنَّاكَ﴾ فَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهِ، وَكُلُّ مَا فِيهِ: ﴿وَمَا يَذْرَبُكَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُ بِهِ^(٣).
قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الْمَعْنَى: وَمَا أَذْرَاكَ مَا اقْتِحَامُ الْعَقَبَةِ؟ ثُمَّ بَيَّنَّهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، إِلَّا عَبْدَ الْوَارِثِ، وَالْكَسَائِيُّ، وَالْدَّاجُونِيُّ، عَنِ ابْنِ ذَكْوَانَ: «فَكَ» بَفَتْحِ الْكَافِ «رَقَبَةً» بِالنَّصْبِ. «أَوْ أَطْعَمَ» بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ وَسُكُونِ الطَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَنَافِعٌ، وَخَمَزَةُ: «فَكَ» بِالرَّفْعِ «رَقَبَةً» بِالْخَفْضِ «أَوْ إِطْعَامًا» بِالْأَلِفِ^(٤).

وَمَعْنَى «فَكَ الرَقَبَةَ»: تَخْلِيصُهَا مِنْ أَسْرِ الرَّقِّ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَطْلَقْتَهُ؛ فَقَدْ فَكَّكَتَهُ. وَمَنْ قَرَأَ: «فَكَ رَقَبَةً» عَلَى الْفِعْلِ؛ فَهُوَ تَفْسِيرُ اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ بِالْفِعْلِ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَّاءُ^(٥)؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(١) فِي (م): وَلَا طَعَامَ.

(٢) التفسير الوسيط (٤/ ٤٩١).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٣/ ٥٧٠) مِنْ طَرِيقِ مَهْرَانَ، عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: مَا فِي الْقُرْآنِ: وَمَا يَذْرَبُكَ فَلَمْ يُخْبِرْهُ، وَمَا كَانَ وَمَا أَذْرَاكَ، فَقَدْ أَخْبَرَهُ.

(٤) قَرَأَتْهُ سَبْعَتَانِ، انْظُرْ: السَّبْعَةُ (٦٨٦)، وَالتَّيْسِيرُ (ص: ٢٢٣).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣/ ٢٦٥).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالْمُسْغَبَةُ: الْمَجَاعَةُ، يُقَالُ: سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوبًا؛ إِذَا جَاعَ^(١).
﴿يَنْبِمَاذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أَي: ذَا قَرَابَةٍ ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أَي: ذَا فَقِيرٍ؛ كَأَنَّهُ
لَصَقَ بِالتُّرَابِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي التُّرَابِ لَا يَقِيهِ شَيْءٌ^(٢).
ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْقُرْبَ إِنَّمَا تَنْفَعُ مَعَ الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَ﴿ثُمَّ﴾ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾
[يونس: ٤٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ ﴿وَتَوَاصَوْا
بِالْمَرْحَمَةِ﴾؛ أَي: بِالتَّرَاحِمِ بَيْنَهُمْ. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَصْحَابَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَشَاطِمَةِ فِي
الْوَاقِعَةِ [آيَة: ٧-٨].

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَالْمَوْصَدَةُ: الْمَطْبَقَةُ^(٣). قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي أَبْوَابَهَا عَلَيْهِمْ
مُطْبَقَةٌ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا بَابٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌّ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا رُوحٌ آخِرُ
الْأَبَدِ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ: أَوْصَدْتُ الْبَابَ، وَأَصْدَتْهُ؛ إِذَا أَطْبَقْتَهُ^(٥).

(١) غريب القرآن (ص: ٥٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٤٤) من طريق مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قال: المسكين؛ المطروح في التراب.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٦٦).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٨٣٨)، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٣٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٣٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٢٨).

وقال الزَّجَّاج: المعنى: أنَّ العذابَ مُطبَّقٌ عليهم^(١).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامِرٍ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عاصِمٍ: «مُوصَدَّةٌ» بغيرِ هَمْزٍ هَاهُنَا، وفي الهمزة [آية: ٨]. وقرأ أبو عمرو، [٨٤٠/ب] وخمزةٌ، وحفصٌ عن عاصِمٍ: بالهمزِ في الموضعين^(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣٠).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٨٦)، والتيسير (ص: ٢٢٣).



سُورَةُ الشَّمْسِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا ① وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١ - ١٠].

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ في المراد بضحاها ثلاثة أقوال:

أحدها: ضوءها، قاله مجاهد^(٢)، والزجاج^(٣)، والضحي: حين يصفو ضوء الشمس بعد طلوعها.

والثاني: النهار كله، قاله قتادة^(٤)، وابن قتيبة^(٥).

(١) أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣)، عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٥٩٩)، والمحزر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤٨٧).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٧٣٢)، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٤٥١) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٥١) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ قال: هذا النهار.

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٢٩).

والثالث: حرَّها، قاله السُّدِّيُّ^(١)، ومُقاتِلُ^(٢).

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: إذا تبعها، قاله ابنُ عَبَّاسٍ في آخِرِينَ^(٣).

ثُمَّ في وقتٍ اتَّباعَ لها ثلاثة أقوال:

أحدهما: أَنَّهُ في أوَّلِ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ يُرَى الْقَمَرُ؛ إِذَا سَقَطَتِ الشَّمْسُ، قاله قتادة^(٤).

والثاني: أَنَّهُ في الخامس عشرَ يَطْلُعُ الْقَمَرُ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، حكاه الماوردي^(٥).

والثالث: أَنَّهُ في النِّصْفِ الأوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ؛ إِذَا غَرَبَتْ تَلَاهَا الْقَمَرُ في الإِضَاءَةِ، وخَلَفَهَا في النُّورِ، حكاه عليُّ بنُ أَهْمَدَ النِّسَابُورِيُّ^(٦).

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨١).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٧١١)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤١٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٥٢) من طريق ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ قال: تبعها. وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٥٧١) من نفس طريق الطبري عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٥٢) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُوي الهلال.

(٥) النكت والعيون (٦ / ٢٨٢).

(٦) التفسير الوسيط (٤ / ٤٩٤).

والقول الثاني: إذا ساواها، قاله مجاهد^(١).

وقال غيره: إذا استدار، فتلا الشمس في الضياء والنور، وذلك في الليالي البيض^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ في المكني عنها قولان:

أحدهما: أنها الشمس، قاله مجاهد^(٣)، فيكون المعنى: والنهار إذا بين الشمس؛ لأنها تبين إذا انبسط النهار.

والثاني: أنها الظلمة، فيكون كناية عن غير مذكور؛ لأن المعنى معروف؛ كما تقول: أصبحت باردة، وهبت شمالاً، وهذا قول الفراء^(٤)، واللغويين.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ في «ما» قولان:

أحدهما: بمعنى «من» تقديره: «ومن بناها» قاله الحسن، ومجاهد^(٥)، وأبو عبيدة^(٦)، وبعضهم يجعلها بمعنى: الذي.

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٩٤).

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٢).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٢٦٦).

(٥) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٢).

(٦) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٠).

والثاني: أنها بمعنى المصدر، تقديره: وبنائها، وهذا مذهب قتادة^(١)، والزجاج^(٢).

وكذلك القول في ﴿وَمَا لَهَا﴾ و﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ وقد قرأ أبو عمران الجوني في آخرين: «وَمَنْ بَنَاهَا»، «وَمَنْ طَحَاهَا»، «وَمَنْ سَوَّاهَا» كله بالنون^(٣).

قال أبو عبيدة: ومعنى «طحاهَا»: بسطها يميناً وشمالاً، ومن كل جانب^(٤).

قال ابن قتيبة: يُقال: خَيْرُ طَاحٍ: أي: كثير مُتَّسِعٌ^(٥).

وفي المراد «بالنفس» هاهنا قولان:

أحدهما: آدم، قاله الحسن^(٦).

والثاني: جميعُ النفوس، قاله عطاء^(٧)، وقد ذكرنا معنى «سَوَّاهَا» في قوله تعالى: ﴿فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الأنفطار: ٧].

﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبيرة: ألزمها فجورها وتقواها^(٨).

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٥٣) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ وبنائها: خلقها.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٢).

(٣) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥١٥).

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٠).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٢٩).

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٣).

(٧) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٩٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣٨).

(٨) أخرجه ابن بطّة في الإبانة (٤ / ١٩٩) (١٧٢٨) من طريق حماد بن سلمة، عن حنظلة =

وقال ابنُ زيدٍ: جعل ذلك فيها بتوقيفه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور^(١).

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ قال الزجاج: هذا جواب القسم، والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت؛ لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها^(٢).

قال ابنُ الأنباري: جوابه محذوف^(٣).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: قد أفلحت نفسٌ زكَّاهَا الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ^(٤)، ومقاتيل^(٥)، والفراء^(٦)، والزجاج^(٧).

= ابن أبي حمزة، عن سعيد بن جبير، ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: «ألزمها فجورها وتقواها»، والحاكم في المستدرک (٢/ ٥٧١) (٣٩٣٩)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢٥٧) (٣٥٢) من طريق سفيان، عن حنظلة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٥٥) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: جعل فيها فجورها وتقواها. وذكره عنه بنص ابن الجوزي الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٤/ ٥٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣١).

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٥١٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٥٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ يقول: قد أفلح من زكَّى الله نفسه.

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٧١١).

(٦) معاني القرآن (٣/ ٢٦٧).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣٢).

والثاني: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، قاله قتادة^(١)، وابن قتيبة^(٢).

ومعنى «زكّاها»: أصلحها وطهرها من الذنوب.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ فيه قولان كالذي قبله.

فإن قلنا: إنَّ الفعلَ لله، فمعنى «دسّاها»: خذلها، وأخلها، وأخفى عملها، بالكفر والمعصية ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح.

وإن قلنا: إنَّ^(٣) الفعلَ للإنسان؛ فمعنى «دسّاها»: أخفاها بالفجور. [٨٤١/أ]

قال الفرّاء: ويروى أنَّ «دسّاها»: دسّسها؛ لأنَّ البَخِيلَ يُخْفِي منزله وماله^(٤).

وقال ابن قتيبة: المعنى: دسَّ نفسه؛ أي: أخفاها بالفجور والمعصية، والأصل من دسّستُ، فقلبت السّين ياءً؛ كما قالوا: قصّيتُ أظفاري؛ أي: قصّصْتُها. فكأنَّ النّطفَ^(٥) ^(٦) بازتكابِ الفواحشِ دسَّ نفسه، وقمّعها، ومُضْطَنعُ المعروفِ شهرَ نفسه ورفعها، وكانت أجوادُ العربِ تنزل الرُّبا

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٣١) (٣٦٢٩)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٥٦) من طريق معمر، عن قتادة (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) قال: قد أفلح من زكى نفسه بعمل صالح.

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٣٠).

(٣) ليست في (ر)، و(م).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٦٧).

(٥) في الأصل: النفس، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) النّطف: المتهم. انظر: لسان العرب (١١/ ٤٨)، مادة: (ن ط ف).



لِلشَّهْرَةِ، وَاللَّيَّامِ تَنْزِلُ الْأَطْرَافِ لَتُخْفِيَ أَمَاكِنَهَا^(١).

وقال الزجاج: معنى «دَسَّاهَا»: جعلها قليلة خبيسة^(٢).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا^(١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا^(١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا^(١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا^(١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١١ - ١٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾؛ أي: كذبت رؤسها بطغيانها. والمعنى: أن الطغيان حملهم على التكذيب.

قال الفراء: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مضدران، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات، فاختير لذلك^(٣). وقيل: كذبوا بالعذاب^(٤).

﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾؛ أي: انتدب ﴿أَشْقَاهَا﴾ وهو عاقر الناقة؛ لعقرها ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهو صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ قال الفراء: نصب الناقة على التحذير، وكل تحذير فهو نصب^(٥).

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٠٦)، وغريب القرآن (ص: ٥٣٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٢).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٦٧).

(٤) في (ر)، و(م): العذاب.

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٦٨).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى: اخَذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ وَشَرِبَهَا^(١).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: ذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ، {و} ذَرُوا {سُقْيَاهَا}^(٢).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: سُقْيَاهَا: شَرِبَهَا مِنَ الْمَاءِ. وَالْمَعْنَى: لَا تَتَعَرَّضُوا الْيَوْمَ شَرِبَهَا ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فِي تَحْذِيرِهِ إِيَّاهُمْ الْعَذَابَ بِعَقْرِهَا. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى «العقر» فِي الْأَعْرَافِ [آيَة: ٧٧].

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ: أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، يُقَالُ: دَمَدَمْتُ عَلَى الشَّيْءِ، إِذَا أَطْبَقْتُ فَكَّرَرْتُ الْإِطْبَاقَ^(٣). وَقَالَ الْمَوْرُجُ: الدَّمْدَمَةُ: إِهْلَاكٌ بِاسْتِئْصَالٍ^(٤).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: سَوَّى بَيْنَهُمْ فِي الْإِهْلَاكِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ، وَيَحْيَى بْنُ سَلَامٍ^(٥).

وَقِيلَ: سَوَّى الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَهْلَكَ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ.

وَالثَّانِي: سَوَّى الْأَرْضَ عَلَيْهِمْ. قَالَ مُقَاتِلٌ: سَوَّى يُوَتِّهِمْ عَلَى

(١) غريب القرآن (ص: ٥٣٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٣).

(٤) ذكره عنه الواحدي فِي التفسير البسيط (٢٤ / ٦٩)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٠٠)، والبلغوي فِي معالم التنزيل (٨ / ٤٤٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قَالَ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبَعَهُ، ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَوَارِدِي فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٨٥).



قُبُورِهِمْ^(١). وَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَفَرُوا قُبُورًا فَاضْطَجَعُوا فِيهَا، فَلَمَّا صِيحَ بِهِمْ فَهَلَكُوا زُلْزَلَتْ يَوْمُهُمْ فَوَقَعَتْ عَلَى قُبُورِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ ﴿قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «فَلَا يَخَافُ» بِالْفَاءِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالْوَاوِ، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي مَصَاحِفِ مَكَّةَ، وَالْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ^(٢).

وَفِي الْمَشَارِ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْمَعْنَى: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبَعَهُ فِي إِهْلَاكِهِمْ، وَلَا يَخْشَى عُقْبَى مَا صَنَعَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣)، وَالْحَسَنُ^(٤).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الَّذِي عَقَرَهَا، فَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَخَفْ عُقْبَى مَا صَنَعَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الضَّحَّاكِ^(٥)، وَالسُّدِّيِّ^(٦)، وَابْنِ السَّائِبِ^(٧).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٧١٤).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٣)، والمصاحف؛ لابن أبي داود (ص: ١٤٥).

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٦١) من طريق عمر بن مرثد، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ قال: ذاك ربنا تبارك وتعالى، لا يخاف تبعه مما صنع بهم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦١) من طريق أبو روق، قال: ثنا الضحَّاك ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ قال: لم يخف الذي عقرها عقباها.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٦٢) من طريق سفيان، عن السدي ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ قال: الذي لا يخاف الذي صنع، عُقْبَى مَا صَنَعَ.

(٧) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٧١ - ٧٢).

فَعَلَى هَذَا الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا وَهُوَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ لَمْ يَخَفْ عُقْبَاهَا، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ^(١).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٣).

سُورَةُ اللَّيْلِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَتْ﴾ (١) ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ (٢) ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣) ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ﴾ (٤) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦) ﴿فَسَيِّئَرُهُ لِّلْعُسْرَى﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٩) ﴿فَسَيِّئَرُهُ لِّلْعُسْرَى﴾ (١٠) ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ﴿[الليل: ١ - ١١].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَتْ﴾ قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار^(٢).
وقال الزجاج: يغشى الأفق، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض^(٣).

﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي: بان وظهر من بين الظلمة ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [٨٤١/ب]
في «ما» قولان، وقد ذكرناهما عند قوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّهَا﴾ [الشمس: ٥].

(١) أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣) عن ابن عباس قال: نزلت سورة: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَتْ﴾ بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٦٠٣).

وهي مكية في قول الجمهور، وقال المهدوي: وقيل: هي مدنية، وقيل: فيها مدني.
انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤٩٠).

(٢) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٥٠١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣٥).

وَفِي الذِّكْرِ وَالْأَثْنِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: آدَمُ وَحَوَّاءُ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ^(١)، وَمُقَاتِلٌ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَامٌّ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقِّ﴾ هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَعْمَالَكُمْ لِمَخْتَلَفَةٍ؛ عَمَلٌ لِلْجَنَّةِ، وَعَمَلٌ لِلنَّارِ^(٤). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: سَعْيُ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ مُخْتَلَفٌ، بَيْنَهُمَا بُعْدٌ^(٥).

وَفِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ^(٦) قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اشْتَرَى بِلَالًا مِنْ أُمِّيَّةَ، وَأَبِي ابْنِ^(٧) خَلَفَ بِبُرْدَةٍ وَعَشْرَ^(٨) أَوَاقٍ، فَأَعْتَقَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقِّ﴾ يَغْنِي: سَعْيَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمِّيَّةَ وَأَبِي، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ^(٩).

(١) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٧٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٧٢١).

(٣) النكت والعيون (٦ / ٢٨٧).

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٧٧)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٠٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٥).

(٦) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: الآية.

(٧) في (م): ابني.

(٨) في الأصل، و(م): عشرة، والمثبت من (ر)، و(س)..

(٩) أخرجه الآجري في الشريعة (٤ / ١٨٢٧) (١٢٩٠) من طريق أبي سعيد المؤدب، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن مسعود. وأخرجه السمرقندي =

والثاني: أن رجلاً كانت له نخلة، فزَعُها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا صعد النخلة ليأخذ منها الثمر، فربما سقطت الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ، فلقي النبي ﷺ صاحب النخلة، فقال: «تُعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان، ولك بها نخلة في الجنة؟»

فقال الرجل: إن لي نخلاً، وما فيه نخلة أعجب إليّ منها، ثم ذهب الرجل، فقال رجل -ممن سمع ذلك الكلام-: يا رسول الله! أتُعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: «نعم»! فذهب الرجل، فلقي صاحب النخلة، فسأومها منه. فقال له: أما شعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت ما لي نخلة أعجب إليّ منها، فقال له أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنني أعطى، قال: ما مثلك؟ قال: أربعون نخلة، فقال: أنا أعطيك أربعين نخلة، فأشهد له ناساً ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن النخلة قد صارت في ملكي، وهي لك. فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال: «النخلة لك ولعِيالك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس^(١).

= في بحر العلوم (٣/ ٥٨٩) من طريق منصور بن مزاحم، عن يونس بن إسحاق، عن عبد الله بن مسعود. ومن طريق الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٧٨).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٣٩) (١٩٣٥٥) من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس. ومن طريقه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٧٧)، والتفسير الوسيط (٤/ ٥٠٢).

وقال عطاء: الذي اشتراها من الرجل أبو الدخاح، أخذها بحائط له، فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقٌّ﴾ أبو الدخاح، وصاحب النخلة^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ قال ابن مسعود: يعني: أبا بكر الصديق^(٢)، هذا قول الجمهور. وقال عطاء: هو أبو الدخاح^(٣). وفي المراد بهذا العطاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أعطى من فضل ماله، قاله ابن عباس^(٤).

والثاني: أعطى الله الصدق من قلبه^(٥)، قاله الحسن^(٦).

والثالث: أعطى حق الله عليه، قاله قتادة^(٧). [١/٨٤٢]

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤٥٩) من طريق علي بن حنبل، عن إسحاق بن نجيع، عن عطاء. وذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٤٦).

(٢) تقدم قريباً.

(٣) تقدم قريباً.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦٨) من طريق عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ قال: أعطى ما عنده واتقى، قال: اتقى ربه.

(٥) في (م): قبله.

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٦).

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦٨) من طريق سعيد، عن قتادة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حق الله ﴿وَاتَّقَى﴾ محارم الله التي نهى عنها، وذكره عنه مكي بن أبي طالب في الهداية (١٢ / ٨٣٠٩).

وفي قوله تعالى ﴿وَأَتَقَى﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: اتقى الله، قاله ابن عباس^(١).

والثاني: اتقى البخل، قاله مجاهد^(٢).

والثالث: اتقى محارم الله التي نهى عنها، قاله قتادة^(٣).

وفي الحسنى ستة أقوال:

أحدها: أنه لا إله إلا الله، رواه عطية، عن ابن عباس^(٤)، وبه قال الضحاك^(٥).

والثاني: الخلف، رواه عكرمة، عن ابن عباس^(٦)، وبه قال الحسن^(٧).

والثالث: الجنة، قاله مجاهد^(٨).

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦٨) من طريق عكرمة، عن ابن عباس ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ من الفضل ﴿وَأَتَقَى﴾: اتقى ربه.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦٨) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حق الله ﴿وَأَتَقَى﴾ محارم الله التي نهى عنها.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٧٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾: يقول: صدق بلا إله إلا الله.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٧٠) من طريق عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾: بلا إله إلا الله.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٦٩) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ بالخلف.

(٧) ذكره عنه القرطبي في تفسيره (٢٠ / ٨٣).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٧٠) من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ =

والرَّابِع: نِعَمَ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَه عَطَاءٌ^(١).

والخَامِس: بوعِدِ اللهُ أَنْ يُثَبِّتَهُ، قَالَه قَتَادَةُ^(٢)، ومُقَاتِلٌ^(٣).

والسَّادِس: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّوْمُ، قَالَه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْبَيْتِ﴾ ضَمَّ أَبُو جَعْفَرٍ سَيْنَ: «الْيُسْرَى»،
وَسَيْنَ «الْعُسْرَى»^(٥).

وفيه قولان:

أحدهما: لِلْخَيْرِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦). والمعنى: نُيَسِّرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

والثَّانِي: لِلجَنَّةِ، قَالَه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(٧).

=قال: بالجنة.

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٨)، وابن كثير في تفسيره (٨ / ٤١٧) من رواية عكرمة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٣٣)، والطبري (٢٤ / ٤٧٠) من طريق معمر عن قتادة، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤٤٥).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٧٢٢).

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٨)، والقرطبي في تفسيره (٢٠ / ٨٣)، وابن كثير في تفسيره (٨ / ٤١٧).

(٥) قراءة عشرية، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٢١٦).

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٨)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٧٩).

(٧) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٨).

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَغْنِي ذَلِكَ: أُمِّيَّةٌ وَأَبِي ابْنِي خَلْفٍ^(١).
وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ صَاحِبُ النَّخْلَةِ^(٢).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بِالنَّفَقَةِ فِي الْحَيْرِ وَالصَّدَقَةِ. وَقَالَ قَتَادَةُ:
بِحَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٣).

﴿وَأَسْتَفْقَى﴾ عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ فَلَمْ يَرْغَبْ فِيهِ ﴿وَكَذَبَ بِالْحَقِّ﴾ وَقَدْ سَبَقَتْ
الْأَقْوَالُ فِيهَا.

وَفِي «الْعُسْرِ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: النَّارُ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٤).

وَالثَّانِي: الشَّرُّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥)، وَالْمَعْنَى: سَنُهِيْهُ لِلشَّرِّ فَيُؤَدِّيهِ إِلَى
الْأَمْرِ الْعَسِيرِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَا أَمْسَكَهُ مِنْ مَالِهِ لَا يَنْفَعُهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْفَعُ عَنْهُ
مَالُهُ﴾: الَّذِي بَخِلَ بِهِ عَنِ الْحَيْرِ ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ:

(١) أَخْرَجَهُ الْآجُرِّي فِي الشَّرِيعَةِ (٤ / ١٨٢٧) (١٢٩٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الدَّعَاءِ (ص: ٤٥٩)
(١٥٩٤)، وَذَكَرَهُ عَنِ الْمَاورِدِيِّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٨٨).

(٢) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٣) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٤) ذَكَرَهُ عَنِ الْمَاورِدِيِّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٨٨)، وَتَقَدَّمَ الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ مُسْنَدًا.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٧٥) مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِّلْعُسْرِ﴾: لِلشَّرِّ مِنَ اللَّهِ.

أحدهما: إِذَا تَرَدَّى فِي جَهَنَّمَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ^(١)، وَالْمَعْنَى: إِذَا سَقَطَ فِيهَا.

وَالثَّانِي: إِذَا مَاتَ فَتَرَدَّى فِي قَبْرِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ^(٢).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ ۖ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ۖ ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ۖ ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ۖ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ ۖ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ ۖ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ ۖ ﴿إِلَّا إِلَّا بِغَاءَ وَجْهِهِ أَعْلَىٰ﴾ ۖ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٢ - ٢١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ قَالَ الرَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾: أَي: فَلْيُطْلَبَا مِنَّا ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: أَي: تَتَوَقَّدُ^(٤) وَتَتَوَهَّجُ ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ يَعْنِي: الْمَشْرُكَ ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرَّسُولَ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عَنِ الْإِيمَانِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٥): ﴿وَالْأَشْقَى﴾ بِمَعْنَى: الشَّقِي، وَالْعَرَبُ تَضَعُ «أَفْعَلَ» فِي مَوْضِعِ «فَاعِلٍ»، قَالَ طَرَفَةُ [مِنْ الطَّوِيلِ]:

تَمَتَّنِي رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^(٦)

(١) ذكره عنهما الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٨٢)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٠٤).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٨٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٦).

(٤) في (م): تَوَقَّدَ.

(٥) مجاز القرآن (٢ / ٣٠١).

(٦) البيت له في مجاز القرآن (٢ / ٣٠١)، وتفسير الطبري (٢٤ / ٤٧٨)، والكشف والبيان =

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ [هِيَ] ^(١) الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا زَعَمَ أَهْلُ
الْإِزْجَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا كَافِرٌ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا، هَذِهِ نَارُ
مَوْصُوفَةٍ بَعِيْنِهَا، وَلَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلُ، فَلَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ لَا يُشْرِكُ لَا يُعَذَّبُ؛
لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فَائِدَةٌ، [وَكَانَ
﴿وَنَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ كَلَامًا لَا مَعْنَى لَهُ] ^(٢) ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا﴾؛ أَي: يَنْعُدُ عَنْهَا، فَيُجْعَلُ مِنْهَا عَلَى جَانِبِ
﴿الْأَنْتَى﴾ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ فِي قَوْلِ جَمِيعِ الْمَفْسِّرِينَ.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾؛ أَي: يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ عَنْهُ اللَّهُ زَاكِيًا، وَلَا يَطْلُبُ
الرِّيَاءَ، وَلَا السُّمْعَةَ. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾؛ أَي: لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مُجَازَاةً
لِيَدِ أُسْدَيْتٍ إِلَيْهِ.

وَرَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا اشْتَرَى بِلَالًا بَعْدَ أَنْ كَانَ
يُعَذَّبُ، قَالَ الْمَشْرُكُونَ: مَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ إِلَّا لِيَدِ كَانَتْ لِبَالٍ عِنْدَهُ،
فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ^(١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ^(٢٠)؛ أَي: إِلَّا
طَلَبًا لِثَوَابِ رَبِّهِ.

= (٢٩ / ٤٥٢)، وبلا نسبة في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٤ / ٣٦٠).

(١) من (س).

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، و(س)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٣٦).

(٤) تقدّم قريبًا.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَ«إِلَّا» بِمَعْنَى: «لَكِنْ»، وَنَصَبَ «ابْتِغَاءً» عَلَى إِضْمَارِ
 [٨٤٢/ب] إِنْفَاقِهِ. فَالْمَعْنَى: وَمَا يُنْفِقُ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ^(١).
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أَي: بِمَا يُعْطَى فِي الْجَنَّةِ مِنَ الثَّوَابِ.

سُورَةُ الضُّحَى

وهي مكية [كلها] ^(١) بإجماعهم ^(٢).

اتَّفَقَ الْمَفْسَّرُونَ: على أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ مُدَّةً.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ انْقِطَاعِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَعَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا، وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاخْتَبَسَ عَنْهُ الْوَحْيُ ^(٣).

وَالثَّانِي: لِقَلَّةِ النَّظَافَةِ فِي بَعْضِ أَصْحَابِهِ ^(٤). وقد ذكرنا هذين القولين

(١) من (ر)، و(م).

(٢) أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣)، عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: نزلت سورة ﴿وَالضُّحَى﴾ بمكة، وابن مردويه، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٦٠٨)، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٣): وهي مكية لا خلاف في ذلك بين الرواة.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٤٦٧)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٥٠٨)، والبعوي في معالم التنزيل (٨/ ٤٥٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٠٣) (٢١٨٢) قال: حدثنا أبو اليمان، ثنا إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي، عن أبي كعب مولى ابن عباس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ أَبْطَأَ عَنْكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «لَمْ لَا يَبْطِئْ عَنِّي، وَأَنْتُمْ حَوْلِي لَا تَسْتَنُونَ، وَلَا تَقْلَمُونَ أَظْفَارَكُمْ، وَلَا تَقْصُونَ شَوَارِبَكُمْ، وَلَا تَنْقُونَ رَوَاجِبَكُمْ».

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣١) (١٢٢٢٤) قال: حدثنا أبو عامر النحوي، ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ثنا إسماعيل بن عياش به. والحديث =

في سورة مريم [آية: ٦٥].

والثالث: لأجل جزؤ كان في بيته، قاله زيد بن أسلم^(١).

وفي مدة اختبأه عنه أقوال قد ذكرناها في مريم [آية: ٦٦].

وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جندب، قال: قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ وَدَّعَكَ، فَتَرَكْتُ: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَىٰ (٣)﴾^(٢).

=ضعيف، فيه: ثعلبة بن مسلم الخثعمي، مستور كما في تقريب التهذيب؛ لابن حجر (١/ ١٤٩). وفيه: أبو كعب مولى علي بن عبد الله بن عباس. قال أبو زرعة: لا يعرف إلا في هذا الحديث، ولا يُسمى. انظر: الجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم (٩/ ٤٣٠).

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٤٦٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٤٥٠). وذكر هذا القول عن خولة، خادمة النبي ﷺ، ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٨٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٢٤٢)، وعزاه ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ١٨٢) لمسند أبي بكر بن أبي شيبه، وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٣٠١) وقال: هذا إسناد ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٨): رواه الطبراني وأم حفص لم أعرفها. وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧١٠): وجدت الآن في الطبراني بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بها في الصحيح، والله أعلم.

قلت: قصة إبطاء جبريل بسبب الكلب التي أشار إليها ابن حجر، أخرجها مسلم (٢١٠٥) في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة، ولا كلب من حديث ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١١٥ - ١٧٩٧).

جندبٌ: هو ابنُ سُفْيَانَ، والمرأة يُقال: إنَّها^(١) أمٌ جميلٌ، امرأةُ أبي لهبٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَى ③﴾ وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿ [الضحى: ١ - ١١].

وفي المراد بالضحى أربعة أقوال:

أحدها: ضوءُ النَّهَارِ، قاله مجاهد^(٢).

والثاني: صدرُ النَّهَارِ، قاله قتادة^(٣).

والثالث: أوَّلُ ساعةٍ مِنَ النَّهَارِ إذا ترحلتِ الشَّمْسُ، قاله السُّدِّيُّ^(٤)، ومُقاتِلٌ^(٥).

والرَّابِع: النَّهَارُ كُلُّهُ، قاله الفراء^(٦).

(١) في (م): لها.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٨٢) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿وَالضُّحَى﴾ ساعة من ساعات النهار.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩١).

(٥) تفسير مقاتل (٤ / ٧٣١).

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٧٣).

وفي معنى سَجَى خمسة أقوال:

أحدها: أظلم.

والثاني: ذهب، رُويَا عن ابنِ عَبَّاسٍ^(١).

والثالث: أقبل، قاله سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٢).

والرابع: سكن، قاله عطاء، وعكرمة، وابنُ زَيْدٍ^(٣).

فعلى هذا في معنى «سَكَنَ» قولان:

أحدهما: استقرَّ^(٤) ظلامه.

قال الفراء: ﴿سَجَى﴾ بمغنى: أظلمَ ورَكَدَ في طولِه؛ كما يُقال: بخرَّ سَاجٍ، ولَيْلٌ سَاجٍ؛ إِذَا رَكَدَ وأظلمَ^(٥).

ومغنى رَكَدَ: سَكَنَ. قال أبو عبيدة^(٦): يُقال: ليلةٌ سَاجِيَّةٌ، وسَاكِئَةٌ، وشَاكِرَةٌ. قال الحادي [من الرجز]:

(١) المعنى الأول ذكره الماوردي عنه في النكت والعيون (٦ / ٢٩١)، وأمّا المعنى الثاني فأخرجه الطبري (٢٤ / ٤٨٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابنِ عَبَّاسٍ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ يقول: إذا ذهب.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩١)، وأخرجه الطبري (٢٤ / ٤٨٢) من طريق عطية العوفي عن ابنِ عَبَّاسٍ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ يقول: والليل إذا أقبل.

(٣) ذكره عنهم الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩٢).

(٤) في (س): اسفرَّ.

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٧٣).

(٦) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٢).

يَا حَبَّذَا الْقَمَرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجِ
وَطُرُقٌ مِثْلُ [مُلَاءٍ] ^(١) النَّسَاجِ ^(٢)

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿سَجَى﴾ بِمَعْنَى: سَكَنَ، وَذَلِكَ عِنْدَ تَنَاهِي ظِلَامِهِ وَرُكُودِهِ ^(٤).

وَالثَّانِي: سَكَنَ الْخَلْقُ فِيهِ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ ^(٥).

وَالْخَامِسُ: اِمْتَدَّ ظِلَامُهُ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَسُ، وَعُرْوَةُ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ عَنْ يَعْقُوبَ: «مَا وَدَّعَكَ» بِتَخْفِيفِ الدَّالِ ^(٧). وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ.

قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ مِنَ التَّوْدِيعِ؛ كَمَا يُودَّعُ الْمَفَارِقُ، وَ«مَا

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في الأصل: السَّاجِ، والمثبت من سائر النسخ، والمصادر.

(٣) البيت بلا نسبة في العين؛ للخليل (٦ / ١٦١)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢ / ٣٠٢)، وكتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٢٨٧)، والكامل؛ للمبرد (١ / ٢٢٦)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥ / ٣٣٩)، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٩٣)، وابن منظور في لسان العرب (١٤ / ٣٧١) مادة: (س ج ا) إلى الحارثي.

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٣١).

(٥) النكت والعيون (٦ / ٢٩٢).

(٦) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٩٨)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٠٨)، والأزهري في تهذيب اللغة (١١ / ١٤٠) مادة: (س ج ي).

(٧) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢ / ٣٦٤).

وَدَعَكَ» مخففة؛ مِنْ ودَّعه يدَّعه^(١). ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي: أبغض.

قوله تعالى: ﴿وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ قال عطاء: خيرٌ لك مِنَ الدُّنْيَا^(٢).
وقال غيره: الَّذِي لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِ ﴿فَرَضَى﴾
بِمَا تُعْطَى. قال عليٌّ، والحسنُ: هُوَ الشَّفَاعَةُ فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَرْضَى^(٤).

قال ابنُ عباسٍ: عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ
بَعْدِهِ، كَفَرًا كَفَرًا، فَسَرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ
الْأُولَى﴾ ﴿١﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى ﴿٥﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: جَعَلَ لَكَ مَأْوًى، إِذَا ضَمَّكَ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ فَكَفَاكَ

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٢).

(٢) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١٠٦)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٠٩).

(٣) وهذا قول ابن شجرة كما ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩٣).

(٤) ذكره عنهما الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١٠٧)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥١٠)،
والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٥٥) من رواية عطاء عطاء عن ابن عباس. وقال
البغوي: وهو قول علي، والحسن.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٥٧٢) (٣٩٤٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٨٣)،
وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي: تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف.
وعزه في الدر (٦ / ٣٦١) للطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وابن
جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه.



المؤونة، قاله مُقاتِلٌ^(١).

والثاني: جعل لك مأوى لنفسك أغناك عن كفالة أبي طالب، قاله ابنُ السائب^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: ضالًّا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهذا إلى نها، قاله الجمهور، منهم الحسن، والضحاك^(٣).

والثاني: أنه ضلّ وهو صبي صغير في شعاب مكة^(٤)، فردّه الله إلى جدّه عبد المطلب، رواه أبو الضحى، عن ابن عباس^(٥).

والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته، فعدّل به عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، وردّه إلى القافلة، فمنّ الله عليه بذلك، قاله سعيد بن المسيّب^(٦).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٧٣٢).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩٣).

(٣) ذكره عنهما الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١٠٩)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥١١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٥٦).

(٤) ضرب على كلمة (مكة) في الأصل، وأثبت فوقها كلمة: (المدينة)، وهي المثبتة في نسخة (س)، وفي (ر)، و(م) كما في الصلب.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤٩٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٥٦).

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤٩٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٥٦).

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْمَعْنَى: وَوَجَدَكَ فِي قَوْمٍ ضَلَالٍ، فَهَذَاكَ لِلتَّوْحِيدِ وَالتَّوْبَةِ،
قَالَ ابْنُ السَّائِبِ^(١).

وَالخَامِسُ: وَوَجَدَكَ نَسِيًّا، فَهَذَاكَ إِلَى الذِّكْرِ، وَمِثْلُهُ: ﴿أَنْ تَضِلَّ
إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قَالَ ثَعْلَبٌ^(٢).

وَالسَّادِسُ: وَوَجَدَكَ خَامِلًا لَا تُذَكَّرُ وَلَا تُعْرَفُ، فَهَذِي النَّاسَ إِلَيْكَ
حَتَّى عَرَفُوكَ، قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُحْيَى، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ^(٣).
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٤): أَي: ذَا فَقْرٍ، وَأَنْشَدَ
[مَنْ الْوَافِرُ]:

وَمَا يَذْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَذْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجِلُ^(٥)
أَي: يَفْتَقِرُ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْعَائِلُ: الْفَقِيرُ؛ كَانَ لَهُ عِيَالٌ، أَوْ لَمْ يَكُنْ، يُقَالُ: عَالَ

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤٨٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٥٦).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩٤) بلا نسبة.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٤٩٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٤٩٤).

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٢).

(٥) البيت لأحيحة بن الجلاح في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧)، و(ص: ٥١٨)، جمهرة
اللغة؛ لابن دريد (١ / ٥٧٠ - ٥٧١)، ولسان العرب؛ لابن منظور مادة: (ع ي ل)، وبلا
نسبة في معاني القرآن؛ للفرأ (١ / ٢٥٥)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١ / ٢٥٥)، ومعاني
القرآن؛ للزجاج (٢ / ٤٤١)، وتفسير الطبري (٢٤ / ٤٨٨)، والزاهر (١ / ١٤١)، ويروى
(وما) بدل: (ولا) في الموضعين.



الرَّجُلُ؛ إِذَا افْتَقَرَ، وَأَعَالَ؛ إِذَا كَثُرَ عِيَالُهُ^(١).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَغْنِ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: رَضَاكَ بِمَا أَعْطَاكَ مِنَ الرِّزْقِ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ^(٢)، وَاخْتَارَهُ الْفَرَاءُ. وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ غِنَاهُ عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ، وَلَكِنْ رَضَاهُ بِمَا آتَاهُ^(٣).

وَالثَّانِي: فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ، قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا تَحْقِرْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ^(٥).

وَالثَّانِي: لَا تَنْهَرُهُ عَلَى مَالِهِ، قَالَهُ الرَّجَّاجُ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: سَائِلُ الْبِرِّ، قَالَهُ الْجُمْهُورُ، وَالْمَعْنَى: إِذَا جَاءَكَ السَّائِلُ، فِيمَا أَنْ تُعْطِيَهُ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّهُ رَدًّا لِنَا.

وَمَعْنَى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾: لَا تَنْهَرُهُ، يُقَالُ: نَهَرَهُ وَانْتَهَرَهُ؛ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ بِكَلَامٍ يَزْجُرُهُ.

(١) غريب القرآن (ص: ٥٣١).

(٢) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١١٣)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥١١).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٧٤).

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٥٩٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٥٠١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٨٩) من طريق سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قَالَ: تُغْمِضُهُ وَتَحْقِرُهُ.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٤٠).

والثاني: أَنَّهُ طَالِبُ الْعِلْمِ، قَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ فِي آخَرِينَ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فِي النِّعْمَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:
أَحَدُهُمَا: النُّبُوَّةُ.

وَالثَّانِي: الْقُرْآنُ، رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ^(٢).

وَالثَّلَاثُ: أَمَّا عَامَّةٌ، فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ، وَهَذَا قَوْلُ مُقَاتِلٍ^(٣).

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا بَلَغْتُ:
﴿وَالضُّحَى﴾ قَالَ: كَبُرَ إِذَا خَتَمْتَ كُلَّ سُورَةٍ حَتَّى تَخْتَمَ، وَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى
أَبِي بَنْ كَعْبٍ فَأَمَرَنِي بِذَلِكَ^(٤).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّسَابُورِيُّ: وَيُقَالُ: إِنَّ الْأَضْلَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ
لَمَّا فَتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ هَجَرَهُ شَيْطَانُهُ وَودَّعَهُ،
اغْتَمَّ لِذَلِكَ، فَلَمَّا نَزَلَ: ﴿وَالضُّحَى﴾ كَبُرَ عِنْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَرَحَا

(١) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (٢٩ / ٥٠٩) مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ بْنِ يَعِيشَ، سَمِعَتْ
يَحْيَى بْنَ آدَمَ يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا السَّابِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قَالَ: إِذَا جَاءَكَ الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ فَلَا تَنْهَرْه.
وَأَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي كِتَابِ طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ بِأَصْبَهَانَ (٢ / ٢٠٢) مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ
بْنِ الْفَرَجِ عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ، بِهِ. وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْفَرَجِ: تَرَكَ أَبُو حَاتِمٍ، وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ
كَذَابَ انْظُرْ: الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ (٣ / ٦٢).

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٢٩٥)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٤ / ١١٦).

(٣) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤ / ٧٣٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الْفَاكْهِيُّ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ (٣ / ١١)، وَالْمَخْلَصُ فِي الْمَخْلَصِيَّاتِ (٤ / ٩٦)، وَالْحَاكِمُ
فِي مُسْتَدْرَكِهِ (٣ / ٣٤٤) (٥٣٢٥).

[٨٤٣/ب]

بُنْزُولِ الْوَحْيِ، فَاتَّخَذَهُ النَّاسُ سُنَّةً^(١).

(١) التفسير الوسيط (٤ / ٥١٤).

سُورَةُ {الْمَنْشَرِ}

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَنْشَرُ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ٨

[الشرح: ١ - ٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْمَنْشَرُ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشَّرْحُ: الْفَتْحُ بِإِذْهَابِ مَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِذْرَاكِ. وَاللَّهُ تَعَالَى فَتَحَ صَدْرَ نَبِيِّهِ لِلْهُدَى وَالْمَعْرِفَةِ بِإِذْهَابِ الشَّوَاغِلِ الَّتِي تَصُدُّ عَنْ إِذْرَاكِ الْحَقِّ. وَمَعْنَى هَذَا الْإِسْتِفْهَامِ: التَّقْرِيرُ؛ أَي: قَدْ فَعَلْنَا ذَلِكَ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾؛ أَي: حَطَّطْنَا عَنْكَ إِثْمَكَ الَّذِي سَلَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ^(٢)، وَقَتَادَةُ، وَالْفَرَّاءُ^(٣)،

(١) أَخْرَجَ ذَلِكَ ابْنُ الضَّرِيرِ فِي فُضَائِلِ الْقُرْآنِ (ص: ٣٢)، وَالنَّحَّاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ (٣ / ١٣٢)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٧ / ١٤٣)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ: ﴿الْمَنْشَرُ﴾ بِمَكَّةَ، زَادَ بَعْضُهُمْ: بَعْدَ الضُّحَى، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ مِثْلَهُ. انْظُرْ: الدَّرَ الْمَشُورُ؛ لِلْسَيُوطِيِّ (٦ / ٦١٤)، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحَرَّرِ الْجَوِيزِ (٥ / ٤٩٦): وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ، لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ.

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُمْ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٤ / ١٢٤)، وَالتَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٥١٦) مِنْ رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣ / ٢٧٥).

وابنُ قُتَيْبَةَ فِي آخِرِينَ^(١).

وَقَالَ الرَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: أَنَّهُ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ^(٢).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَأَصْلُ الْوِزْرِ: مَا حَمَلَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَشَبَّهَ بِالْحَمْلِ فَجُعِلَ مَكَانَهُ^(٣).

وَمَعْنَى ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أَنْقَلَهُ حَتَّى سُمِعَ نَقِیْضُهُ؛ أَيْ: صَوْتُهُ، وَهَذَا مَثَلٌ، يَعْنِي: أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَمَلًا يُحْمَلُ لَسُمِعَ نَقِیْضُ الظَّهْرِ مِنْهُ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا تَخْفِيفُ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ الَّتِي يُثْقَلُ الْقِيَامُ بِهَا الظَّهَرُ، فَسَهَّلَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تيسَّرَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنْ رَسُولٍ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذَا ذُكِّرْتُ؛ ذُكِّرْتَ مَعِيَ»^(٥).

(١) غريب القرآن (ص: ٥٣٢).

(٢) معاني القرآن وإعراجه (٥ / ٣٤١).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩١).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٥٢٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٦٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤٩٥) من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٥٢٢) (١٣٨٠)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٨ / ١٧٥) (٣٣٨٢) وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط، والواحدي في تفسيره الوسيط (٤ / ٥١٦)، والبغوي في تفسيره (٨ / ٤٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره، كما في تفسير =

قال قتادة: فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله^(١)، وهذا قول الجمهور. والثاني: رفعنا لك ذكرك بالنبوة، قاله يحيى بن سلام^(٢).

والثالث: رفعنا لك ذكرك في الآخرة، كما رفعناه في الدنيا، حكاه الماوردي^(٣). والرابع: رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء.

والخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء، والزائمهم الإيمان بك والإقرار بفضلك، حكاهما الثعلبي^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ضم سين: «العسر»، وسين «اليسر» أبو جعفر^(٥).

و«العسر» مذكور في الآيتين بلفظ التعريف، و«اليسر» مذكور بلفظ التنكير، فدل على أن العسر واحد واليسر اثنان.

= ابن كثير (٣٨٩ / ١٤)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦١٥ / ٦) نسبه إلى ابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤ / ٨) وقال: رواه أبو يعلى وإسناده.

(١) أخرجه الطبري (٤٩٤ / ٢٤) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩٧).

(٣) النكت والعيون (٦ / ٢٩٧).

(٤) الكشف والبيان (٢٩ / ٥٣٠).

(٥) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢ / ٢١٥).

قال ابن مسعود، وابن عباس - في هذه الآية -: لن يغلب عسر يسرين^(١).

قال الفراء: العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة مثلها صارنا^(٢) اثنتين؛ كقولك: إذا كسبت درهمًا فأنفق درهمًا، فالثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفة، فهي كقولك: إذا كسبت درهمًا فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول^(٣).

(١) رواية ابن مسعود أخرجهما عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٣٨) (٣٦٤٤) من طريق جعفر بن سليمان، عن ميمون أبي حمزة، عن إبراهيم النخعي، عن ابن مسعود، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٩/ ٥٣٢ - ٥٣٣) من طريق جعفر بن سليمان عن رجل، عن إبراهيم النخعي، عن ابن مسعود. قال ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٧١٢): إسناده ضعيف.

قلت: الرجل الذي لم يسم في إسناده الثعلبي، صرح به عبد الرزاق، وهو ميمون أبو حمزة الأعور القصاب، مشهور بكنته، ضعيف. وقال ابن عدي في الكامل (٨/ ١٥٨): وأحاديثه التي يرويها خاصة عن إبراهيم ما لا يتابع عليها.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة (ص: ٢٨)، قال: حدثنا علي بن الجعد، أنا شعبة، عن معاوية بن قرة، عن حديثه، عن ابن مسعود، وإسناده منقطع. ومن طريقه أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٠٦) (١٠١١).

وجاء مرفوعاً من حديث ابن مسعود رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٨٥) (٩٩٧٧)، وفيه أبو حمزة ميمون الأعور: ضعيف كما تقدم. قال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧١٢): إسناده ضعيف.

أمّا رواية ابن عباس فرواها الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٧٥) قال: حدثني حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وفيه الكلبي عمّد بن السائب: متهم بالكذب. وحبان بن علي الغزي: ضعيف. وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧١٢): أخرجه الفراء بإسناد ضعيف. وذكرها عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٥٩٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٤/ ١٢٩).

(٢) في (ر)، و(م): صارت.

(٣) لم أجد قوله في المعاني، وذكره الواحدي مسنداً في التفسير البسيط (٢٤/ ١٣٢) قال: =

ونخو هذا قال الزجاج: ذكر «العسر» بالألف واللام، ثم ثنى ذكره، فصار المعنى: إنَّ مع العسر يُسرَيْن^(١).

وقال الحسن^(٢) بن يحيى الجرجاني - ويقال له: صاحب النظم^(٣) -:
معنى الكلام: لا يحزنك ما يُعيرُك به المشركون من الفقر ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ عاجلاً في الدنيا فأنجزه ما^(٤) وعده، بما فتح عليه، ثم ابتداءً فضلاً آخر، فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو، وهو وعد لجميع المؤمنين أنَّ مع عسر المؤمنين يُسرًا في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يغلب عسر يُسرَيْن: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده

= أخبرنا ابن الفارسي، عن حمد بن محمد البستي، قال: ذكر لنا أبو عمر، عن ثعلب، عن سلمة، عن الفراء قال: العرب إذا ذكَّرت نكرة، ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنين، كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، والثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفة فهي هي كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٤١).

(٢) في (ر)، و(م): الحسين.

(٣) هو الحسن بن يحيى بن نصر أبو علي الجرجاني، توفي قبل (٤٠٠هـ)، وكلامه في كتابه نظم القرآن. وكتاب نظم القرآن كتابٌ مفقودٌ إلى اليوم فيما ذكر الباحثون، وقد صنف مكِّي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ) كتاب انتخاب نظم القرآن للجرجاني وإصلاح غلطه، وهو مفقود كذلك كما ذكر الدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه مكِّي بن أبي طالب وتفسير القرآن (ص: ١٣٣)، وذكر الزركشي في البرهان في علوم القرآن (٢ / ٩٢) كتاب مكِّي، ونقل منه مقاطع متفرقة. وانظر: تاريخ جرجان؛ للسهمي (ص: ١٨٧)، والأنساب؛ للسمعاني (٢ / ٨٠)، واللباب (١ / ٢٨٩)، والمشتبه؛ للذهبي (١ / ٢٤٧).

(٤) في الأصل: بها، والمثبت من سائر النسخ.

اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، فَالْيُسْرُ الَّذِي وَعَدَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِنَّهَا يَغْلِبُ أَحَدُهُمَا [٨٤٤/أ] وَهُوَ يُسْرُ الدُّنْيَا، فَأَمَّا يُسْرُ الْآخِرَةِ، فَدَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ؛ كَقَوْلِهِ ﷺ: «شَهْرًا عِيدٌ لَا يَنْقُصَانِ»^(١)؛ أَي: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النِّقْصِ، وَحُكِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ^(٢)، قَالَ: كُنْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْبَادِيَةِ بِحَالَةٍ مِنَ الْغَمِّ، فَأَلْقَى فِي رَوْعِي بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ، فَقُلْتُ [من الهزج]:

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَضَى بَحَ مَغْمُومًا لَهُ أَرْوَحُ
فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ سَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتِفُ [من الهزج]:

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَلْ لَذِي أَهْمُ بِهِ بَرَّخُ
وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْتًا لَمْ يَزَلْ فِي فِكْرِهِ يَسْنَحُ^(٣)
إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْعُسْرُ فَفَكَّرْ فِي أَلَمْ نَشْرَحُ

(١) أخرجه البخاري (١٩١٢) بلفظ: شهران لا ينقصان، شهرا عيد: رمضان، وذو الحجة. ومسلم (١٠٨٩) بلفظ: شهرا عيد لا ينقصان، رمضان وذو الحجة. من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، أبو عبد الرحمن العتبي، العلامة الأخباري، الشاعر المجود، من أهل البصرة، كان صاحب أخبار ورواية للآداب، وكان يشرب، وله تصانيف أديبات وشهرة، روى عن ابن عينة وأبي مخنف لوط بن يحيى، وروى عنه أبو حاتم السجستاني وغيره، توفي سنة (٢٢٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٤)، والأنساب؛ للسمعاني (٤/ ١٤٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٩٦).

(٣) في الأصل، و(م): يسبح، والمثبت من (ر)، و(س)، والمصادر.

فَعُسِّرَ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إِذَا أَبْصَرْتَهُ فَافْرَحَ^(١)

فحفظت الآيات، وفرج الله غمي.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾؛ أي: فاذا أب في العمل، وهو من النَّصَبِ، والنَّصَبُ: التعبُ الدَّؤوبُ في العمل.

وفي معنى الكلام ستة^(٢) أقوال:

أحدها: فإذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام الليل، قاله ابن مسعود^(٣).

والثاني: فإذا فرغت من الصلاة؛ فانصب في الدعاء، قاله ابن عباس^(٤)، والضحاك^(٥)، ومقاتل^(٦).

والثالث: فإذا فرغت من جهاد عدوك؛ فانصب لعبادة ربك، قاله

(١) أخرجه بسنده - ما حكي عن العنبي مع هذه الأشعار - الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩ / ٥٤٢ - ٥٤٣)، الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٥١٩).

(٢) في (م): خمسة.

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود، كما في الدر المنثور (٦ / ٦١٧)، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٢٩٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٥٢١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٦٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٩٦) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٤٩٦) من طريق عبيد عن الضحاك.

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٧٤٢).

الحَسَنُ، وَقَتَادَةُ^(١).

وَالرَّابِعُ: فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ؛ فَانْصَبْ فِي عَمَلِ آخِرَتِكَ، قَالَ مُجَاهِدٌ^(٢).

وَالخَامِسُ: فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ التَّشْهُدِ؛ فَادْعُ لِدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، قَالَه
الشَّعْبِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ^(٣).

وَالسَّادِسُ: إِذَا صَحَّ بِدُنْكَ؛ فَاجْعَلْ صِحَّتَكَ نَصَبًا فِي الْعِبَادَةِ، ذَكَرَهُ
عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْإِلَهِكَ فَارْغَبْ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: اجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَخُدَّهُ^(٥).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٩٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ:

﴿فَإِذَا فَرَّغْتَ فَانْصَبْ﴾ قَالَ: أَمْرُهُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ غَزْوِهِ، أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الدَّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٤٩٧) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿فَإِذَا فَرَّغْتَ

فَانْصَبْ﴾ قَالَ: إِذَا فَرَّغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَانْصَبْ، قَالَ: فَفَصَّلَ.

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُمَا الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٥٢١)، وَالسَّمْعَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٦ / ٢٥٢)،

وَالْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٤٦٦).

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٤ / ١٣٨)، وَالتَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٤ / ٥٢١).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٤١).

سُورَةُ التِّينِ

وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: مكيّة، قاله الجمهور، منهم الحسن، وعطاء^(١).
والثاني: أنّها مدنيّة، حكاه الماوردي^(٢)، عن ابن عباس، وقادة^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللّٰتِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْحَكِيمِينَ﴾ [التين: ١ - ٨].

قوله تعالى: ﴿وَاللّٰتِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فيهما سبعة أقوال:

أحدها: أنّه التين المعروف، والزيتون المعروف، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وإبراهيم^(٤).

(١) أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣)، عن ابن عباس قال: أنزلت سورة: ﴿وَاللّٰتِ وَالزَّيْتُونِ﴾ بمكة. وابن مردويه كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٦١٨).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٠٠).

(٣) ذكره القرطبي في جامعه (٢٠/ ١١٠)، وأبو حيّان في البحر المحيط (٨/ ٤٨٩).

(٤) أخرج الطبري (٢٤/ ٥٠١-٥٠٢) عن الحسن، وعكرمة، ومجاهد وإبراهيم والكلبي. وذكره عن الحسن وعكرمة ومجاهد الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣٠٠).

وذكر بعضُ المفسرين: أَنَّهُ إِنَّمَا أَقْسَمَ بِالتِّينِ؛ لِأَنَّهَا ^(١) فَكِيهَةٌ مَخْلُصَةٌ مِنْ شَائِبِ التَّنْغِصِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ مَنْ هَيَّأَهُ عَلَى تِلْكَ الصُّفَةِ، وَجَعَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْهُ عَلَى مِقْدَارِ اللَّقْمَةِ، وَإِنَّمَا أَقْسَمَ بِالزَّيْتُونِ؛ لِكثْرَةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ التِّينَ: مَسْجِدُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي بُنِيَ عَلَى الْجُودِيِّ. وَالزَّيْتُونُ: بَيْتُ الْمُقَدَّسِ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٢).

وَالثَّلَاثُ: التِّينُ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَالزَّيْتُونُ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قَالَهُ الضَّحَّاكُ ^(٣).

وَالرَّابِعُ: التِّينُ: مَسْجِدُ دِمَشْقَ، وَالزَّيْتُونُ: بَيْتُ الْمُقَدَّسِ، قَالَهُ كَعْبٌ ^(٤)، وَقَتَادَةُ ^(٥)، وَابْنُ زَيْدٍ ^(٦).

(١) فِي (س): لِأَنَّهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٥٠٣) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعُرْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ يَعْنِي: مَسْجِدَ نُوحٍ الَّذِي بُنِيَ عَلَى الْجُودِيِّ، وَالزَّيْتُونُ: بَيْتُ الْمُقَدَّسِ؛ قَالَ: وَيُقَالُ: التِّينُ وَالزَّيْتُونُ وَطُورُ سَيْنِينَ: ثَلَاثَةُ مَسَاجِدَ بِالشَّامِ.

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (٣٠ / ١٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الدُّوَلَابِيُّ فِي الْكُنَى وَالْأَسْمَاءِ (٢ / ٨٤٢) (١٤٧٥) مِنْ طَرِيقِ عَوْفٍ، عَنْ يَزِيدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ كَعْبٍ. وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٥٠٢).

(٥) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٣ / ٤٤٠) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٥٠٢).

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٥٠٢) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قَالَ: التِّينُ: مَسْجِدُ دِمَشْقَ، وَالزَّيْتُونُ، مَسْجِدُ إِبْلِیَاءَ.



والخامس: أنَّهُمَا جَبَلَانِ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ فِي رِوَايَةٍ^(١)، وَرُوي عَنْ قَتَادَةَ.
قَالَ: التَّيْنُ: الْجَبَلُ الَّذِي عَلَيْهِ دِمَشْقُ، وَالزَّيْتُونُ: الْجَبَلُ الَّذِي عَلَيْهِ بَيْتُ
المقدس^(٢).

والسادس: أَنَّ التَّيْنَ: مَسْجِدُ أَهْلِ^(٣) الْكَهْفِ، وَالزَّيْتُونُ: مَسْجِدُ
إِيلِيَاءَ، قَالَهُ الْقُرْظِيُّ^(٤).

والسابع: أَنَّ التَّيْنَ: جِبَالٌ مَا بَيْنَ جِلْوَانَ إِلَى هَمْدَانَ^(٥)، وَالزَّيْتُونُ:
جِبَالُ الشَّامِ^(٦)، حَكَاهُ الْفَرَّاءُ^(٧).

فَأَمَّا ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ فَالطُّورُ: جَبَلٌ، وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ، قَالَهُ كَعْبُ الْأَخْبَارِ
فِي الْأَكْثَرِينَ.

[٨٤٤/ب]

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٠٢ - ٥٠٣) من طريق وكيع، عن أبي بكر، عن عكرمة ﴿وَالنِّينِ
وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: هما جبلان.

(٢) سبق قريباً.

(٣) في (ر)، و(س)، و(م): أصحاب.

(٤) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (٨ / ٥٥٥)، وذكره عنه النحاس
في إعرابه القرآن (٥ / ١٥٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ١٣)، والماوردي في
النكت والعيون (٦ / ٣٠١).

(٥) في المعاني: همدان.

(٦) في (ر): بالشَّام.

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٧٦).

والثاني: أَنَّهُ جَبَلٌ بِالشَّامِ، قَالَه قَتَادَةُ^(١).

فَأَمَّا «سَيْنِينَ» فَهُوَ لُغَةٌ فِي سَيْنَاءَ، وَقَدْ قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام،
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو مَجْلِزٍ: «وَطُورِ سَيْنَاءَ» مَمْدُودَةً
مَهْمُوزَةً مَفْتُوحَةً السَّيْنِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبُو حَيَّوَةَ: «وَطُورِ سَيْنَاءَ» مِثْلَهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَسَرُوا السَّيْنَ^(٢).

وَقَرَأَ أَبُو رَجَاءٍ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «سَيْنِينَ» [كَمَا فِي الْمُصْحَفِ]^(٣)، لَكِنَّهُمَا
فَتَحَا السَّيْنَ^(٤). وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: «سَيْنِينَ» هُوَ سَيْنَاءُ^(٥).

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الْحَسَنُ. وَقِيلَ: الْمَبَارَكُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ
اسْمٌ لِلشَّجَرِ الَّذِي حَوْلَهُ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ [آيَةَ: ٢٠].

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَقَدْ قُرِئَ هَاهُنَا: «وَطُورِ سَيْنَاءَ»، وَهُوَ أَشْبَهَ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٢٠]^(٦).

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٣/ ٤٤٠)، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ٥٠٢).

(٢) قَرَأَتَانِ شَاذَتَانِ، انْظُرْ: الشَّوَاذُ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٥١٨).

(٣) فِي الْأَصْلِ: كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٤) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، انْظُرْ: الشَّوَاذُ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٥١٨).

(٥) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٠/ ١١٣.

(٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥/ ٣٤٣).

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كُلُّ جَبَلٍ فِيهِ شَجَرٌ مُثْمَرٌ فَهَوَّ سِينِينَ، وَمِسْنَاءُ بُلْغَةِ النَّبْطِ^(١).
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يَغْنِي: مَكَّةَ، يَأْمَنُ فِيهِ الْخَائِفُ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْإِسْلَامِ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَمَعْنَى «الْأَمِينِ»: الْآمِنُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لِلْأَمِينِ:
آمِنٌ^(٢). قَالَ الشَّاعِرُ [مَنْ الطَّوِيلُ]:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَيَحْكُ أَنْبِي حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي؟^(٣)
يُرِيدُ: أَمِينِي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ.

وَفِي الْمَرَادِ بِالْإِنْسَانِ هَاهُنَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كِلْدَةُ بَنِ أَسِيدٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤).

وَالثَّانِي: الْوَلِيدُ بَنُ الْمَغِيرَةِ، قَالَهُ عَطَاءٌ^(٥).

وَالثَّلَاثُ: أَبُو جَهْلٍ بَنُ هِشَامٍ.

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٧٥١).

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٧٦).

(٣) البيت بلا نسبة في لغات القرآن؛ للفرء (ص: ١٣)، ومعاني القرآن أيضًا (٣ / ٢٧٦)،
وتفسير الطبري (٢٤ / ٥٠٥)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٣٤)، وإعراب القرآن؛
للنحاس (٥ / ١٥٩).

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٥٩٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣٠).

(٥) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٣٠).

والرَّابِع: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ، حَكَاهُمَا الْمَاورِدِيُّ^(١).

والخَامِس: أَنَّهُ اسْمُ جَنْسٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُقَاتِلٍ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: فِي أَعْدَلِ خَلْقٍ^(٣).

وَالثَّانِي: مُتَنَصِّبُ الْقَامَةِ، رُويَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

وَالثَّالِث: فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ^(٥).

وَالرَّابِع: فِي شَبَابٍ وَقُوَّةٍ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَبِهِ قَالَ

(١) لم أقف على هذا القول في النسخة المطبوعة من النكت والعيون؛ للماوردي.

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٧٥١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٥٠٧) من طريق أبي رزين، عن ابن عباس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: في أعدل خلق.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٠٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٠٧) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالوية ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يقول: في أحسن صورة.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٠٨) من طريق المعتمر، قال: سمعت الحكم يحدث، عن عكرمة، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: الشاب القوي الجلد.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٠٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ يقول: يرد إلى أرذل العمر.

عِكْرَمَةً^(١)، وإِبْرَاهِيمَ^(٢)، وَقَتَادَةَ^(٣).

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: إِلَى الْهَرَمِ بَعْدَ الشَّبَابِ، وَالضَّعْفِ بَعْدَ الْقُوَّةِ، وَالسَّافِلُونَ: هُمُ الضُّعَفَاءُ، وَالزَّمَنَى، وَالْأَطْفَالُ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، أَسْفَلَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا^(٤).

قَالَ الْفَرَاءُ: وَإِنَّمَا قَالَ: «سَافِلِينَ» عَلَى الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَعْنَى جَمْعٍ، تَقُولُ: هَذَا أَفْضَلُ قَائِمٍ، وَلَا تَقُولُ: قَائِمِينَ؛ لِأَنَّكَ تُرِيدُ وَاحِدًا، فَإِذَا لَمْ تَرُدَّ وَاحِدًا ذَكَرْتَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَبِالْجَمْعِ^(٥).

وَالثَّانِي: إِلَى النَّارِ، قَالَه الْحَسَنُ^(٦)، وَأَبُو الْعَالِيَةِ^(٧)، وَمُجَاهِدٌ^(٨).

(١) أخرجه الطبري (٥٠٨ / ٢٤) من طريق ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: إلى أرذل العمر.

(٢) أخرجه الطبري (٥٠٨ / ٢٤) من طريق سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: إلى أرذل العمر.

(٣) أخرجه الطبري (٥٠٩ / ٢٤) من طريق ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: رددناه إلى الهرم.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٠٢ / ٦).

(٥) معاني القرآن (٢٧٧ / ٣).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٠٩ - ٥١٠ / ٢٤) من طريق ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: في النار.

(٧) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٥٢٤ / ٤).

(٨) أخرجه الطبري (٥٠٩ / ٢٤) من طريق سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: النار.

فالمعنى: إِنَّا نَفْعَلُ هَذَا بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: أَتَفَقَ فُلَانٌ مَالَهُ عَلَى فُلَانٍ، وَإِنَّمَا أَتَفَقَ بَعْضُهُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٨] لم يرد كُلُّ مَالِهِ.

ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنَ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِنْسَانِ: الْكَثِيرُ.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى هَذَا^(١) الْإِسْتِثْنَاءِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا، فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَى الْحَرْفِ وَأُرْذِلَ الْعُمَرُ وَإِنْ عُمَرُوا طَوِيلًا، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ قرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أُرْذِلِ الْعُمَرِ^(٢).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ^(٣) النَّخَعِيُّ: إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يَعْجُزُ عَنِ الْعَمَلِ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(٤).

(١) ليست في (ر)، و(م).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٠ / ٦) (٢٩٩٥٧) من طريق أبي الأحوص، عن عكرمة. وأخرجه الطبري (٢٤ / ٥١٠ - ٥١١) من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة. وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥٧٦ / ٢) (٣٩٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٢٣٤) (٢٤٥٠) من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٣) ليس في (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥١٢) من طريق سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: إلى أُرْذِلَ الْعُمَرِ، فإذا بلغ المؤمن إلى أُرْذِلَ الْعُمَرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَحْسَنَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي شَبَابِهِ وَصَحْتِهِ.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا فِي وَقْتِ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، [٨٤٥/أ] فَإِنَّهُمْ فِي حَالِ الْكِبَرِ غَيْرَ مَنْقُوصِينَ وَإِنْ عَجَزُوا عَنِ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَسْلُبْهُمْ الْقُوَّةَ لَمْ يَنْقَطِعُوا عَنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، فَهُوَ يُجْرِي لَهُمْ أَجَرَ ذَلِكَ^(١).

وَالثَّانِي: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَى النَّارِ، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي.

وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى «الْمَمْنُون» فِي «نُون» [آيَة: ٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ ﴿بِالِّدِينَ﴾؛ أَي: مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ مَكْذَبًا بِالْجِزَاءِ؟ وَهَذَا تَوْبِيخٌ لِلْكَافِرِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُقَاتِلٍ، وَزَعَمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَدِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ^(٢).

وَالثَّانِي: فَمَنْ يَقْدِرْ عَلَى تَكْذِيبِكَ بِالشَّوَابِ وَالْعِقَابِ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ خَلْقُنَا الْإِنْسَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَا، قَالَهُ الْفَرَّاءُ^(٣).

فَأَمَّا «الدِّين»: فَهُوَ الْجِزَاءُ. وَالْمَشَارُ بِذِكْرِهِ إِلَى الْبُعْثِ، كَأَنَّهُ اسْتَدَلَّ بِتَقْلِيلِ الْأَحْوَالِ عَلَى الْبُعْثِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾؛ أَي: بِأَقْصَى الْقَاضِينَ.

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٠٥).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٧٥١)، .

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٧٧).

قَالَ مُقَاتِلٌ: يَحْكُمُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُكَذِّبِكَ^(١).

وذكر بعضُ المفسّرين: أنَّ معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإغراض عنهم، ثمَّ نُسخ هذا المعنى بآية السَّيف.

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٧٥٢).

سُورَةُ {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}

وَتُسَمَّى: سُورَةُ الْقَلَمِ، وَسُورَةُ الْعَلَقِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِهِمْ^(١).
وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا^(٢) نَزَلَتْ^(٣) عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ
الْوَحْيِ خَمْسَ آيَاتٍ مِنْهَا، ثُمَّ نَزَلَ بِاقِيهَا فِي أَبِي جَهْلٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ١ - ٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ﴾ ﴿١﴾ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: بِتَخْفِيفٍ^(٤) الْهَمْزَةُ فِي الْحَرْفَيْنِ^(٥).
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْمَعْنَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(٦) وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ^(٧).

(١) أَخْرَجَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤ / ٥١٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٢ / ٥٧٦)، وَصَحَّحَهُ
عَنْ عَائِشَةَ ؓ قَالَتْ: أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ
كَمَا فِي الدَّرِ الْمَشْهُورِ (٦ / ٦٢٣) مِنْ طَرَقٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ
بِمَكَّةَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ: "أَوَّلُ مَا بَدَأَ
بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ".

(٢) فِي (م): أَنْهَأَ.

(٣) فِي (س): نَزَلَ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: خَفِيفٌ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (ر)، وَ(م).

(٥) فِي (س): خَفَّفَ الْهَمْزَةَ فِي الْحَرْفَيْنِ أَبُو جَعْفَرٍ.

(٦) فِي (س): اسْمِ.

(٧) مَجَازُ الْقُرْآنِ (٢ / ٣٠٤).

وقال المفسرون: المعنى: اذكر اسمه مُستفتحاً به قراءتك، وإنما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾؛ لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أضنامهم. والإنسان هاهنا: ابن آدم. والعلق: جمع علقه، وقد بينّاها في سورة الحج. قال الفراء: لما كان الإنسان في معنى الجمع جمع العلق مع مُشاكلة رؤوس الآيات^(١).

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ تكرر^(٢) للتأكيد. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قال الخطّابي: الأكرم: الذي لا يُوازيه كرم، ولا يُعادلُه في الكرم نظير. وقد يكون الأكرم بمعنى: الكريم، كما جاء الأعز والأطول بمعنى: العزيز والطويل، وقد سبق تفسير الكريم^(٣).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي: علّم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ من الخط، والصنائع، وغير ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمد ﷺ.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (١) ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ (٢) ﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (٣) ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ (٤) ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ (٥) ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ (٦) ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (٧) ﴿وَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ (٨) ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ لَنُفَعَّا بِالْأَنَاصِيَةِ﴾ (٩) ﴿فَأَصْبَحَ كُذِّبًا خَاطِئًا﴾ (١٠) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١١) ﴿سَدِّعُ الزَّيَّاتَةَ﴾ (١٢) ﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١٣) [العلق: ٦ - ١٩].

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٧٨).

(٢) في (م): تقرير.

(٣) شأن الدعاء (ص: ١٠٣ - ١٠٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾؛ أَي: حَقًّا. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: ﴿كَلَّا﴾ لَا يَغْلُمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ^(١).

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجِفٌ﴾ يَعْنِي: أَبَا جَهْلٍ. وَكَانَ إِذَا أَصَابَ مَا لَا أَشِيرَ وَبَطَرَ فِي ثِيَابِهِ، وَمَرَاحِيهِ، وَطَعَامِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنزَاهُ اسْتَفَى﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي: أَنْ رَأَى نَفْسَهُ اسْتَفَى. وَ«الرُّجْعَى»: الْمَرْجِعُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ مَعْنَى أَرَأَيْتَ: تَعَجِّبُ الْمُخَاطَبَ، وَإِنَّمَا كَرَّرَهَا^(٣)؛ لِلتَّكْيِيدِ وَالتَّعَجُّبِ. وَالْمَرَادُ بِالنَّاهِي هَاهُنَا: أَبُو جَهْلٍ. [٨٤٥/ب]

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يَعْقُرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ: فَبِالَّذِي يُخْلِفُ بِهِ لَيْسَ رَأْيَتُهُ (يَفْعَلُ ذَلِكَ)^(٤) لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ. فَقِيلَ لَهُ: هَا هُوَ ذَاكَ يُصَلِّي. فَاَنْطَلَقَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَمَا فَجَأَهُمْ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهُوَ لَا وَأَجْنَحَةٌ، وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ^(٥).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٧٦٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٣٤).

(٣) في الأصل: ذكرها، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) ليست في (ر)، و(م).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) (٣٨)، وابن حبان (٦٥٧١)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٥٨)، =

وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل، فقال: ألم
أنهك عن هذا؟ فأنصرف إليه النبي ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: والله إنك
لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴿.﴾
قال ابن عباس: والله لو دعا نادية لأخذته زبانية الله (١).

قال المفسرون: والمراد بالعبد هاهنا: محمد ﷺ، وقيل: كانت الصلاة
صلاة الظهر.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ يعني: المنهي، وهو النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يعني: الناهي، وهو أبو جهل، قال
الفراء: والمعنى: أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى، وهو كاذب متول عن
الذكر؟ فأي شيء أعجب من هذا (٢)؟ وقال ابن الأثيري: تقديره: أرايته
مُصَيِّباً (٣).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يعني: أبا جهل ﴿يَأْنِ لِلَّهِ بَرَى﴾ ذلك فيجازه
﴿كَلَّا﴾ أي: لا يعلم ذلك ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَ﴾ عن تكذيب محمد ﷺ وشتمه وإيذائه.

= والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ١٨٩)، والبخاري في معالم التنزيل (٤ / ٥٠٧ - ٥٠٨) من
طرق عن معتمر بن سليمان، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٥٢٦) عن محمد بن عبد الأعلى، عن محمد بن ثور،
عن أبيه ثور، عن نعيم بن أبي هند، به.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٤٩)، والنسائي في الكبرى (١٠ / ٣٤٠) (١١٦٢٠) من طريق داود
بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٧٨).

(٣) لم أقف عليه.

﴿لَتَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ السَّفْعُ: الأخْذُ، والنَّاصِيَةُ: مقدَّم شَعْرِ^(١) الرَّأْسِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ: سَفَعْتُ بِيَدِهِ؛ أَي: أَخَذْتُ بِهَا^(٢).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: سَفَعْتُ الشَّيْءَ^(٣)؛ إِذَا قَبَضْتُ عَلَيْهِ وَجَذَبْتُهُ جَذْبًا شَدِيدًا، وَالْمَعْنَى: لَتَجُرَّنَّ نَاصِيَتَهُ إِلَى النَّارِ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ بَدَلٌ، فَلِذَلِكَ جَرَّهَا^(٥). قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى: بِنَاصِيَةِ صَاحِبِهَا كَاذِبٌ خَاطِئٌ؛ كَمَا يُقَالُ: نَهَارُهُ صَائِمٌ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ؛ أَي: هُوَ صَائِمٌ فِي نَهَارِهِ، قَائِمٌ فِي لَيْلِهِ^(٦).

﴿فَلْيَنْعُ نَادِيَهُ﴾؛ أَي: أَهْلُ نَادِيِهِ وَهُمْ أَهْلُ مَجْلِسِهِ فَلْيَسْتَنْصِرْهُمْ ﴿سَنَعُ الزَّابِيَةَ﴾ قَالَ عَطَاءٌ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْغَلَاطُ الشَّدَادُ^(٧). وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ^(٨). وَقَالَ قَتَادَةُ: الزَّابِيَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الشُّرْطُ^(٩).

(١) ليست في (م).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٤).

(٣) في (ر): بالشَّيْءِ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٤٥).

(٥) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٤).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٤٥).

(٧) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١٨٢) ونسبه إلى الزَّجَّاجِ.

(٨) تفسير مقاتل (٤ / ٧٦٤).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٤٤) من طريق معمر عن قتادة في قوله تعالى:

﴿الزَّابِيَةَ﴾ قَالَ: «الزَّابِيَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الشُّرْطُ». وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ

البسيط (٢٤ / ١٨٢). الشُّرْطُ: سَمَوْا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ شُرْطَةٌ كُلُّ شَيْءٍ خِيَارُهُ، وَهُمْ نَخْبَةُ

السلطان من جُنْدِهِ. انْظُرْ: تَهْذِيبُ اللَّغَةِ (١١ / ٣٠٩) (شرط).

قَالَ الْفَرَّاءُ: كَانَ الْكِسَائِيُّ يَقُولُ: لَمْ أَسْمَعْ لِلزَّبَانِيَةِ بَوَاحِدٍ، ثُمَّ قَالَ بِأَخْرَةٍ: وَاحِدُ الزَّبَانِيَةِ: زِبْنِيٌّ، فَلَا أَذْرِي أَقْيَاسًا مِنْهُ أَوْ سَمَاعًا؟^(١).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَاحِدُ الزَّبَانِيَةِ: زِبْنِيَّةٌ؛ وَهُوَ كُلُّ مَتَمَرِّدٍ مِنْ إِنْسٍ، أَوْ جَانٍّ يُقَالُ: فَلَانٌ زِبْنِيَّةٌ؛ عَفْرِيَّةٌ^(٢).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَهُوَ مَاخُودٌ مِنَ الزَّبْنِ؛ وَهُوَ الدَّفْعُ، كَأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا^(٣).

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: الزَّبْنُ: الدَّفْعُ؛ يُقَالُ: نَاقَةٌ زَبُونٌ؛ إِذَا زَبَنْتَ حَالِبَهَا، وَدَفَعْتَهُ بِرَجْلِهَا، وَتَزَابَنَ الْقَوْمُ: تَدَارَوْا، وَاشْتَفَاقُ الزَّبَانِيَةِ؛ مِنَ الزَّبْنِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ أَيُّ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ ﴿لَا تُطِغَنَّ﴾ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ ﴿وَأَسْجُدْ﴾ أَيُّ: صَلَّى اللَّهُ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ خِطَابٌ لِأَبِي جَهْلٍ.

ثُمَّ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: ﴿وَأَسْجُدْ﴾ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ أَنْتَ يَا أَبَا

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٨٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٣٤).

(٤) جوهرة اللغة (١/ ٣٣٥).

[٨٤٦/أ]

جَهْلٍ مِنَ النَّارِ، قَالَه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(١).

والثاني: ﴿وَأَقْرَبَ﴾ يا أبا جهلٍ تهدداً له، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القدماء، وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قدمناه.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢).

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٥ - ٤٨٢).

سُورَةُ الْقَدْرِ

وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).والثاني: أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، قَالَه الصَّحَّاحُ، وَمُقَاتِلٌ^(٢).قَالَ الْمَاورِدِيُّ: وَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ^(٣). وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: الثَّانِي قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُكُمْ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

[القدر: ١ - ٥].

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (٣/ ٥٣) من رواية مجاهد عن ابن عباس، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣)، وقال عنه السيوطي في الإتيقان (١/ ٥٠): إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين. ومن رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس، كما أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٢). والراجح أن السورة مكية، وأنه هو قول الأكثرين كما قاله الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣١١)، والسيوطي في الإتيقان (١/ ٧٨) ورجحه، وكذلك رجحه ابن كثير في تفسيره (١٤/ ٤٠٣).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٧٧٠).

(٣) النكت والعيون (٦/ ٣١١).

(٤) الكشف والبيان (٣٠/ ٥٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً^(١) فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ، وَهُوَ بَيْتُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْحَدِيثَ فِي أَوَّلِ كِتَابِنَا.

وَالِهَاءُ فِي ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كَنَاءٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قَدْ جَرَى ذِكْرُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] ^(٢).

فَأَمَّا ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فَفِي تَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ خُمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْقَدَرَ الْعِظَمَةُ، مِنْ قَوْلِكَ: لِفُلَانٍ قَدْرٌ، قَالَ الزُّهْرِيُّ^(٣).

وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] و[الزمر: ٦٧].

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الضِّيقِ؛ أَي: هِيَ لَيْلَةٌ تَضِيقُ فِيهَا الْأَرْضُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ، قَالَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ^(٤)، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧].

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْقَدَرَ الْحُكْمُ، كَأَنَّ الْأَشْيَاءَ تُقَدَّرُ^(٥) فِيهَا، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٦).

(١) ليست في (س)، و(م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٤٧).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٦٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ١٩٢).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٦١).

(٥) في (ر): يُقَدَّرُ.

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٣٤).

والرابع: لأنَّ مَنْ لم يَكُنْ لَهُ قَدْرٌ صارَ بِمُراعَياتِها ذا قَدْرٍ، قاله أبو بكرٍ الورَّاقُ^(١).

والخامس: لأنَّه نَزَلَ فيها كِتابٌ ذو قَدْرٍ، وتَنَزَّلَ فيها رَحمةٌ ذاتُ قَدْرٍ، وملائكةٌ ذوو قَدْرٍ، حكاه شيخنا عليُّ بنُ عُبَيدِ اللهِ^(٢).

فَصْلٌ

واختَلَفَ العُلَماءُ هل ليلَةُ القَدْرِ باقية، أم كانت في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ خاصَّة؟ والصَّحيح بقاءُها.

وهل هي في جميعِ السَّنة، أم في رَمَضان؟
فيه قولان:

أحدهما: في رَمَضان، قاله الجمهورُ.

والثاني: في جميعِ السَّنة، قاله ابنُ مسعودٍ^(٣).

واختَلَفَ القائلونَ بأنَّها في شهرِ رَمَضان: هل نختَصُّ ببعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ؟
على قولَين:

أحدهما: أنَّها في العَشرِ الأواخِرِ، قاله الجمهورُ، وأكثرُ الأحاديثِ

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٦١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٥٠٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) يعني قول ابن مسعود: «من قام السنة أصاب ليلة القدر»، أخرجه مسلم (١٧٩ - ٧٦٢).

الصَّحاح^(١) تدلُّ عليه.

وقد رَوَى البخاري في أفرادِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، أَوْ سَابِعَةٍ تَبْقَى، أَوْ فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(٢).

وفي حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: مَا أَنَا بِمُتَمِّسٍ بِهَا لِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «الْتِمِسُوهَا فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ ثَلَاثٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ»^(٣).
والقول الثاني: أَنَّهَا فِي جَمِيعِ رَمَضَانَ، قَالَه الْحَسَنُ الْبُضْرِيُّ^(٤).

وَاخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ هَلْ تَخْتَصُّ لِيَالِي الْوَتْرِ دُونَ الشَّفَعِ؟
عَلَى قَوْلَيْنِ:

(١) في (ر)، و(م): الصحيحة.

(٢) صحيح البخاري (٢٠٢١) من طريق أيوب عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٧٦)، وأبو داود الطيالسي (٨٨١)، والترمذي (٧٩٤)، والبخاري في مسنده (٣٦٨١)، والنسائي في الكبرى (٣٤٠٣) و(٣٤٠٤)، وابن خزيمة (٢١٧٥)، وابن حبان (٣٦٨٦)، والحاكم (٤٣٨ / ١)، والبيهقي في الشعب (٣٦٨١) من طرق عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكر، وصححه الترمذي والحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٦ / ٢) (٩٥٣٤)، والطبري في تفسيره (٨ / ٢٢) من طريق ربيعة بن كَثُوم، قال: قال رجل للنحسن وأنا أسمع: رأيت ليلة القدر، أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يُفَرَّقُ فيها كل أمر حكيم، يقضي الله كل أجل وخلق ورزق إلى مثلها.

أحدهما: أنها تختص الأفراد، قاله الجمهور. والأحاديث الصحاح كلها تدل عليه.

وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد [٨٤٦/ب] الخذري عن النبي ﷺ أنه قال: «ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها»^(١).

والثاني: أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، قاله الحسن^(٢). وروى عن الحسن، ومالك بن أنس قالاً: هي ليلة ثمان عشرة^(٣). واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخص الليالي بها على خمسة أقوال:

أحدها: أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين، فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخذري قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط^(٤) واعتكفنا معه، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع ورجعنا معه، وأرى ليلة القدر، ثم أنسيها، فقال: «إني رأيت ليلة القدر، ثم أنسيته وأراني»^(٥) أسجد في ماء وطين، فمن اعتكف فليزجج إلى معتكفه، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشيّة، وكان سقف المسجد عريشاً من جريد، فوكف المسجد، فوالذي هو أكرمهُ، وأنزل

(١) صحيح البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (١١٦٧).

(٢) تقدّم قريباً.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (م): الوسط.

(٥) في (س): ورأيتني.

عليه الكتاب لرأيتُه يُصَلِّي، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين، وإنَّ جبهته وأزنية أنفه لفي الماء والطَّين^(١)، وهذا مذهبُ الشَّافعيِّ.

والثَّاني: أنَّ الأَخَصَّ بها ليلة ثلاثٍ وعشرين، روى أبو هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ليلة ثلاثٍ وعشرين: «اطْلُبُوهَا اللَّيْلَةَ»^(٢).

وروى ابنُ عمرَ عن النَّبيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ مِنَ الشَّهْرِ شَيْئًا فَلْيَقُمْ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ»^(٣).

وروى مُسلمٌ في أفرادِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ نَسِيتُهَا»^(٤)، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ». قَالَ: فَمَطَرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَبْصَرْتُهُ^(٥)، وَإِنْ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ. قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ^(٦).

(١) صحيح البخاري (٢٠٤٠)، ومسلم (١١٦٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٧٤٢٣)، وابن ماجه (١٦٥٦)، وابن حبان (٣٤٥٠)، والبيهقي (٣١٠ / ٤) من طريق أبي معاوية، أخرجه ابن خزيمة (٢١٧٩)، وابن حبان (٢٥٤٨) من طريق جرير بن عبد الحميد، والبيهقي (٣١٠ / ٤) من طريق أبي إسحاق الفزاري، كلاهما عن الأعمش، أخرجه البيهقي (٣١٠ / ٤) من طريق أبي مسلم عبيد الله بن سعيد، قائد الأعمش، عن الأعمش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ر)، و(م): أنسيها.

(٥) في (م): فانصرف.

(٦) صحيح مسلم (١١٦٨).

والثالث: ليلة خمس وعشرين، روى هذا المعنى أبو بكره عن النبي ﷺ^(١).

والرابع: ليلة سبع وعشرين، روى مسلم في إفراذه من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعِ وَعِشْرِينَ»^(٢)، يغني: ليلة القدر، وهذا مذهب علي، وأبي بن كعب، وكان أبي يخلف، لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين، وبه قال ابن عباس، وعائشة، ومعاوية، واختاره أحمد.

وروي عن ابن عباس: أنه استدلل على ذلك بشيئين:

أحدهما: أنه قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَصْنَافٍ، يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]... الآيات، ثُمَّ جَعَلَ رِزْقَهُ فِي سَبْعَةِ أَصْنَافٍ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥]، ثُمَّ تُصَلَّى الْجُمُعَةُ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَجَعَلَ السَّمَوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرْضِينَ سَبْعًا، وَالْمِثْلَانِ سَبْعًا، فَلَا أَرَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِلَّا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ وَعِشْرِينَ. والثاني: أنه قال قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَّمَ﴾ هِيَ الْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا كَذَلِكَ.

واختجَّ بعضهم، فقال: لَيْلَةُ الْقَدْرِ كُرِّرَتْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَهِيَ تِسْعَةُ أَحْرُفٍ، وَالتَّسْعَةُ إِذَا كُرِّرَتْ ثَلَاثًا فَهِيَ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ، وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى ذَلِكَ.

(١) تقدم قريباً.

(٢) مسلم (١١٦٥).

والقول الخامس: أَنَّ الْأَوَّلَى طَلَبَهَا فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، قَالَهُ أَبُو رَزِينِ الْعَقِيلِي^(١).

وَرَوَى أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْتَقِلُ فِي الْعَشْرِ [أ/٨٤٧] الْأَوَاخِرِ^(٢).

فَأَمَّا الْحِكْمَةُ فِي إِخْفَائِهَا فَلْيَتَحَقَّقْ اجْتِهَادُ الْعِبَادِ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ طَمَعًا مِنْهُمْ فِي إِذْرَاكِهَا، كَمَا أَخْفَى سَاعَةَ الْجُمُعَةِ، وَسَاعَةَ اللَّيْلِ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ، وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَى، وَالْوَلِيَّ فِي النَّاسِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَالِئَةَ الْقَدْرِ﴾ هَذَا عَلَى سَبِيلِ هَذَا لَهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّشْوِيقُ إِلَى خَيْرِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: قِيَامُهَا وَالْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ، وَصِيَامُهَا لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ^(٣).

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٦٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٨٦).

(٢) ذكره الترمذي في سننه قبل حديث (٧٩٣)، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٣ / ٤١٢) عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابَةَ قَالَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْتَقِلُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ وَتَرٍ.

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٧٤٠)، وأخرجه الطبري (٢٤ / ٥٣٣) من طريق مهران، عن سفيان، قال: بلغني عن مجاهد ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر.



واختيارُ الفراء^(١)، وابنِ قُتَيْبَةَ^(٢)، والزَّجَّاجَ^(٣).

وَرَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَلَ السَّلَاحَ عَلَى عَاتِقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَذَلِكَ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أُمَّتِهِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَقَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ الَّتِي حَمَلَ فِيهَا الْإِسْرَائِيلِيُّ السَّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٤). وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَا مَضَى لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: عَابِدٌ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفَ شَهْرٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ فِيهَا. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: الْمَلَكُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى^(٥).

وَفِي الرُّوحِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ جِبْرِيلُ، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ.

وَفِي حَدِيثٍ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ نَزَلَ جِبْرِيلُ فِي كَنْبَكَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ

(١) معاني القرآن (٣ / ٢٨٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٣٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٤٧).

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير (٢٤ / ١٩٣)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٣٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٤٩٠).

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٦٦٨)، والإمام أحمد في مسنده (١٠٧٣٤)، والبزار في مسنده (٩٤٤٧).

يَذْكُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

والثاني: أَنَّ الرُّوحَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَرَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَنْزِلُونَ مِنْ لَدُنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، قَالَه كَعْبٌ، وَمُقَاتِلٌ بَنُ حَبَّانٍ^(٢).

والثالث: أَنَّهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَفِي بِخَلْقِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَه الْوَاقِدِيُّ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهَا﴾؛ أَي: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿يَاذُنْ رَبِّهِمْ﴾؛ أَي: بِمَا أَمَرَ بِهِ وَقَضَاهُ ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي: بِكُلِّ أَمْرٍ^(٤).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: يَنْزِلُونَ بِكُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللَّهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ^(٥).

وَقَرَأَ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ:

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٤٠) (٨٧٨)، من طريق محمد بن نصر ابن مكرم قال: أخبرنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث به. وأخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ٤٠٥)، عن علي بن سعيد، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٨١ - ١٨٣)، عن محمد بن يزيد الزرقعي، ومن طريق ابن حبان رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٥٤٥ - ٥٤٦) كلاهما عن محمد بن يحيى الأزدي، عن أصرم به، وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ١٣٨ - ١٣٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٤١) (٨٧٩) من طريق عباد بن عبد الصمد، عن أنس به مرفوعاً، بنحوه بألفاظ متقاربة، وفيه زيادة.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠/ ١١٤).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠/ ١١٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٣٤).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوجيز (ص: ١٢١٩).



«مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» بكسر الرَّاءِ، وبغدها همزة مكسورة مُنَوَّنة، وبوضِلِ اللَّامِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ^(١).

ولهذه القِراءةُ وَجْهَانِ:

أحدهما: مِنْ كُلِّ مَلَكٍ سَلامٌ.

والثَّاني: أَنْ تَكُونَ «مِنْ» بِمَعْنَى: «عَلَى» تَقْدِيرُهُ: عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَلامٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ [الأنبياء: ٧٧]، والقِراءةُ الْمُوَافِقةُ لَخَطِّ الْمُضْحَفِ هِيَ الصَّوَابُ. وَيَكُونُ تَمَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾؛ أَي: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلامٌ.

وَفِي مَعْنَى السَّلامِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ لَا يَخْدُثُ فِيهَا دَاءٌ، وَلَا يُرْسَلُ فِيهَا شَيْطَانٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ^(٢).

والثَّاني: أَنَّ مَعْنَى السَّلامِ: الْخَيْرُ وَالْبَرَكَهَةُ، قَالَ قَتَادَةُ^(٣).

وَكَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: الْوَقْفُ عَلَى «سَلامٍ» عَلَى مَعْنَى ﴿نَزَّلَ

(١) قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٠٥)، معاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٣٤٧).

(٢) أخرجه المحاملي في أماليه (ص: ٣٣٨) (٣٧٠)، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٣٨) (٣٦٩٩)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠/ ١١٦)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣١٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٣٥) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (١) سَلَّمَ هِيَ؛ أي هي خير كلها إلى مطلع الفجر.

الْمَلَكُ بِالسَّلَامِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، [٨٤٧/ب] وَأَبُو عَمِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةُ: «مَطْلَعٌ» بَفَتْحِ اللَّامِ، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ: بِكَسْرِهَا^(١).

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَالْفَتْحُ أَقْوَى فِي قِيَاسِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَطْلَعَ بِالْفَتْحِ: الطُّلُوعُ، وَبِالْكَسْرِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُطْلَعُ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ مَطْلَعًا، بِالْكَسْرِ وَهُمْ يُرِيدُونَ الْمَصْدِرَ، كَمَا تَقُولُ: أَكْرَمْتُكَ كَرَامَةً، فَتَجْتَزِي بِالِاسْمِ مِنَ^(٢) الْمَصْدَرِ^(٣).

وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي الْكَهْفِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَطْلَعِ الشَّمْسِ﴾ [آيَةُ: ٩٠] شَرْحًا كَافِيًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٤)، والسبعة (ص: ٦٩٣).

(٢) في (م): عن.

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٨١).

سُورَةُ {لَمْ يَكُنْ}

وفيهما قولان:

أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور.

والثاني: مكية، قاله أبو صالح، عن ابن عباس، واختاره يحيى بن سلام^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾
 رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝٢﴿ فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ ۝٣﴾ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝﴾ [البينة: ١ - ٨].

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: ومن المشركين، وهم عبدة الأوثان ﴿مُنْفَكِينَ﴾؛ أي: منفصلين ورأئلين؛ يقال: فككت الشيء فانفك؛ أي:

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة: ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ بالمدينة، وعن عائشة: نزلت بمكة. انظر: الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٦٤٠). قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٧): وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء: إنها مدنية، والأول أشهر.

انْفَصَلَ. والمعنى: لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمْ﴾ أي: حتى أتتهم، فلفظه لفظ المستقبل، ومعناه الماضي.

و﴿الْبَيِّنَةُ﴾: الرسول، وهو مُحَمَّدٌ ﷺ، وذلك أنه بينَ لهم ضلالتهم^(١) وجهلهم، وهذا بيانٌ عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم. وذهب بعضُ المفسرينَ إلى أن معنى الآية: لم يختلفوا أن الله يبعثُ إليهم نبيًا حتى بُعثَ فافترقوا.

وقال بعضهم: لم يكونوا ليركوا مُنفكين عن حُججِ الله حتى أُقيمتَ عليهم البينة^(٢). والوجهُ هو الأول. والرسول هاهنا: مُحَمَّدٌ ﷺ.

ومعنى ﴿يَتْلُوا صُحُفًا﴾ أي: ما تَضَمَّتْهُ الصُّحُفُ مِنَ المَكْتُوبِ فِيهَا وهو القرآن، ويدلُّ على ذلك أنه كانَ يَتْلُو القرآنَ عن ظَهْرِ قَلْبِهِ لَا مِنْ كِتَابٍ.

ومعنى ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الشُّركِ والباطلِ ﴿فِيهَا﴾ أي: في الصُّحُفِ ﴿كُتِبَ قِيمَةً﴾ أي: عادلةٌ مُستقيمةٌ تُبَيِّنُ الحقَّ مِنَ الباطلِ، وهي الآياتُ.

قال مقاتلٌ: وإنما قيلَ لها: كُتِبَ؛ لما جُمِعَتْ مِنْ أُمُورٍ شَتَّى^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: مَنْ لم يُؤْمِنْ مِنْهُمْ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها مُحَمَّدٌ ﷺ. والمعنى: لم يزالوا مُجْتَمِعِينَ على الإيمانِ بِهِ حتى

(١) في (م): ضلالتهم.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣١٥).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٧٨٠).

بُعْثَ، قَالَه الْأَكْثَرُونَ.

وَالثَّانِي: الْقُرْآنُ، قَالَه أَبُو الْعَالِيَةِ^(١).

وَالثَّلَاثُ: مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ بَيَانِ نُبُوَّتِهِ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ^(٢).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَا تَفَرَّقُوا فِي كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنُوا أَنَّهُ
الَّذِي وَعَدُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾؛ أَي: فِي كُتُبِهِمْ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أَي: إِلَّا أَنْ
يَعْبُدُوا اللَّهَ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ اللَّامَ فِي مَوْضِعِ «أَنْ» فِي الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ
كَثِيرًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، و﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ
اللَّهِ﴾ [الصف: ٨]، وَقَالَ فِي الْأَمْرِ: ﴿وَأْمَرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١]^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أَي: مُوَحِّدِينَ لَا يَعْبُدُونَ سِوَاهُ
﴿حُنَفَاءَ﴾ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الْمَكْتُوبَةَ فِي أَوْقَاتِهَا ﴿وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ﴾ عِنْدَ وَجُوبِهَا ﴿وَذَلِكَ﴾ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ هُوَ ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: دِينَ الْأُمَّةِ الْقِيَمَةِ بِالْحَقِّ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: ذَلِكَ

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣١٦).

(٢) النكت والعيون (٦ / ٣١٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٠).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٢٨٢).

الدِّينُ دِينُ الْمَلَّةِ الْمُسْتَقِيْمَةِ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ ذَكْوَانَ، عَنِ ابْنِ عَارِمٍ: بِالْهَمْزِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ^(٢). وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِغَيْرِ هَمْزٍ فِيهِمَا^(٣).

[٨٤٨/أ] قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْبَرِيَّةُ: الْخَلْقُ، وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ وَالْقُرَاءِ عَلَى تَرْكِ هَمْزِهَا؛ لِكثْرَةِ مَا جَرَتْ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَهِيَ «فَعِيلَةٌ» بِمَعْنَى «مَفْعُولَةٌ»، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ؛ مِنْ بَرَيْتِ الْعُودِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهَا؛ مِنَ الْبَرَى؛ وَهُوَ التُّرَابُ؛ أَيْ: خَلَقَ مِنَ التُّرَابِ، وَقَالُوا: لِذَلِكَ لَا يُهْمَزُ^(٤).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَوْ كَانَ مِنَ الْبَرَى وَهُوَ التُّرَابُ؛ لَمَا قُرِنَتْ بِالْهَمْزِ، وَإِنَّمَا اشْتَقَّاقُهَا مِنْ بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ^(٥).

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَضَلَّ الْبَرِيَّةَ: الْهَمْزُ إِلَّا أَنَّهُمْ اضْطَلَحُوا عَلَى تَرْكِ الْهَمْزِ فِيهَا^(٦). وَمَا بَعْدَهُ ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوَابِهِ^(٧).

(١) معاني القرآن وإعراجه (٥ / ٣٥٠).

(٢) في (م): بالكلمتين.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (٢٢٤)، والسبعة (ص: ٦٩٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ١٥).

(٥) معاني القرآن وإعراجه (٥ / ٣٥٠).

(٦) شأن الدعاء (ص: ٥٠).

(٧) تفسير مقاتل (٤ / ٧٨١).

وكان بعض السلف يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرضى عنك؟.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: خافه في الدنيا وتناهى عن معاصيه.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

وفيهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا مَدِينَةٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: مَكِّيَّةٌ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَعَطَاءٌ، وَجَابِرٌ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ [الزلزلة: ١ - ٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؛ أَي: حُرَّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً، وَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: تَتَزَلْزَلُ مِنْ شِدَّةِ صَوْتِ إِسْرَافِيلَ حَتَّى يَنْكَسِرَ^(٢) كُلُّ مَا عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الزَّلْزَلَةِ، وَلَا تَسْكُنُ حَتَّى تُلْقِيَ مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ جَبَلٍ، أَوْ بِنَاءٍ، أَوْ شَجَرٍ، ثُمَّ تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ، فَتُخْرِجُ مَا فِي جَوْفِهَا^(٣).

(١) مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَمَدِينِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ. انْظُرْ: الْبَيَانُ فِي عَدِّ آيِ الْقُرْآنِ؛ لِلدَّانِي (ص: ٢٨٣)، وَالْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ؛ لِابْنِ عَطِيَّةٍ (٥ / ٥١٠)، وَالدَّرُ الْمَشْهُورُ؛ لِلْسَّيْطَوِيِّ (٦ / ٦٤٤).

(٢) فِي (س): يَنْكَسِرُ.

(٣) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤ / ٧٨٩).

وفي وقتِ هذه الزَّلزلة قولان:

أحدهما: أنها تكونُ في الدنيا، وهي من أشرطِ السَّاعة، قاله الأكثرُونَ.

والثاني: أنها زلزلة يوم القيامة، قاله خارجهُ بنُ زيدٍ في آخرين^(١).

قال الفراء: حدَّثني محمدُ بنُ مَرْوان قال: قلتُ للكَلْبِيِّ: أَرَأَيْتَ قولَ الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؟ فقال: هذا^(٢) بمنزلةِ قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨] فأضيف المصدرُ إلى صاحبه، وأنت قائلٌ في الكلام: لأعطينك عطيتك. تُريد عطيةً^(٣).

والزَّلزال^(٤): بالكسر المصدرُ، وبالفتح الاسمُ. وقد قرأ أبو العالِيَةِ، وأبو عمران، وأبو حنيفة الجحدريُّ: «زَلزالها» بفتح الزَّاي^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما فيها من الموتى، قاله ابنُ عباسٍ^(٦).

والثاني: كنوزها، قاله عطيةٌ، وجمعُ الفراءِ بين القولين، فقال: لفظتْ

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣١٩).

(٢) في (ر)، و(م): هذه.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٨٣).

(٤) في (س): والزَّلزلة.

(٥) قراءة شاذة، انظرها في: الشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥٢٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٤٧) من طريق شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قال: الموتى.

مَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، أَوْ مَيِّتٍ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ اسْمُ جَنْسٍ يُعْمُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ، وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ جَعَلَهَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهَا حِينَ ابْتَدَأَتْ لَمْ يَغْلَمْ الْكُلَّ أَتَّهَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى اتَّقَنُوا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْكَافِرُ خَاصَّةً، وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ جَعَلَهَا زَلْزَلَةَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ عَارِفٌ بِهَا فَلَا يَسْأَلُ عَنْهَا، وَالْكَافِرُ جَاحِدٌ لَهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، فَلِذَلِكَ يَسْأَلُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مَنْصُوبٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، ﴿وَأَخْرَجَتْ﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿تُحَدِّثُ﴾ بِأَخْبَارِهَا؛ أَيِ: تُخْبِرُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا^(٢).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «[أَخْبَارُهَا]»^(٣): أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا»^(٤). [٨٤٨/ب]

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٨٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٥١).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٨٨٦٧)، والترمذي (٢٤٢٩) و(٣٣٥٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٩٣)، وابن حبان (٧٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٢٥٦)، والبيهقي في الشعب (٧٢٩٨)، والبعثي في شرح السنة (٤٣٠٨) من طرق عن ابن المبارك، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا رَّبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾
بِوَحْيِ اللَّهِ وَإِذْنِهِ لَهَا^(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أَيُّ: أَوْحَىٰ إِلَيْهَا، وَإِذْنًا لَهَا أَنْ تُخْبِرَ بِمَا
عُمِلَ عَلَيْهَا^(٢).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٣): «لَهَا» بِمَعْنَى: «إِلَيْهَا»، قَالَ الْعَجَّاجُ [مِنْ الرِّجَزِ]:
أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ^(٤)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَذِرُ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أَيُّ: يَرْجِعُونَ عَنْ مَوْقِفِ
الْحِسَابِ ﴿أَشْنَاءًا﴾ أَيُّ: فِرْقًا، فَأَهْلُ الْإِيمَانِ عَلَىٰ حِدَةٍ، وَأَهْلُ الْكُفْرِ عَلَىٰ
حِدَةٍ.

= وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٢/ ٥٣٢) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمَقْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي
أَيُّوبَ، بِهِ. وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ، وَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ قَائِلًا: يَحْيَىٰ هَذَا مِنْكَرُ
الْحَدِيثِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ.

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٨٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٥٤٩) مِنْ طَرِيقِ شَيْبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿أَوْحَىٰ
لَهَا﴾ قَالَ: أَوْحَىٰ إِلَيْهَا. وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٤/ ٢٢٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٦).

(٤) الرِّجَزُ فِي دِيَوَانِهِ (ص: ٥)، وَمَجَازُ الْقُرْآنِ (١/ ١٨٢)، وَ(٢/ ٣٠٦)، وَتَأْوِيلُ مُشْكَلِ
الْقُرْآنِ (ص: ٧٤)، وَ(ص: ٢٦٧)، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٦/ ٤٠٥)، وَ(٧/ ٤٨٢)، وَمَعَانِي
الْقُرْآنِ؛ لِلزَّجَّاجِ (٢/ ٢١٩)، وَبَعْدَهُ:

وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَّاتِ الثَّبَتِ

﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وعائشة، والجحدري:
«لِيرَوْا» بفتح الياء^(١).

قال ابن عباس: أي: ليرَوْا جزاء أَعْمَالِهِمْ^(٢).

والمعنى: أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنِ الْمَوْقِفِ فِرْقًا لِيُنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.
وقيل: في الكلام تَقْدِيمٌ وتأخيرٌ تَقْدِيرُهُ: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾^(٣) بِأَنَّ رَبَّكَ
أَوْحَى لَهَا ﴿لِيرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: ﴿يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْنَانًا﴾ فعلى هذا: يَرَوْنَ
مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ قال المفسرون: مَنْ يَعْمَلُ
فِي الدُّنْيَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ؛ يَرَهُ.

وقرأ أبان عن عاصم: «يُرَهُ» بضم الياء في الحرفين^(٣). وقد بينا
معنى «الذرة» في سورة النساء [آية: ٤٠].

وفي معنى هذه الرؤية قولان:

أحدهما: أَنَّهُ يَرَاهُ فِي كِتَابِهِ.

والثاني: يَرَى جَزَاءَهُ.

وذكر مقاتل أَنَّهُمَا نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ كَانَا بِالْمَدِينَةِ، كَانَ أَحَدُهُمَا يَسْتَقِلُّ

(١) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرمانى (ص: ٥٢٠).

(٢) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٢٢٨)، والتفسير الوسيط (٤ / ٥٤٢).

(٣) انظر الخلاف عن أبان وشعبة، وعن الحلواني، وما ذكر عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٦٩٤).

أَنْ يُعْطِيَ السَّائِلَ الْكَسْرَةَ، أَوِ التَّمْرَةَ، وَكَانَ الْآخَرُ يَتَهَاوَنُ بِالذَّنْبِ الْيَسِيرِ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا يُرَغِّبُهُمْ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيُحَذِّرُهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ
الشَّرِّ^(١).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٧٩١-٧٩٢).

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

وفيهما قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابنُ مسعودٍ، وعطاءٌ، وعكرمةٌ، وجابرٌ^(١).والثاني: مدنيةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةٌ، ومقاتلٌ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ (١) ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ (٢) ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ (٣) ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا﴾ (٤)
 فَوْسَطْنَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) وَإِنَّهُ
 لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ﴾ (٩) ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠)
 إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١ - ١١].

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الإبلُ في الحَجِّ، قاله عليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعبيدُ بنُ
 عميرٍ، والقرظيُّ، والسُّديُّ^(٣).

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٥١٣): وهي مكية في قول جماعة من أهل العلم. وقال المهدوي عن أنس بن مالك: وهي مدنية. وقد رواه بإسناده عن أنس أبو عمرو الداني في كتابه البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٨٤)، وفي إسناده أبان بن أبي عياش، متروك.

(٢) الذي ورد عن مقاتل في تفسيره (٤ / ٧٩٩) أنها مكية.

(٣) أخرجها عنهم الطبري (٢٤ / ٥٥٩).

وروي عن عليٍّ أنه قال: ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْعًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى^(١)، وروي عن عليٍّ أنه قال: هذا في صفة وقعة بدر، قال: وما كان معنا يومئذٍ إلا فرس^(٢).

وفي بعض الحديث: أنه كان معهم فرسان.

والثاني: أنها الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع^(٣)، واللغوئون.

وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سرية، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فلم يأت خبرها شهراً^(٤)، فنزلت: ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْعًا﴾ صبحت بمنأخرها.

﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ قدحت بحوافرها الحجارة فأورث نارا. ﴿فَالْمُعِيرَتِ ضَبْعًا﴾ صبحت القوم بغارة ﴿فَأُثِرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ أثارَت بحوافرها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: صبحت الحي جميعاً.

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٦٤) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال لي علي: إنما العاديات ضبعا من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٥٥٩) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وذكره عنه الفراء في معاني القرآن (٣ / ٢٨٤)، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٥٣٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ١٧٥).

(٣) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٤ / ٥٥٨)، وذكره عنهم الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٢٣٦).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ١٧١).

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى حُنَيْنٍ مِنْ كِنَانَةَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ^(١) الْمُنْذَرِ بْنَ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ خَيْرُهَا، فَجَعَلَ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ إِذَا رَأَوْا رُجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنَاجَوْا، فَيُظَنُّ الرَّجُلُ [٨٤٩/أ] أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ أَخُوهُ أَوْ أَبُوهُ، أَوْ عَمُّهُ، فَيَجِدُ مِنْ ذَلِكَ حُزْنًا^(٢)، فَتَزَلَّتْ: ﴿وَالْعَدِيدَتِ ضُبْحًا﴾ فَأَخْبَرَ اللَّهُ كَيْفَ فَعَلَ بِهِمْ.

قَالَ الْفَرَاءُ: الضُّبْحُ^(٣): أَصْوَاتُ أَنْفَاسِ الْخَيْلِ إِذَا عَدَوْنَ^(٤). وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الضُّبْحُ: صَوْتُ حُلُوقِهَا إِذَا عَدَتْ^(٥). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ضُبْحُهَا: صَوْتُ أَجْوَافِهَا إِذَا عَدَتْ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْخَيْلُ، تُورِي النَّارَ بِحَوَافِرِهَا إِذَا جَرَتْ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.
قَالَ الزَّجَّاجُ: إِذَا عَدَتِ الْخَيْلُ بِاللَّيْلِ، فَأَصَابَتْ بِحَوَافِرِهَا الْحِجَارَةَ، انْقَدَحَتْ مِنْهَا النَّيرانُ^(٧).

(١) فِي (م): عَلَيْهَا.

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤/ ٨٠١).

(٣) فِي (م): وَالضُّبْحُ.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣/ ٢٨٤).

(٥) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٣٥).

(٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥/ ٣٥٣).

(٧) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

والثاني: أَنَّهَا نِيرَانُ الْمَجَاهِدِينَ إِذَا أُوقِدَتْ، رُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).
 والثالث: مَكْرُ الرِّجَالِ فِي الْحَرْبِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ^(٢)، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(٣).
 والرابع: نِيرَانُ الْحَجِيجِ بِالْمَزْدَلِفَةِ، قَالَهُ الْقُرْظِيُّ^(٤).
 والخامس: أَنَّهَا الْأَلْسِنَةُ إِذَا ظَهَرَتْ بِهَا الْحُجُجُ، وَأُقِيمَتْ بِهَا الدَّلَائِلُ
 عَلَى الْحَقِّ وَفُضِّحَ بِهَا الْبَاطِلُ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ^(٥).
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ هِيَ الَّتِي تَغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ عِنْدَ
 الصَّبَاحِ، هَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ حِينَ
 يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ^(٦).
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأُتْرِنَبْ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: يُرِيدُ بِهِ الْوَادِي وَلَمْ يُذَكَّرْ قَبْلَ
 ذَلِكَ، وَهَذَا جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الْغُبَارَ لَا يُثَارَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ^(٧).

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٢٤)، والواحي في التفسير البسيط (٢٤ / ٢٤١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٦١) من طريق ابن أبي نجيع. عن مجاهد، في قول الله: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قَالَ: مَكْرُ الرِّجَالِ.

(٣) ذكره عنه الواحي في التفسير البسيط (٢٤ / ٢٤٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٥١١).

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٢٤)، والواحي في التفسير البسيط (٢٤ / ٢٤٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٦١) من طريق سماك بن حرب، عن عكرمة قال: يقال في هذه الآية ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قَالَ: هِيَ الْأَلْسِنَةُ.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٦٢) من طريق مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ حِينَ يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ.

(٧) معاني القرآن (٣ / ٢٨٥).

وَالنَّقْعُ: الغبار، ويُقال: التُّرابُ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: فَأَثَرَنَ بِمَكَانٍ عَذُوهِنَّ^{(١)(٢)}. وَلَمْ يَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الْمَكَانِ، وَلَكِنْ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: الْمَعْنَى: تَوَسَّطْنَ جَمْعًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يَعْنِي: مُزْدَلِفَةٌ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ. وَالْإِنْسَانُ هَاهُنَا: الْكَافِرُ. قَالَ الضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ مُغِيرَةَ^(٤). وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي قُرْطُ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيِّ^(٥).

وَفِي «الْكَنُود» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الَّذِي يَأْكُلُ وَخَدَهُ، وَيَمْنَعُ رَفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، رَوَاهُ أَبُو أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٦).

(١) فِي (ر): عَدُوهَا.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٦٥) من طريق مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﷺ ﴿فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يَعْنِي: مُزْدَلِفَةٌ.

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٦٠٩) بلا نسبة، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٢٦) عن الضحَّاك.

(٥) تفسير مقاتل (٤ / ٨٠٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٦٦) من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قَالَ: «لِكْفُورٍ، الَّذِي يَأْكُلُ وَخَدَهُ وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رَفْدَهُ».

والثاني: أَنَّهُ الْكَفُورُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَمُجَاهِدٌ^(٢)، وَقَتَادَةُ^(٣)، وَالضَّحَّاكُ^(٤).

والثالث: لَوَائِمُ لِرَبِّهِ يَعُدُّ الْمَصِيبَاتِ، وَيُنْسِي النِّعَمَ، قَالَ الْحَسَنُ^(٥).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالْأَرْضُ الْكَنُودُ: الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ فِي هَاءِ الْكِنَايَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُفْرِهِ لَشَهِيدٌ.

=أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٨/ ٢٤٥) (٧٩٥٨) مِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَفِي (٨/ ١٨٨) (٧٧٧٨) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَمْرٍو عَنِ الْقَاسِمِ بِهِ. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَفِي الْآخَرِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُ. انْظُرْ: مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ (٧/ ١٤٢). وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ (ص: ٦٥) (١٦٠) كِلَاهُمَا مِنْ طَرِيقِ حَمْزَةَ بْنِ هَانِئٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، وَحَمْزَةُ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ: مَجْهُولٌ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ غَيْرُ حَرِيزِ بْنِ عَثْمَانَ، وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي الثَّقَاتِ، وَقَالَ الْأَجْرِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ: شَيْخٌ حَرِيزٌ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ. انْظُرْ: الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ (٣/ ٢١٦)، وَالثَّقَاتُ؛ لِابْنِ حِبَانَ (٤/ ١٧٠).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٥٦٥) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ (ص: ٧٤٣)، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٥٦٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٥٦٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قَالَ: لَكُفُورٌ.

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَاوَرِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٣٢٥)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (٢٤/ ٢٥٠).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤/ ٥٦٦) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يَقُولُ: لَوَائِمُ لِرَبِّهِ يَعْدُ الْمَصَائِبَ.

(٦) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٣٦).

وَالثَّانِي: أَنَّهُا تَرْجِعُ إِلَى الْإِنْسَانِ، فَتَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ شَاهِدٌ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ كَنُودٌ، رُوي الْقَوْلَانِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يَعْنِي: الْإِنْسَانَ ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ يَعْنِي: الْمَالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾.

وَفِي مَعْنَى الْآيَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْمَالِ لَبِخِيلٌ، هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ^(٢)، وَابْنِ قُتَيْبَةَ^(٣)، وَالزَّجَّاجَ^(٤).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٥): وَيُقَالُ لِلْبَخِيلِ: شَدِيدٌ، وَمُتَشَدَّدٌ^(٦)، قَالَ طَرَفَةُ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدَّدِ^(٧)

وَالثَّانِي: وَإِنَّهُ لِلْخَيْرِ لَشَدِيدُ الْحُبِّ، وَهَذَا اخْتِيَارُ الْفَرَّاءِ. قَالَ: فَكَأَنَّ [٨٤٩/ب]

(١) ذكر القولين عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٢٦).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٢٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤٩٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٣٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٤).

(٥) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٧).

(٦) في الأصل: ومشدد، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) البيت له في ديوانه (ص: ٢٦)، وجهرة أشعار العرب (ص: ٣٢٩)، والكامل؛ للمبرد

(١ / ٢٨٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥ / ٣٥٤)، ويروى في بعض المصادر: (الفاحش)

بدل: (الباخل).

الكلمة لما تقدّم فيها الحب، وكان موضعه أن يُضاف إليه «شديد»، حُذف الحب من آخره لما جرى ذكره في أوله، ولرؤوس الآيات، ومثله: ﴿أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فلما جرى ذكر الرّيح قبل اليوم طُرحت من آخره^(١).

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ يغني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بُعْثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ﴾؛ أي: أُثِير وأُخرج. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾؛ أي: مُيِّز واستُخرج. والتَّخْصِيلُ: تَمْيِيزُ مَا يَحْصُلُ.

وقال ابنُ عباسٍ: أُبْرَزَ مَا فِيهَا^(٢). وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: مُيِّزَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ^(٣).

وقال أبو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ: الْمَعْنَى: لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ مَا لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَزَهَدَ فِي الْكُفْرِ، وَبَادَرَ إِلَى الْإِسْلَامِ^(٤).

ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وقال غيره: إِنَّمَا قُرِئَتْ: «إِنَّ» بِالْكَسْرِ لِأَجْلِ اللَّامِ، وَلَوْلَاهَا كَانَتْ مَفْتُوحَةً بِوُقُوعِ الْعِلْمِ عَلَيْهَا.

فإن قيل: أليس الله خبيراً بهم في كلِّ حالٍ، فلمَ خَصَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ؟

فالجواب أن المعنى: أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَوْمَئِذٍ، ومثله: ﴿أُولَئِكَ

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٦٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٣٦).

(٤) لم أقف عليه.

الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴿[النساء: ٦٣] مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ،
وَمِثْلُهُ: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

وهي مكيةٌ بإجماعِهِمْ. وقد ذكرنا^(١) تفسِيرَ فاتحتها في أوَّلِ «الحاقة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ
٥﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴿
[القارعة: ١ - ١١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ قال الزجاج: اليوم منصوبٌ على
الظرف. المعنى: يكون يوم يكون الناس.

﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾^(٢) وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه غوغاء الجراد، قاله الفراء^(٣).

قال ابن قتيبة: غوغاء الجراد: صغاره، ومنه قيل لعامة الناس: غوغاء^(٤).

والثاني: أنه طيرٌ ليس ببعوضٍ ولا دُبَّانٍ، قاله أبو عبيدة^(٥).

(١) في الأصل: ذكرناه في، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٥).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٨٦).

(٤) أدب الكاتب (ص: ١٩٣).

(٥) مجاز القرآن (٢ / ٣٠٩).

والثالث: أنه ما تهافت في النار من البعوض، قاله ابن قتيبة^(١). وكذلك قال الزجاج: الفراش: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار. وشبه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر؛ لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض^(٢).

وذكر الماوردي: أن هذا التشبيه للكفار، فهم يتهافون في النار يوم القيامة تهافت الفراش^(٣).

فأما «المبثوث»: فهو المنتشر المتفرق.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ وقد شرحناه في ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾.

و«المنفوش»: الذي قد ندف. قال مقاتل: وتصير الجبال كالصوف المندوف. فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل، فإذا مسسته لم تر شيئاً، وذلك من شدة الهول^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت بالحسنات، وقد بينا هذه الآية في أول الأعراف، وبيننا معنى ﴿عِشْكُهُ رَاضِيَةً﴾ في الحاقّة.

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قرأ ابن مسعود، وطلحة بن

(١) غريب القرآن (ص: ٥٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٥).

(٣) النكت والعيون (٦ / ٣٢٨).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٨١١).

مُصَرَّف، والجحدريُّ: «فَأُمُّهُ» بكسر الهمزة^(١).

فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أُمُّ رَأْسِهِ هَاوِيَةٌ، يَعْنِي: أَنَّهُ يَهْوِي فِي النَّارِ عَلَى رَأْسِهِ، هَذَا قَوْلُ عَكْرَمَةَ^(٢)، وَأَبِي صَالِحٍ^(٣).

وَالثَّانِي: أَنَّهَا كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ، قَالُوا: هَوَتْ أُمُّهُ، قَالَه قَتَادَةُ^(٤).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمَعْنَى: فَمَسَكْنُهُ النَّارَ. وَإِنَّمَا قِيلَ لِمَسْكِنِهِ: أُمُّهُ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ السُّكُونُ إِلَى الْأُمَّهَاتِ. فَالنَّارُ هَذَا كَالْأُمِّ؛ إِذْ لَا مَأْوَى لَهُ غَيْرَهَا، هَذَا [١/٨٥٠] قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ^(٥)، وَالْفَرَّاءِ^(٦)، وَابْنِ قُتَيْبَةَ^(٧)، وَالزَّجَّاجَ^(٨)، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ

(١) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٢٢).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٢٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٧٥) من طريق إسماعيل، عن أبي صالح، في قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال: يهون في النار على رؤوسهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٧٥) من طريق معمر، عن قتادة ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال: مصيره إلى النار، هي الهاوية. قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قال: هوت أمه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٧٦) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال: الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها، ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَاءُ﴾.

(٦) معاني القرآن (٢٨٧).

(٧) غريب القرآن (ص: ٥٣٧).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٦).

هَذَا مَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ تَلْقَى رُوحُهُ أَزْوَاجَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَإِذَا قَالَ: مَاتَ، قَالُوا: ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ، فَبُشِّتِ الْأُمُّ، وَبُشِّتِ الْمَرْبِيَّةُ»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ يَغْنِي: الْهَآوِيَةُ.

قَرَأَ حَمْزَةً، وَيَعْقُوبُ: «مَا هِيَ» بِحَذْفِ الْهَاءِ الْآخِرَةِ فِي الْوَصْلِ، وَإِثْبَاتِهَا فِي الْوَقْفِ، لِتَبْيِينَ فَتْحَةِ الْيَاءِ، فَالْوَقْفُ «هِيَ» وَالْوَصْلُ هِيَ نَارٌ، وَالَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُ الْمُصْحَفِ. وَالْهَاءُ فِيهِ ثَابِتَةٌ فَيُوقَفُ عَلَيْهَا، وَلَا تُوَصَّلُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾؛ أَي: حَارَّةٌ قَدْ انْتَهَى حَرُّهَا^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِهِ (ص: ٧٤٥) مَرْسَلًا مِنْ طَرِيقِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بِهَذَا اللَّفْظِ.

(٢) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: التَّيْسِيرَ (ص: ٢١٤).

(٣) فِي الْأَصْلِ: حَرُّهُ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ (١)

وهي مكيةٌ بإجماعهم.

وفي سببِ نزلها قولان:

أحدهما: أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، وَبُنُو فُلَانٍ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، فَالْهَاهُمْ ذَلِكَ حَتَّى مَاتُوا ضَلَالًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ فِيهِمْ، قَالَه قَتَادَةُ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّ حَيَّينَ مِنْ قُرَيْشٍ: وَبَنِي سَهْمٍ كَانَ بَيْنَهُمَا لِحَاءٌ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ: نَحْنُ أَكْثَرُ سَيِّدًا، وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَقَالَ أَوْلَئِكَ مِثْلَ هَذَا، فَتَعَادَوْا السَّادَةَ وَالْأَشْرَافَ أَتَيْهِمْ أَكْثَرُ، فَكَثَرَهُمْ بُنُو عَبْدِ مَنَافٍ، ثُمَّ قَالُوا: نَعَدُّ مَوْتَانًا، فزَارُوا الْقُبُورَ، فَعَدُّوا مَوْتَاهُمْ، فَكَثَرَهُمْ بُنُو سَهْمٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ عَدَدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ فِيهِمْ، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ^(٣)، وَمُقَاتِلٌ^(٤).

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٥١٨): هي مكية لا أعلم فيها خلافاً.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٩٣) من حديث معمر عن قتادة، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠ / ٢٨٣) وإسناده صحيح، محمد بن عبد الأعلى الصنعائي ثقة. ومحمد بن ثور الصنعائي ثقة، ومعمر بن راشد ثقة، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٠)، والأثر مرسل، قتادة لم يشاهد التنزيل.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٢٠٤)، وانظر: معاني القرآن؛ للفراء (٣ / ٢٨٧)، وأخبار مكة؛ للفاكهي (٤ / ٢٢٣)، وأسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٤٩٠)، معالم التنزيل؛ للبغوي (٨ / ٥١٧).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٨١٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ ﴿[التكاثر: ١ - ٨].

قوله تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وابن عباس، والشَّعْبِيُّ، وأبو العالية، وأبو (١) عمران، وابن أبي عبلة: «ألهاكم» بهمزتين مقصورتين على الاستفهام. وقرأ معاوية، وعائشة: «ألهاكم» بهمزة واحدة مدودة استفهاماً أيضاً (٢).

ومعنى ألهاكم: شغلكم عن طاعة الله وعبادته.

وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال:

أحدها: التكاثر بالأموال والأولاد، قاله الحسن (٣).

والثاني: التفاخر بالقبائل والعشائر، قاله قتادة (٤).

والثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحَّاك (٥).

(١) في (ر)، و(م): وابن.

(٢) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٧٨)، والشواذ؛ للكرمانى (٥٢٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٩) (٣٥٥٧٠) من طريق إسماعيل، عن الحسن، قال: إذا قرأ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: في الأموال والأولاد.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣٣٠).

(٥) المصدر السابق.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قولان:

أحدهما: حتى أذركم الموت على تلك الحال، فصرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار، كرجوع الزائر إلى منزله. والثاني: حتى زرتُم المقابر فعددتُم من فيها من موتاكم.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزحاج: هي ردع وتنبية. والمعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر^(١).

قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد، والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقيل: العلم الأول: يقع عند نزول الموت. والثاني: عند نزول القبر.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر، والتفاخر. وجواب «لو» محذوف؛ وهو ما ذكرنا.

ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [٨٥٠/ب] قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وخمزة: «لَتَرَوُنَّ» ثم لَتَرَوْنَهَا» بفتح التاء فيهما.

وقرأ ابن عامر والكسائي: «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» بضم التاء «ثم لَتَرَوْنَهَا» بفتح التاء^(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٥٧).

(٢) قراءة سبعينان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٥).

وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرَمَةُ، وَحُمَيْدٌ، وَابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ: «لَتَرُونَّ» «ثُمَّ لَتَرُونَهَا»
بِضْمِ التَّاءِ فِيهِمَا مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ^(١).

﴿ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ أَي: مُشَاهِدَةً، فَكَانَ الْمُرَادُ بِ«عَيْنِ الْيَقِينِ»
نَفْسَهُ؛ لِأَنَّ عَيْنَ الشَّيْءِ: ذَاتُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ اخْتَلَفُوا، هَلْ هَذَا السُّؤَالُ
عَامٌّ، أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خَاصٌّ لِلْكَفَّارِ، قَالَهُ الْحَسَنُ^(٢).

وَالثَّانِي: عَامٌّ، قَالَهُ قَتَادَةُ^(٣).

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي الْمُرَادِ بِالنَّعِيمِ عَشْرَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ، رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٤)، وَتَارَةً

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٧٩)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٢٢).

(٢) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٦١٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٨٦) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ
يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلَ كُلَّ عَبْدٍ عَمَّا اسْتَوْدَعَهُ مِنْ نِعَمِهِ وَحَقِّهِ».

(٤) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص: ١٥٧)، ومن طريقه أخرجه
ابن أبي عاصم في كتاب الزهد (٢/ ١٥٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد
بن سليمان بن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلى به، كما في تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٤٩)،
وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ١٤٥) كلهم من طريق الوليد بن شجاع،
حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن ابن أبي ليلى، به.

يأتي موقوفاً عليه^(١)، وبه قال مجاهد^(٢)، والشَّعْبِيُّ^(٣).

والثاني: أنه الماء البارد، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ^(٤).

والثالث: أنه خبز البرّ والماء العذب، قاله أبو أمامة^(٥).

والرابع: أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله^(٦).

والخامس: أنه صحّة الأبدان، والأسماع، والأبصار، قاله ابن

(١) أخرجه الطبري (٥٨٢ / ٢٤) من طريق ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

(٢) أخرجه الطبري (٥٨٢ / ٢٤) من طريق ليث، عن مجاهد ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٢١٤ / ٣٠) من طريق عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: "من أكل خبز البرّ وشرب الماء المبرد وكان له ظل فذلك النعيم الذي يسأل عنه".

وأخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٤٦ / ٢) بنحوه قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثني، حدثنا عبد الله بن سلمة به، ثم قال: وروى أشعث بن برز عن قتادة عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث غير هذين الحديثين، ولا يتابع أشعث عليها، كلها بهذا الإسناد غير محفوظة، لا يرويه عن قتادة غير أشعث.

(٥) أخرجه الطبري (٥٨٥ / ٢٤) من طريق بشر بن عبد الله بن بشار، قال: سمعت بعض أهل اليمن يقول: سمعت أبا أمامة يقول: النعيم المستول عنه يوم القيامة: خبز البرّ، والماء العذب.

(٦) أخرجه الطبري (٥٨٣ / ٢٤) من طريق حماد بن سلمة، عن عمّار بن أبي عمار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فأطعمناهم رطباً، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله ﷺ: "هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ".

عَبَّاسٍ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الْعَافِيَةُ^(٢).

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ الْغَدَاءُ، وَالْعِشَاءُ، قَالَهُ الْحَسَنُ^(٣).

وَالسَّابِعُ: [أَنَّهُ]^(٤) الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ^(٥).

وَالثَّامِنُ: كُلُّ شَيْءٍ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ^(٦).

وَالتَّاسِعُ: أَنَّهُ إِنْعَامُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ بِإِزْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَهُ الْقُرْظِيُّ^(٧).

وَالْعَاشِرُ: أَنَّهُ صُنُوفُ النَّعَمِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(٨).

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ نَعِيمٍ، وَعَامٌّ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَالْكَافِرُ يُسْأَلُ تَوْبِيخًا إِذَا لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعَمَ، وَلَمْ يُوَحِّدْهُ. وَالْمُؤْمِنُ يُسْأَلُ عَنْ شُكْرِهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «ثَلَاثٌ لَا أَسْأَلُ عَبْدِي عَنْ شُكْرِهِنَّ، وَأَسْأَلُهُ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ: بَيْتٌ يُكْنُهُ، وَمَا يُقِيمُ صَلْبَهُ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٥٨٣) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: النَّعِيمُ: صِحَّةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ.

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ عَنْ قَتَادَةَ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٥٨٣) مِنْ طَرِيقِ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: الْعَافِيَةُ.

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي النَّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٣٣٢).

(٤) مِنْ (س).

(٥) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (٣٠ / ٢٣٤).

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٥٨٦) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا.

(٧) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي النَّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٣٣٢).

(٨) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤ / ٨٢١).



مِنَ الطَّعَامِ، وَمَا يُوَارِي بِهِ عَوْرَتَهُ مِنَ اللَّبَاسِ»^(١).

(١) أخرجه علي بن الجعد في مسنده (ص: ٤٦٥) (٣٢٠٨) قال: حدثنا علي، نا مبارك، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث ليس على ابن آدم فيهن حساب طعام يقيم به صلبه، ويبيت يكنه، وثوب يوارى عورته، فما فوق ذلك فكله حساب»، وأخرجه البزار في مسنده، كما في البحر الزخار (٢/ ٧٠) (٤١٤) من طريق حريث بن السائب، حدثنا الحسن بن أبي الحسن البصري، حدثنا حمزان بن أبان، عن عثمان.

سُورَةُ الْعَصْرِ

وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَالْجُمْهُورُ^(١).
والثاني: مَدَنِيَّةٌ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ الدَّهْرُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣)، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ^(٤)، وَالْفَرَّاءُ^(٥)،
وَابْنُ قُتَيْبَةَ^(٦).

وإنَّهَا أَقْسَمَ بِالدَّهْرِ؛ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِلنَّاطِرِ مِنْ مُرُورِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
عَلَى تَقْدِيرٍ لَا يَنْخَرِمُ.

(١) انظر: النكت والعيون (٦ / ٣٣٣).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٦٧)، وتفسير القرطبي (٢٠ / ١٦٨) عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٨٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٣٣).

(٥) معاني القرآن (٣ / ٢٨٩).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٣٨).

والثاني: أَنَّهُ الْعَشِيُّ؛ وَهُوَ مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا، قَالَه الْحَسَنُ^(١)، وَقَادَهُ^(٢).

والثالث: صَلَاةُ الْعَصْرِ، قَالَه مُقَاتِلٌ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ. وَالْإِنْسَانُ هَاهُنَا بِمَعْنَى: النَّاسِ؛ كَمَا تَقُولُ: كَثُرَ الدَّرْهَمُ فِي أَيْدِي النَّاسِ، تُرِيدُ الدَّرَاهِمَ^(٤).

وَالْخُسْرُ وَالْخُسْرَانُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ. قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: الْخُسْرُ: هَلَاكُ رَأْسِ الْمَالِ أَوْ نَقْضُهُ. فَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَسْتَعْمَلْ نَفْسَهُ فِيمَا يُوجِبُ لَهُ الرَّبْحَ الدَّائِمَ، فَهُوَ فِي خُسْرَانٍ؛ لِأَنَّهُ عَمِلَ فِي إِهْلَاكِ نَفْسِهِ، وَهِيَ أَكْبَرُ رَأْسِ مَالِهِ. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أَي: صَدَقُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ، وَعَمِلُوا بِالطَّاعَةِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾؛ أَي: بِالتَّوْحِيدِ، وَالْقُرْآنِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْقِيَامِ بِشَرِيعَتِهِ.

[٨٥١/أ] وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ^(٥) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا لَفِي نَقْصٍ وَضَعْفٍ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ يُكْتَبُ لَهُمْ أَجُورُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٥٨٩) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قَالَ: هُوَ الْعَشِيُّ.

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (٣٠ / ٢٤١)، وَالْمَاوَرِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٦ / ٣٣٣).

(٣) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤ / ٨٢٩).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٥٩).

(٥) أَي: النَّخَعِي.

كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي شَبَابِهِمْ وَصَحَّتْ لَهُمْ^(١).

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٢٤٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٢٢ - ٥٢٣).

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِهِمْ.

قَالَ هَبَةُ اللَّهِ [المفسر^(١)]: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ^(٢).

وَاخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ، هَلْ نَزَلَتْ فِي حَقِّ شَخْصٍ بَعَيْنِهِ، أَمْ نَزَلَتْ
عَامَّةً؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: نَزَلَتْ فِي حَقِّ شَخْصٍ بَعَيْنِهِ.

ثُمَّ فِيهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)،
وَبِهِ قَالَ السُّدِّيُّ^(٤)، وَابْنُ السَّائِبِ^(٥).

وَالثَّانِي: الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، قَالَهُ عُرْوَةُ^(٦).

وَالثَّالِثُ: جَمِيلُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ^(٧).

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص: ٢٠٤).

(٣) ذكره عنه السمعاني في تفسيره (٦ / ٢٨٠).

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٣٦).

(٥) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٣٠).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٣٥٦) من رواية الكلبي.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٩٧) من طريق ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن رجل
من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي.

والرَّابِع: الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ^(١)، وَمُقَاتِلٌ^(٢).

وَالْخَامِس: أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(٣).

وَالسَّادِس: أَبِي بْنُ خَلْفٍ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(٤).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ عَامَّةً لَا فِي حَقِّ^(٥) شَخْصٍ بَعِيْنِهِ، قَالَه مُجَاهِدٌ^(٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِئْ لِكُلِّ هَمْزٍ لُزْمَةٌ ① الَّتِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَهُ ②﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَا لَهُ
أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لِيُبَيِّنَنَّ فِي الْخُطْمَةِ ④ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْخُطْمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ⑥
الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْآفِيدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدَةٍ ⑨ [الهمزة: ١ - ٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِئْ لِكُلِّ هَمْزٍ لُزْمَةٌ﴾ ⑩ اخْتَلَفُوا فِي الهمزة واللُّمزة، هل
هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَمْ مُخْتَلَفَانِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مُخْتَلَفَانِ.

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٨٣٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١ / ٣٥٦)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٢٥٤).

(٤) النكت والعيون (٦ / ٣٣٦).

(٥) ليست في (م).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (ص: ١٢٧) (١٨٥)، وفي الغيبة والنميمة (ص: ٢٠)،

والطبري في تفسيره (٢٤ / ٥٩٦) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿وَبِئْ لِكُلِّ

هَمْزٍ لُزْمَةٌ﴾ قال: الهمزة يأكل لحوم الناس، واللُّمزة: الطعان.

ثُمَّ فِيهِمَا سَبْعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّ الهمزة: المغتاب، واللمزة: العيَاب، قاله ابنُ عباسٍ^(١).
والثاني: أَنَّ الهمزة: الَّذِي يَهْمِزُ الْإِنْسَانَ فِي وَجْهِهِ، واللمزة: يَلْمِزُهُ إِذَا
أَذْبَرَ عَنْهُ، قاله الحسنُ، وعطاء^(٢)، وأبو العالية^(٣).
والثالث: أَنَّ الهمزة: الطَّعَّانُ فِي النَّاسِ، واللمزة: الطَّعَّانُ فِي أَنْسَابِ
النَّاسِ، قاله مجاهد^(٤).

والرابع: أَنَّ الهمزة: بالعَيْنِ، واللمزة: باللسانِ، قاله قتادة^(٥).
والخامس: أَنَّ الهمزة: الَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِيَدِهِ وَيَضْرِبُهُمْ، واللمزة:
الَّذِي يَلْمِزُهُمْ بِلِسَانِهِ، قاله ابنُ زيد^(٦).
والسادس: أَنَّ الهمزة: الَّذِي يَهْمِزُ بِلِسَانِهِ، واللمزة: الَّذِي يَلْمِزُ بَعِيْنِهِ،

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٩٦) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُغْمَةٌ﴾ قال: ويل لكل طعان مغتاب.

(٢) ذكره عنها الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٢٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٩٦) من طريق الربيع، عن أبي العالية، قال: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٢٥١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٩٦) من طريق معمر، عن قتادة، قال: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه.

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٩٧) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُغْمَةٌ﴾ قال: الهمزة: الذي يهمز الناس بيده، ويضربهم بلسانه، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيهم.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ^(١).

وَالسَّابِعُ: أَنَّ الْهُمَزَةَ: الْمَغْتَابُ، وَاللُّمَزَةُ: الطَّاعِنُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(٢).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْهُمَزَةَ: الْعِيَابُ الطَّعَّانُ، وَاللُّمَزَةُ مِثْلُهُ. وَأَصْلُ الْهُمَزِ وَاللُّمَزِ: الدَّفْعُ، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٣)، وَكَذَلِكَ قَالَ الزَّجَّاجُ^(٤): الْهُمَزَةُ اللَّمَزَةُ: الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ وَيَغْضُهِمْ^(٥)، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنَ الْبَسِيطِ]:

إِذَا لَقَيْتُكَ عَنْ كُرْهِ تَكَاثُرِي وَإِنْ تَعَيَّيْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ^(٦)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَرَوْحٌ: «جَمَعَ» بِالتَّشْدِيدِ، وَالْبَاقُونَ: بِالتَّخْفِيفِ^(٧).

(١) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٢٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٨٣٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٣٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٦١).

(٥) وردت في المعاني بقوله: يَغْضُهِمْ، ومعنى يَغْضُهِمْ: يَغْضُ بِالضَمِّ إِذَا وَضَعَ وَنَقَصَ مِنْ قَدْرِهِ. انظر: الصحاح (٣ / ١٠٩٥) مادة: (غ ض ض).

(٦) البيت لزياد بن الأعجم في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١ / ٢٦٣)، والجمهرة؛ لابن دريد (٣ / ١٨)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢ / ٤٥٥)، والحجة؛ للفارسي (٤ / ١٩٦)، ومقاييس اللغة؛ لابن فارس (٦ / ٦٦)، والمحزر الوجيز؛ لابن عطية (٣ / ٤٧)، ومفردات القرآن؛ للراغب الأصفهاني (ص: ٨٤٦)، ويروى في بعضها:

تلي بود إذا لا قيتني كذبا ... وإن أغيب فأنت الهامز اللمزه

(٧) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٢٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ. وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ يَعْمَرَ: بِتَخْفِيفِهَا^(١).

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَحْصَى عَدَدَهُ، قَالَهُ السُّدِّيُّ^(٢).

وَالثَّانِي: أَعَدَّهُ لِمَا يَكْفِيهِ فِي السَّنِينَ^(٣)، قَالَهُ عِكْرَمَةُ^(٤).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قَرَأَ: «عَدَّدَهُ» بِالتَّشْدِيدِ، فَمَعْنَاهُ: عَدَّدَهُ لِلذُّهُورِ، وَمَنْ قَرَأَ: «عَدَّدَهُ» بِالتَّخْفِيفِ، فَمَعْنَاهُ: جَمَعَ مَالًا وَعَدَدًا؛ أَي: وَقَوْمًا اتَّخَذَهُمْ أَنْصَارًا^{(٥)(٦)}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ بِمَعْنَى: يُخَلِّدُهُ، وَالْمَعْنَى: يَظُنُّ مَالَهُ مَانِعًا لَهُ مِنَ الْمَوْتِ، فَهُوَ يَغْمَلُ عَمَلًا لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يَمُوتُ.

﴿كَلَّا﴾؛ أَي: لَا يَخْلُدُهُ مَالُهُ وَلَا يَبْقَى لَهُ ﴿لِيُنْبَذَنَّ﴾؛ أَي: لِيُطْرَحَنَّ ﴿فِي الْخَطْمَةِ﴾: وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.

[٨٥١/ب]

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحْطَمُ مَا يُلْقَى فِيهَا؛ أَي: تُكْسَرُ، فَهِيَ تُكْسَرُ الْعِظَمَ بَعْدَ أَكْلِهَا اللَّحْمَ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: إِنَّهُ لِحَطْمَةٌ.

(١) قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٨٠).

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٣٦).

(٣) في (ر): من الشين.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٣٦).

(٥) في (م): نُصَارًا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٦١).

وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عتبة، وابن محيصن: «لَيْبَذَان» بألف ممدودة، وبكسر النون وتشديدها^(١)؛ أي: هو وماله.

قوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ﴾؛ أي: تأكل اللحم والجلود حتى تنقع على الأفتدة فتخرقها.

قال الفراء: يبلغ ألمها الأفتدة، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعت أرضنا؟ أي: بلغت^(٢).

وقال ابن قتيبة: تطلع على الأفتدة؛ أي: توفي عليها وتُشرف، وخص الأفتدة؛ لأنّ الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون، وقد ذكرنا تفسير «المؤصدة» في سورة البلد [آية: ٢٠]^(٣).

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ قرأ حمزة، وخلف، والكسائي، وعاصم إلا حفصاً: بضّم العين والميم^{(٤)(٥)}.

قال المفسرون: وهي أوتاد الأطباق التي تُطبق على أهل النار.

(١) قراءة شاذة، انظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٥ / ١٨١)، وتفسير الطبري (٢٤ / ٥٩٨).

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٩٠).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٧).

(٤) في (م): وإسكان الميم.

(٥) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٢٥).

و«فِي» بِمَعْنَى: الباء، والمعْنَى: مُطْبَقَةٌ بِعُمْدٍ. قَالَ قَتَادَةُ: وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ^(١).

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَطْبَقَتِ الْأَبْوَابُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شُدَّتْ بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ، حَتَّى يَرْجِعَ عَلَيْهِمْ غَمُّهَا وَحَرُّهَا^(٢).

و﴿مُمَدَّدَةٍ﴾: صِفَةُ الْعَمْدِ؛ أَي: أَنَّهَا مَمْدُودَةٌ مَطْوَلَةٌ، وَهِيَ أَرْسَخٌ مِنَ الْقَصِيرَةِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ عُمْدٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا فِي النَّارِ^(٣). وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿فِي عَمْدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ قَالَ: الْقَيْودُ الطَّوَالُ^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤ / ٦٠٠).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٨٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٠٠) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿فِي عَمْدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّهَا عَمْدٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا فِي النَّارِ.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (ص: ٧٩) (١٠٨) من طريق ابن أبي زائدة، عن إسماعيل، عن أبي صالح: ﴿فِي عَمْدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ قَالَ: «الْقَيْودُ الطَّوَالُ».

سُورَةُ الْفِيلِ

مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِهِمْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾ فَعَمَلَهُمْ كَعَصْفٍ
مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَلَمْ تُخْبِرْ، قاله الفراء^(٢).والثاني: أَلَمْ تَعْلَمْ، قاله الزجاج^(٣).

ومعنى الكلام معنى التعجب، وأصحابُ الفيل: هم الذين قصدوا
تخريبَ الكعبة.

وفي سببِ قُصْدِهِمْ لِذَلِكَ قولان:

أحدهما: أَنَّ أَبْرَهَةَ بَنَى بَيْعَةً، وقال: لَسْتُ مُتَّهِيًا حَتَّى أُضِيفَ^(٤)

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٥٢٣): مكية بإجماع الرواة.

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٩١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٦٣).

(٤) في (م): أصرف.

إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبَ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ^(١) كِنَانَةَ، فَخَرَجَ فَدَخَلَهَا لَيْلًا، فَأُخِذَتْ فِيهَا فَلَبَّغَ ذَلِكَ أَبْرَهَةَ، فَحَلَفَ لَيْسِيرَنَّ إِلَى الْكَعْبَةِ فِيهِدِمَهَا، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّ قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ خَرَجُوا فِي تِجَارَةٍ إِلَى أَرْضِ النَّجَاشِيِّ فَتَرَلُّوا فِي جَنْبِ بَيْعَةٍ، فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَشَوَّوْا لَحْمًا، فَلَمَّا رَحَلُوا هَبَّتِ الرِّيحُ فَاضْطَرَمَّ الْمَكَانُ نَارًا، فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ لِأَجْلِ الْبَيْعَةِ، فَقَالَ لَهُ كُبَرَاءُ أَصْحَابِهِ - مِنْهُمْ حَجْرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ، وَأَبُو يَكْسُومَ -: لَا تَحْزَنْ، فَنَحْنُ نَهْدِمُ الْكَعْبَةَ، قَالَه مُقَاتِلٌ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَبُو يَكْسُومَ اسْمُهُ: أَبْرَهَةُ بْنُ الْأَشْرَمِ. وَقِيلَ: وَزِيرُهُ، وَحَجَرٌ مِنْ قَوَادِهِ.

ذِكْرُ الْإِشَارَةِ إِلَى الْقِصَّةِ

ذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ أَبْرَهَةَ لَمَّا سَارَ بِجُنُودِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ لِيَهْدِمَهَا خَرَجَ مَعَهُ بِالْفِيلِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْعَارَةِ عَلَى نَعَمِ النَّاسِ، فَأَصَابُوا إِبِلًا لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَبَعَثَ بَعْضُ جُنُودِهِ، فَقَالَ: سَلْ عَنْ شَرِيفِ مَكَّةَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي لَمْ آتِ لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِأَهْدِمَ هَذَا الْبَيْتَ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ، فَلَقِيَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ بْنَ هَاشِمٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ

(١) فِي (م): مِنْ بَنِي.

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّلَعْبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٣٠ / ٢٧١)، وَالْمَاوَرِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ

(٦ / ٣٣٩)، وَالْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٨ / ٥٣٢).

(٣) تَفْسِيرُ مِقَاتِلِ (٤ / ٨٤٧).

لَأُخْبِرَكَ^(١) أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوهُ، إِنَّمَا جَاءَ لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْكُمْ.

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: مَا لَهُ عِنْدَنَا قِتَالٌ، وَمَا لَنَا بِهِ يَدٌ، إِنَّا سَنُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، فَإِنْ هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ؛ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يَخْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ؛ فَوَاللَّهِ مَا لَنَا بِهِ قُوَّةٌ.

قَالَ: فَانْطَلِقْ مَعِيَ إِلَى الْمَلِكِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَلَى أُبْرَهَةَ أَعْظَمَهُ، وَكَرَّمَهُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجَمَانِهِ: قُلْ لَهُ: مَا حَاجْتُكَ إِلَى الْمَلِكِ؟ فَقَالَ لَهُ التَّرْجَمَانُ، فَقَالَ: حَاجَّتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ مَائَتِي بِعِيرٍ أَصَابَهَا.

فَقَالَ أُبْرَهَةُ لِتَرْجَمَانِهِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، وَلَقَدْ زَهَدْتُ الْآنَ فِيكَ، حِينَ جِئْتُ إِلَى بَيْتِ هُوَ دِينُكَ لِأَهْدَمَهُ^(٢)، فَلَمْ تَكَلِّمْْنِي فِيهِ، وَكَلَّمْتَنِي لِإِبِلٍ أَضْبُتْهَا.

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: أَنَا رَبُّ هَذِهِ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا الْبَيْتِ رَبُّ سَيَمْنَعُهُ.

فَأَمَرَ بِإِبِلِهِ فَرُدَّتْ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَرُؤُوسِ الْجِبَالِ خَوْفًا مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِذَا دَخَلَ، ففَعَلُوا، فَأَتَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الْكَعْبَةَ، فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، وَجَعَلَ يَقُولُ [مَنْ الرَجَزُ]:

يَا رَبِّ لَا أَزْجُوهُمْ سِوَاكَ

(١) فِي (س): لِيُخْبِرَكَ.

(٢) فِي (م): لِأَهْدَمَنَّهُ.

يَا رَبِّ فَاْمْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ
امْنَعُهُمْ أَنْ يُجْرِبُوا قُرَاكَ

وقال أيضا [من الكامل]:

يَا رَبِّ^(١) إِنَّ الْمَرْءَ يَمُ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ
جَرُّوا جُمُوعَ^(٢) بِلَادِهِمْ
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَفَ
نَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعْ حَلَاكَ
وَمِحَالَهُمْ عَدَوَا^(٣) مِحَالِكَ
وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالِكَ
جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ
سَبَتْنَا فَاْمُرْ مَا بَدَالَكَ

ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ أَصْبَحَ مُتَهَيِّئًا لِلدُّخُولِ، فَبَرَكَ الْفِيلُ، فَبَعَثُوهُ فَأَبَى،
فَضْرَبُوهُ فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ إِلَى الْيَمَنِ رَاجِعًا، فَقَامَ يُهْرَوُلُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ
فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَإِلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَوَجَّهُوهُ إِلَى الْحَرَمِ فَأَبَى،
فَأَرْسَلَ اللَّهُ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ^(٤).

واختلفوا في صفتها: فقال ابنُ عَبَّاسٍ: كَانَتْ لَهُمْ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ

(١) في (م): لاهم.

(٢) في (م): غدوا.

(٣) في (م): جميع.

(٤) انظر هذه القصة بالأشعار الواردة فيها في: سيرة ابن إسحاق (ص: ٦٢)، وتاريخ
الطبري (٢/ ١٣٤)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٦١٢-٦١٣).

الطَّيْرِ، وَأُكْفَتْ كَأَكْفِ الْكَلَابِ^(١). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: كَانَتْ لَهَا رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ السَّبَاعِ^(٢). وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ^(٣).

وَاخْتَلَفُوا فِي أَلْوَانِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا كَانَتْ خُضْرًا، قَالَه عِكْرِمَةُ^(٤)، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٥).

وَالثَّانِي: سُودًا، قَالَه عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ^(٦).

وَالثَّلَاثُ: بَيْضَاءُ، قَالَه قَتَادَةُ. قَالَ: وَكَانَ مَعَ كُلِّ طَيْرٍ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ:

حَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ^(٧). [٨٥٢/ب]

(١) أخرجه ابن إسحاق في سيرته (ص: ٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٦ / ٧)، والطبري في تفسيره (٦٠٧ / ٢٤) من طريق ابن عون، عن محمد بن سيرين، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَايَلٍ﴾ قال: قال ابن عباس: هي طير، وكانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب.

(٢) أخرجه الطبري (٦٠٧ / ٢٤) من طريق حسين، عن عكرمة، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَايَلٍ﴾ قال: كانت طيرا خرجت خضرا، خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع.

(٣) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٦٢٢ / ٣).

(٤) تقدّم قريبا.

(٥) أخرجه الطبري (٦٠٧ / ٢٤) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَايَلٍ﴾ قال: طير خضر.

(٦) أخرجه الطبري (٦٠٧ / ٢٤) من طريق أبي سفيان، عن عبيد بن عمير، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَايَلٍ﴾ قال: هي طير سود بحرية، في مناقرها وأظفارها الحجارة.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٤٦١ / ٣) (٣٧٠١) من طريق معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿طَيْرًا أَبَايَلٍ﴾ قال: «خرجت من قبل البحر بيض مع كل طير ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، لا تقع على شيء إلا هشمته».

واختلفوا في صفة الحجارة: فقال بعضهم: كانت أمثال^(١) الحمص والعذس.
وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر كـرأس الرجل وكالجمل^(٢)،
فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تُصب تلك الحجارة أحداً إلا
هلك، وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دُبُرِه^(٣).

وقيل: كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه، فهلكوا ولم يدخلوا
الحرم، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فتساقطت أنامله، وانصدع
صدره قطعتين عن قلبه فهلك.

ورأى أهل مكة الطير، وقد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد
المطلب: إن هذه الطير غريبة، ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على
فرس ينظر إلى القوم، فرجع وهو يزكض^(٤)، ويقول: هلك القوم جميعاً،
فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم.

وقيل: لم ينج من القوم إلا أبو يكسوم فسار، وطائر يطير من
فوقه، ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصاب القوم،
فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان
هلاك أصحابه!

(١) في (م): كأمثال.

(٢) في (م): والجمل.

(٣) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص: ٦٥)، وتفسير السمرقندي (٣/ ٦٢٢).

(٤) في (س): فجعل يزكض.

واختَلَفُوا: كَمْ كَانَ بَيْنَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟
عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ، وَهُوَ الْأَصَحُّ.

وَالثَّانِي: كَانَ بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ وَعِشْرُونَ سَنَةً، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).

وَالثَّالِثُ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، حَكَاهُ مُقَاتِلٌ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ وَهُوَ مَا أَرَادُوا مِنْ تَحْرِيبِ الْكُعْبَةِ
﴿فِي تَضَلِيلٍ﴾؛ أَي: فِي ذَهَابٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ كَيْدَهُمْ ضَلَّ عَمَّا قَصَدُوا لَهُ، فَلَمْ
يَصِلُوا إِلَى مُرَادِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ وَفِي «الْأَبَابِيلِ» خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْمَتَفَرِّقَةُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٣)، وَالْأُخْفَشُ^(٤).

(١) لم أقف عليها، والمروي في تاريخ خليفة بن خياط (ص: ٥٣) من طريق شعيب بن حيان،
عن عبد الواحد بن أبي عمرو، عن الكلبي عن أبيه صالح عن ابن عباس ولد النبي ﷺ يوم
الاثنين قبل الفيل بخمس عشرة سنة. وانظر: تاريخ دمشق (٣/ ٧٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٨٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٠٦) من طريق وهب، قال: قال ابن زيد ﷺ في قوله: ﴿طَيْرًا
أَبَابِيلَ﴾ قال: الأبَابيل: المختلفة، تأتي من هاهنا، وتأتي من هاهنا. وذكره عن ابن
مسعود الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣٤٢).

(٤) لم أقف عليه في النسخة المطبوعة من معانيه، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون
(٦/ ٣٤٢).

والثاني: أنها المتابعة التي يتبع بعضها بعضاً، قاله ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)، ومقاتل^(٣).

والثالث: الكثيرة، قاله الحسن^(٤)، وطاووس^(٥).

والرابع: أنها الجمع بعد الجمع، قاله عطاء، وأبو صالح^(٦)، وكذلك قال أبو عبيدة^(٧)، وابن قتيبة^(٨)، والزجاج^(٩): الأبايل: جماعات في تفرقة.

والخامس: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم^(١٠).

قال الفراء، وأبو عبيدة: الأبايل: لا واحد لها^(١١).

قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر،

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٠٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي التي يتبع بعضها بعضاً.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٤٢).

(٣) تفسير مقاتل (٤ / ٨٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٠٦) من طريق الفضل، عن الحسن ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: الكثيرة.

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٤٢).

(٦) ذكره عنها الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٤٣).

(٧) مجاز القرآن (٢ / ٣١٢).

(٨) غريب القرآن (ص: ٥٣٩).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٦٣).

(١٠) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٤٣).

(١١) معاني القرآن (٣ / ٢٩٢)، ومجاز القرآن (٢ / ٣١٢).

وحميدٌ، وأبو حنيفة: «يزميههم» بالياء^(١)، وقد بينّا معنى سجّيلٍ في هود [آية: ٨٢]، ومعنى العَصْفِ في سورة الرحمن عز وجل [آية: ١٢].

وفي معنى مأْكُولٍ ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن يكونَ أرادَ أَنَّهُ أَخَذَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَبِّ فَأَكَلَ، وَبَقِيَ هَوَ لَا حَبَّ فِيهِ.

والثاني: أن يكونَ أرادَ أَنَّ الْعَصْفَ مَأْكُولُ الْبَهَائِمِ؛ كَمَا يُقَالُ لِلْحِنْطَةِ: هَذَا الْمَأْكُولُ وَلَمَّا يُؤْكَلْ، وَلِلْمَاءِ هَذَا الْمَشْرُوبُ، وَلَمَّا يُشْرَبْ، يُرِيدُ: أَنَّهَا مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُشْرَبُ، ذَكَرَهُمَا ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٢).

والثالث: أن المَأْكُولَ هَاهُنَا: الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْأُكَالُ. فَاْلْمَعْنَى: جَعَلَهُمْ كَوَرَقِ الزَّرْعِ الَّذِي جَفَّ وَأُكِلَ؛ أَي: وَقَعَ فِيهِ الْأُكَالُ، قَالَه الزَّجَّاجُ^(٣).

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٨٠)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٢٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٦٤).

سُورَةُ قُرَيْشٍ

وَيُقَالُ لَهَا: سُورَةُ لِإِيلَافٍ.

وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، قَالَه الْجُمْهُورُ^(١).

وَالثَّانِي: مَدَنِيَّةٌ، قَالَه الضَّحَّاكُ^(٢)، وَابْنُ السَّائِبِ.

وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي: ﴿لِإِيلَافٍ﴾:

فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «لِإِلَافٍ» بِغَيْرِ يَاءٍ بَعْدَ الهمزة؛ مِثْلَ لِعِلَافٍ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: بِيَاءٍ سَاكِنَةً مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ. وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ أَحْمَدَ عَنِ الشُّمُونِيِّ بِهَمْزَتَيْنِ مُحَقَّقَتَيْنِ^(٣)، الْأُولَى: مَكْسُورَةٌ، وَالثَّانِيَّةُ: سَاكِنَةٌ عَلَى وَزْنِ لِعِلَافٍ^(٤). [أ/٨٥٣] وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِهَمْزَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ؛ مِثْلَ: لِعِيلَافٍ^(٥).

وَفِي لَامٍ ﴿لِإِيلَافٍ﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا مَوْصُولَةٌ بِمَا قَبْلَهَا. الْمَعْنَى: ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾
﴿لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ﴾؛ أَي: أَهْلَكَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْفِيلِ لَتَبْقَى قُرَيْشٌ، وَمَا قَدْ

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٥٢٥): مكية بلا خلاف.

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٤٥).

(٣) في (م): مخففتين.

(٤) في (م): ليفعلان.

(٥) قراءات سبعة، وعشرية، انظر: انظر: السبعة (ص: ٦٩٨)، وأما قراءة أبي جعفر؛ فهي رواية العمري عنه كما في النشر (٢ / ٤٠٤) وليست من طرق الدرة، بل الصحيح فيها عنه ﴿لِإِيلَافِهِمْ﴾ بلا ياء كما ذكر ذلك ابن الجزري.

أَلِفُوا مِنْ رَحَلَةِ الشَّتَاءِ، وَالصَّيْفِ، هَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ^(١)، وَالْجَمْهُورِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا لَمْ تَتَّعَجَّبْ، كَأَنَّ الْمَعْنَى: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رَحَلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ، قَالَهُ الْأَعْمَشُ، وَالْكِسَائِيُّ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ مَعْنَاهَا مُتَّصِلٌ بِمَا بَعْدَهَا. الْمَعْنَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ لِإِيلَافِهِمْ رَحَلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الرَّحْلَتَيْنِ آمِنِينَ، فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ عَارِضٌ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُمْ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهَذَا الْوَجْهُ قَوْلُ النَّخَوِيِّينَ الَّذِينَ تُرْتَضَى أَقْوَاهُمْ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: بَغِضُ النَّاسِ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ وَسُورَةُ الْفِيلِ وَاحِدَةٌ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ، وَإِنْ كَانَتَا مُتَّصِلَتِي الْأَلْفَاظِ^(٣).

وَالْمَعْنَى: أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ بِالْحَرَمِ آمِنَةً مِنَ الْأَعْدَاءِ. وَالْحَرَمُ: وَادٍ جَدِيدٌ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا شَجَرَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَعِيشُ فِيهِ بِالتَّجَارَةِ، وَكَانَتْ لَهُمْ رَحْلَتَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ: رَحْلَةٌ فِي الشَّتَاءِ، وَرَحْلَةٌ فِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، وَلَوْ لَا هَاتَانِ الرَّحْلَتَانِ لَمْ يَكُنْ بِهِ مَقَامٌ، وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ بِمُجَاوَرَةِ الْبَيْتِ لَمْ يَقْدَرُوا عَلَى التَّصَرُّفِ، فَلَمَّا قَصَدَ أَصْحَابُ الْفِيلِ هَدْمَ الْكَعْبَةِ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ لِيُقِيمَ قُرَيْشٌ بِالْحَرَمِ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ نِعْمَتَهُ بِالسُّورَتَيْنِ.

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٩٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٦٥).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٤ - ٢٣٥).

والمعنى: أَنَّهُ أَهْلَكَ أَوْلَكَ لِيُؤْلِفَ قُرَيْشًا هَاتَيْنِ الرَّحْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بِهِمَا^(١) مَعَاشَهُمْ وَمَقَامَهُمْ بِمَكَّةَ، تَقُولُ: أَلَفْتَ مَوْضِعَ كَذَا؛ إِذَا لَزِمْتُهُ، وَالْفَنِيهِ اللهُ؛ كَمَا تَقُولُ: لَزِمْتَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، وَأَلَزَمْنِيهِ اللهُ. وَكَرَّرَ «إِلَافٍ» لِلتَّوَكِيدِ؛ كَمَا تَقُولُ: أَعْطَيْتُكَ الْمَالَ لِصِيَانَةٍ وَجِهَكَ صِيَانَةً عَنْ كُلِّ النَّاسِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: أَلَفْتُ الْمَكَانَ الْفَاءَ، وَأَلَفْتُهُ إِيلَافًا بِمَعْنَى وَاحِدٍ^(٢).

وَأَمَّا قُرَيْشٌ: فَهُمْ وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كَنَانَةَ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَلِدْهُ النَّضْرُ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ. وَقِيلَ: هُمْ مِنْ وَلَدِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ، فَمَنْ لَمْ يَلِدْهُ فَهْرٌ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ. وَإِنَّمَا سُمُّوا قُرَيْشًا؛ لِتَجَارَتِهِمْ وَجَمْعِهِمُ الْمَالَ. وَالْقُرَشُ: الْكُسْبُ. يُقَالُ: هُوَ يَقْرَشُ لِعِيَالِهِ، وَيَقْرَشُ؛ أَيُّ: يَكْتَسِبُ، وَقَدْ سَأَلَ مُعَاوِيَةُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لِمَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِدَابَّةٍ تَكُونُ فِي الْبَحْرِ يُقَالُ لَهَا: الْقُرَيْشُ، لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَثِّ وَالسَّمِينِ إِلَّا أَكَلَتْهُ. وَأَنْشَدَ [مِنْ الْخَفِيفِ]:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـ
رَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا
[تَأْكُلُ الْغَثَّ وَالسَّمِينِ وَلَا تَتْرُكُ
فِيهِ لِذِي الْجَنَاحَيْنِ رِيشًا]^{(٣)(٤)}

(١) فِي (س): الَّتِي بِهَا.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٦٦).

(٣) الْبَيْتُ الثَّانِي لَيْسَ فِي الْأَصْلِ، وَ(س)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ (ر)، وَ(م).

(٤) الْبَيْتُ بِلَا نِسْبَةٍ فِي إِعْرَابِ ثَلَاثِينَ سُورَةً (ص: ١٩٦)، وَتَهْذِيبِ الْقُرْآنِ (٨ / ٢٥٤)، وَالْكَشَفُ وَالْبَيَانُ (٣٠ / ٣١٥)، وَالنَّكَتُ وَالْعَيُونُ (٦ / ٣٤٦)، وَالتَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ (٤ / ٥٥٦)، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ (٨ / ٥٤٦).

وقال ابنُ الأنباري^(١): قال قومٌ: سُمُّوا قُرَيْشًا بالإفتراش؛ وهو
وُقُوعُ الرِّمَاحِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، قال الشاعرُ [من الطويل]:
وَلَمَّا دَنَا الرَّاياتُ وَافْتَرَشَ الْقَنَا وَطَارَ مَعَ الْقَوْمِ الْقُلُوبُ الرَّوَاجِفُ^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَّا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١ إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الْشَتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ ۝٣﴾ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿﴾ [قريش: ١ - ٤].

قوله تعالى: {إِلْفِهِمْ} قرأ أبو جعفر وابنُ فليح عن ابنِ كثير،
[٨٥٣/ب] والوليد بنُ عُتبة عن ابنِ عامرٍ، والتَّغْلِبِيُّ عن ابنِ ذَكْوَانَ، عنه: «إِلْفِهِمْ»
بهَمْزَةٌ مَكْسُورَةٌ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ بَعْدَهَا؛ مِثْلُ: «إِلْفِهِمْ». وَرَوَى الْخُرَاعِيُّ عَنْ
ابْنِ فليح، وَأَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ عَنْ عاصِمٍ: «إِلْفِهِمْ» بِسُكُونِ اللَّامِ، أَيْضًا،
وَرَوَاهُ الشُّمُونِيُّ إِلَّا حَمَّادًا: بِهِمْزَتَيْنِ مَكْسُورَتَيْنِ بَعْدَهُمَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ، وَرَوَاهُ
حَمَّادٌ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ الْيَاءَ.

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِهِمْزَةً مَكْسُورَةً بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ؛ مِثْلُ: «عِلْفِهِمْ».

وجمهورُ العلماء على أَنَّ الرَّحْلَتَيْنِ كَانَتَا لِلتَّجَارَةِ، وَكَانُوا يُخْرَجُونَ إِلَى
الشَّامِ فِي الصَّيْفِ، وَإِلَى الْيَمَنِ فِي الشُّتَاءِ لِشِدَّةِ بَرْدِ الشَّامِ.
وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانُوا يُشْتُونَ بِمَكَّةَ،

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١١٤).

(٢) البيت بلا نسبة في الزاهر (٢/ ١١٤)، وإعراب ثلاثين سورة (ص: ١٩٧).

وَيُصِيفُونَ بِالطَّائِفِ^(١). قَالَ الْفَرَاء: وَالرَّحْلَةُ مَنْصُوبَةٌ بِإِيقَاعِ الْفَعْلِ عَلَيْهَا^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾؛ أَي: لِيُوحِّدُوهُ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾؛ أَي: بَعْدَ الْجُوعِ؛ كَمَا تَقُول: كَسَوْتُكَ^(٣) مِنْ عِرِي، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ آمَنَهُمْ بِالْحَرَمِ، فَلَمْ يُتَعَرَّضْ لَهُمْ فِي رِحْلَتِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِإِطْعَامِهِمْ بَعْدَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْجُوعِ

وَرَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانُوا فِي ضُرٍّ وَمَجَاعَةٍ، حَتَّى جَمَعَهُمْ هَاشِمٌ عَلَى الرَّحْلَتَيْنِ، فَكَانُوا يَقْسِمُونَ رِيحَهُمْ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ حَتَّى اسْتَغْنَوْا^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا آمِنِينَ بِالْحَرَمِ، إِنْ حَضَرُوا حَمَاهُمْ، وَإِنْ سَافَرُوا قِيلَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْحَرَمِ، فَلَا يَغْرُضُ لَهُمْ أَحَدٌ.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٤٢) (١٥٤٥)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٥)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٢٣) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال: كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف.

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٩٤).

(٣) في (م): كسيتك.

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٥٥٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٥٤٨).

سُورَةُ الدِّينِ

وَيُقَالُ لَهَا: سُورَةُ ﴿أَرَاءَيْتَ﴾.

وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، قَالَه الْجُمْهُورُ^(١).

وَالثَّانِي: مَدَنِيَّةٌ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ^(٢).

وَقَالَ هِبَةُ اللَّهِ الْمَفْسَّرُ: نَزَلَ نِصْفُهَا بِمَكَّةَ فِي الْعَاصِرِ بْنِ وائِلٍ، وَنِصْفُهَا بِالْمَدِينَةِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُنَافِقِ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَاءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ قَوْلًا لِلْمُصْلِيْنَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءَوْنَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ - ٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرَاءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ ﴿اختَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤).

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٧): وهي مكية بلا خلاف علمته،

(٢) ذكره عنها الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣٥٠).

(٣) الناسخ والمنسوخ (ص: ٢٠٥).

(٤) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨/ ٥٤٩).

والثاني: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَمْرِو بْنِ عَائِدٍ، قَالَه الضَّحَّاكُ^(١).

والثالث: فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَالَه السُّدِّيُّ^(٢).

والرابع: فِي الْعَاصِ بْنِ وائِلٍ، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ^(٣).

والخامس: فِي أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، قَالَه ابْنُ جُرَيْجٍ^(٤).

والسادس: فِي أَبِي جَهْلٍ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(٥).

وَفِي الدِّينِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ حُكِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦).

وَالثَّانِي: الْحِسَابُ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَعِكْرَمَةُ^(٧).

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٣٣١)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٤٩).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) تنوير المقباس (ص: ٥٣٠)، وذكره عنه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٣).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٣٣١)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٣)، قال ابن جريج: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأناه يتيم فسأله شيئاً ففرعه بعصاه، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ﴾.

(٥) النكت والعيون (٦ / ٣٥٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٢٩) من طريق عطية العوفي في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ﴾ قال: الذي يكذب بحكم الله عز وجل.

(٧) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٥٠)، وأخرجه الطبري (٢٤ / ٦٢٩) من طريق ورقاء، عن ابن جريج ﴿يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ﴾ قال: بالحساب.

والثالث: الجزاء، حكاه الماوردي^(١).

والرابع: القرآن، حكاه بغض المفسرين.

﴿يَدْعُ﴾ بمعنى: يدفع. وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الطور: ١٣].

والمعنى: أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيماً ليأخذ ماله، وقد بينا فيما سبق أنهم كانوا لا يؤرثون الصغير. وقيل: يدفع اليتيم إبعاداً له؛ لأنه لا يزجو ثواب إطعامه.

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه؛ لأنه مكذب بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿نَزَلَ هَذَا فِي الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ يَرْجُونَ لِصْلَاتِهِمْ ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُونَ عَلَى تَرْكِهَا [٨٥٤/أ] عِقَابًا، فَإِنْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ صَلُّوا رِيَاءً، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مَعَهُ لَمْ يُصَلُّوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ﴾.

وقال ابن مسعود: والله ما تركوها البتة، ولو تركوها البتة كانوا كفاراً، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها^(٢).

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٥٠).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢١٦) بلفظ: قال ابن مسعود ﷺ: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: ذاك الكفر.

وقال ابن عباس: يُؤَخَّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا^(١). ونقل عن أبي العالية أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الَّذِي لَا يَذِرِي عَنْ كَمِ انْصَرَفَ عَنْ شَفْعٍ، أَوْ عَنْ وَتِيرٍ؟^(٢).

وردَّ هذا بغضُ العلماء، فقال: هذا ليس بشيء؛ لأنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ سَهَا فِي صَلَاتِهِ؛ وَلَأنَّه قَالَ تَعَالَى: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: فِي صَلَاتِهِمْ، وَلأنَّ ذَاكَ لَا يَكَادُ يَدْخُلُ تَحْتَ طَوْقِ ابْنِ آدَمَ.

[قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(٣): قُلْتُ: وَلَا أَظُنُّ أَبَا الْعَالِيَةِ أَرَادَ السَّهْوَ النَّادِرَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ السَّهْوَ الدَّائِمَ، وَذَلِكَ يَنْشَأُ^(٤) عَنِ انْتِفَاتِ الْقَلْبِ عَنِ اخْتِرَامِ الصَّلَاةِ، فَيَتَوَجَّهَ الذَّمُّ إِلَى ذَلِكَ، لَا إِلَى السَّهْوِ.

وَفِي ﴿الْمَاعُونِ﴾ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْإِبْرَةُ، وَالْمَاءُ، وَالنَّارُ، وَالْفَأْسُ، وَمَا يَكُونُ فِي الْبَيْتِ مِنْ هَذَا النَّحْوِ، رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥)، وَإِلَى نَحْوِهِ ذَهَبَ ابْنُ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٦٣١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَهْرَةَ الضَّبْعِيِّ نَصْرَ بْنَ عِمْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قَالَ: الَّذِينَ يُؤَخَّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٣ / ٤٦٤) (٣٧١٣) مِنْ طَرِيقِ نَصْرَ بْنَ عَاصِمِ اللَّيْثِيِّ، وَعَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا الْعَالِيَةِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مَا هُوَ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «هُوَ الَّذِي لَا يَذِرِي عَنْ كَمِ انْصَرَفَ؟ عَنْ شَفْعٍ، أَوْ عَنْ وَتِيرٍ».

(٣) مِنْ (ر)، وَ(م).

(٤) فِي (م): يَنْشَأُ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي تَارِيخِ أَصْبَهَانَ (١ / ٢٦٤)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (٨ / ٢٧٦) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَرْزِبَانِ، ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ =



مسعود^(١)، وابن عباس^(٢) في رواية.

وروى عنه أبو صالح أنه قال: الماعون: المعروف كله، حتى ذكر
القدر، والقصة، والفأس^(٣).

وقال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن
فراى في صلاته، وسها عنها، ومنع هذا^(٤).

قال الزجاج: والماعون في الجاهلية: كل ما كان فيه منفعة؛ كالفأس،
والقدر، والدلو، والقذاحة، ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضًا^(٥).

=ابن حكيم، ثنا الحسن بن عثمان، ثنا عمر بن شبيب، ثنا أسود بن عامر، ثنا مرثد
ابن عبد الله الهنائي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، حدثني عمر بن عبد العزيز
قبل أن يستخلف، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله
عز وجل: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قال: «ما يعاون به الناس بينهم، الفأس، والقدر،
والدلو، وأشباهه».

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٤٦٤) من طريق ابن عينة، عن الأعمش، عن إبراهيم
التيمي، عن أبيه، قال: قال ابن مسعود: «الماعون القدر، والفأس، والدلو - يعني: -
العارية». وأخرجه الطبري (٢٤/ ٦٣٩) من طريق سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم
التيمي، عن الحارث بن سويد، عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٤٠) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الفأس والدلو.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠/ ٣٤٠).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٦٨).

والثاني: أنه الزكاة، قاله علي^(١)، وابن عمر^(٢)، والحسن^(٣)، وعكرمة^(٤)، وقتادة^(٥).

والثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس في رواية^(٦).

والرابع: المال، قاله سعيد بن المسيب، والزهرى^(٧).

والخامس: المعروف، قاله محمد بن كعب^(٨).

والسادس: الماء، ذكره الفراء عن بعض العرب^(٩)، قال: وأنشدني [من الوافر]:

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٢٠) (١٠٦١٩) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن علي، ﴿وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: «الزكاة المفروضة».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٣٦) من طريق مجاهد، عن ابن عمر، قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾: الزكاة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٣٧) من طريق سعيد، عن قتادة والحسن: الماعون: الزكاة المفروضة.

(٤) ذكره عنه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧٧) تفسير سورة الماعون، معلقاً. والماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣٥٢).

(٥) تقدم.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٤١).

(٧) أخرجه عنهما الطبري (٢٤/ ٦٤٢) من طريق ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، قال: الماعون، بلسان قريش: المال. ومن طريق ابن أبي ذئب، عن الزهرى، قال: الماعون: بلسان قريش: المال.

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٤١) من طريق محمد بن رفاعه، قال: سمعت محمد بن كعب يقول: الماعون: المعروف.

(٩) معاني القرآن (٣/ ٢٩٥).



(١)

يُمِجُّ صَبِيرُهُ الْمَاعُونُ صَبًّا

وَالصَّبِيرُ: السَّحَابُ.

(١) صدر بيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للقراء (٣ / ٢٩٥)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة

(ص: ٥٤٠)، وتفسير الطبري (٢٤ / ٦٣٤)، والزاهر (١ / ٣١٣)، وعجزه:

..... *** إِذَا نَسَمُ مِنَ الْهَيْفِ اعْتَرَاهُ

سورة الكوثر

وفيهما قولان:

أحدهما: أنها مكيّة، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهورُ.

والثاني: مدنيّة، قاله الحسنُ، وعكرمة، وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

وفي الكوثر ستة أقوال:

أحدها: أنه نهرٌ في الجنة.

رَوَى البُخَارِيُّ فِي أَفْرَادِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ (اللُّؤْلُؤِ) ^(١) الدَّرُّ الْمُجَوَّفُ. قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا طِينُهُ، أَوْ طِيْبُهُ ^(٢)، مِنْكَ أَذْفَرُ» ^(٣).

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا فِي أَفْرَادِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَيْضًا، قَالَ: أَعْفَى

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (م): طيبته.

(٣) صحيح البخاري (٦٥٨١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، وَرَفَعَ ^(١) رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، (إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ) ^(٢): لَمْ صَحِحْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ أُنْزِلَ ^(٣) عَلَيَّ الْآنَ أَنْفَا سُورَةً» فَقَرَأَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ... حَتَّى خَتَمَهَا.

وَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قَالُوا ^(٤): اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عِزًّا وَجَلًّا فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي [٨٥٤/ب] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ^(٥)، يُخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدَاكَ ^(٦)» ^(٧).
وَالثَّانِي: أَنَّ الْكَوْثَرَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، الَّذِي أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٨).
وَالثَّلَاثُ: الْعِلْمُ وَالْقُرْآنُ، قَالَهُ الْحَسَنُ ^(٩).

(١) في (ر)، و(م): ثم رفع.

(٢) في (م): فقلنا له.

(٣) في (ر)، و(م): أنزلت.

(٤) في (م): فقالوا.

(٥) في (ر)، و(م): كواكب السماء، وفي (س): الكواكب.

(٦) ليست في (س).

(٧) صحيح مسلم (٥٣ - ٤٠٠).

(٨) أخرجه البخاري (٦٥٧٨) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه.

(٩) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٥٦١) من طريق مبارك، عن الحسن، ﴿إِنَّا

والرَّابِع: النُّبُوَّةُ، قَالَه عِكْرَمَةُ^(١).

والخَامِس: أَنَّهُ حَوْضُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَكْثُرُ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَه عَطَاءُ^(٢).

والسَّادِس: أَنَّهُ كَثْرَةُ أَتْبَاعِهِ، وَأُمَّتِهِ، قَالَه أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا^(٤) صَلَاةُ الْعِيدِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: صَلَاةُ الْأَضْحَى^(٥).

وَالثَّانِي: أَنَّهَا صَلَاةُ الصُّبْحِ بِالْمَزْدَلِفَةِ، قَالَه مُجَاهِدٌ^(٦).

أَعْطَيْتَنكَ الْكَوْثَرَ ﴿﴾ قَالَ: الْعِلْمُ وَالْقُرْآنُ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنُفِهِ (٦/ ٣٢٦) (٣١٧٩٤) مِنْ طَرِيقِ بَدْرِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ قَالَ: «الْكَوْثَرُ مَا أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِسْلَامِ»، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ٦٤٧) مِنْ طَرِيقِ عِمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: هُوَ النُّبُوَّةُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ (ص: ٥٦١) (١٦١١)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنُفِهِ (٦/ ٣٢٦) (٣١٧٩٥)، وَالتَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ٦٤٨) مِنْ طَرِيقِ فَطْرِ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْتَنكَ الْكَوْثَرَ﴾ قَالَ: «حَوْضُ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

(٣) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (٣٠/ ٣٦٥).

(٤) لَيْسَتْ فِي (م).

(٥) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٣/ ٤٦٦) (٣٧١٦)، وَالتَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ٦٥٤) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قَالَ: صَلَاةُ الْأَضْحَى، وَالنَّحْرُ: نَحْرُ الْبُذْنِ.

(٦) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٣/ ٤٦٧) (٣٧١٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَفَطْرِ، عَنْ عَطَاءٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قَالَ: «صَلِّ الصُّبْحِ بِجَمْعٍ». وَذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٦/ ٣٥٥).

والثالث: الصَّلَاةُ الْخُمْسُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(١).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَذْبَحَ يَوْمَ النَّحْرِ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)،
وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ^(٣)، وَعَطَاءٌ^(٤)، وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: وَضَعَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى [عِنْدَ النَّحْرِ]^(٥) فِي الصَّلَاةِ. رَوَاهُ
أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٦)، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ^(٧).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَضَعَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى عِنْدَ النَّحْرِ
فِي الصَّلَاةِ^(٨).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ رَفَعَ الْيَدَيْنِ بِالتَّكْبِيرِ إِلَى النَّحْرِ، قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ
بْنُ عَلِيٍّ^(٩).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٨٨٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله:
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ يقول: اذبح يوم النحر.

(٣) تقدّم قريباً.

(٤) تقدّم قريباً.

(٥) من (ر)، و(م).

(٦) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٥٦٢).

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥١) من طريق عقبة بن ظهير، عن علي رضي الله عنه في قوله:
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

(٨) تفسير الطبري (٢٤ / ٦٥٢).

(٩) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٢) من طريق جابر، عن أبي جعفر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ =

والرَّابِع: أَنَّ الْمَعْنَى: صَلَّى اللَّهُ، وَانْحَزَ اللَّهُ، فَإِنْ نَاسًا يُصَلُّونَ لِغَيْرِهِ، وَيَنْحَرُونَ لِغَيْرِهِ، قَالَهُ الْقُرْظِيُّ^(١).

والخامِس: أَنَّهُ اسْتَقْبَالَ الْقِبْلَةَ بِالنَّحْرِ، حَكَاهُ الْفَرَّاءُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ﴾ اِخْتَلَفُوا فِيْمَنْ عَنِ بِذَلِكَ عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ:
أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣).

نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَوْقَ مُجَدُّثِهِ، ثُمَّ^(٤) دَخَلَ الْعَاصِ الْمَسْجِدَ، وَفِيهِ أَنَسٌ مِنْ صُنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: مَنْ الَّذِي كُنْتَ تُحَدِّثُ؟ قَالَ ذَاكَ الْأَبْتَرُ، يَعْنِي^(٥): النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ قَدْ تَوَفَّى قَبْلَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ مَنْ

=الصلاة، وانحر: برفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح.

(١) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٤) من طريق أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظي، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ يقول: إن ناسا كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي.

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢٩٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٦٧) من طريق معمر، عن الكلبي، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل. وأخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل.

(٤) في (ر)، و(م): حتى.

(٥) في (س): وعن به.

ليس له ابنٌ: أبتَر، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه السُّورة^(١).
 ومَن ذَهَبَ إلى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٢)، وَمُجَاهِدٌ^(٣)، وَقَتَادَةُ^(٤).
 والثَّانِي: أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا^(٥).
 والثَّالِث: أَبُو لَهَبٍ، قَالَهُ عَطَاءٌ^{(٦) (٧)}.
 والرَّابِع: أَنَّهُ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ، قَالَهُ شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةٍ^(٨).
 والخَامِس: أَنَّهُ عَنَى بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ^(٩).

-
- (١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٣٥٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٦٠).
 (٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٦) من طريق هلال بن خباب، قال: سمعت سعيد بن جبیر يقول: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل.
 (٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٧) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: العاص بن وائل.
 (٤) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٧) من طريق ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل.
 (٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٥٦).
 (٦) في (س): ابن عباس، وأشار إليها في الأصل كنسخة أخرى.
 (٧) المصدر السابق.
 (٨) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٥٧) من طريق حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد، وهو أبتَر، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ﴾ عقبة بن أبي معيط ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.
 (٩) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٣٨٦).



والشَّانِي^(١): المَبْغُضُ، والأَبْتَرُ: المنْقَطَعُ عَنِ الْخَيْرِ.

(١) في الأصل: والثاني، والمثبت من سائر النسخ.

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ ۝ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾
[الكافرون: ١ - ٦].

وفيها قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور.
والثاني: مدنية، روي عن قتادة.

ذكر سبب نزولها، اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، لقوا العباس بن عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدفناه بما يقول، ولأمنّا بإلآهه، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت هذه السورة، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

والثاني: أن عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف، لقيَا رسول الله ﷺ،

فقالا: يا محمد! لا ندعك حتى تتبع ديننا، ونبتع دينك، فإن كان أمرنا [٨٥٥/أ] رشدًا كنت قد أخذت بحظك منه، وإن كان أمرك رشدًا كنا قد أخذنا

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٦٢٩) من رواية الكلبي.

بحفظنا منه، فنزلت هذه السورة، قاله عبيد بن عمير^(١).
والثالث: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن نتبع دينك عاماً،
وترجع^(٢) إلى ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة، قاله وهب^(٣).
قال مقاتل في آخرين نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين،
ولم يؤمن^(٤) من الذين نزلت فيهم أحد^(٥).
وأما^(٦) قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ فهو في موضع «من» ولكنه جعل
مقابلاً لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهي الأصنام.
وفي تكرار الكلام قولان:

أحدهما: لتأكيد الأمر وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء^(٧).

(١) عزاه المصنف لعبيد بن عمير، وهو تابعي، فهو مرسل، وأخرجه الطبري (٢٤ / ٦٦٢)
عن ابن إسحاق عن سعيد بن مينابه، وهذا مرسل، ويشهد له ما بعده. وأخرجه
ابن إسحاق بلاغاً؛ كما في السيرة النبوية؛ لابن هشام (١ / ٢٤٣)، وذكره الثعلبي في
الكشف والبيان (٣٠ / ٣٩٨)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٥٧)، والواحدي في
التفسير البسيط (٢٤ / ٣٩٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٦١).

(٢) في الأصل: ونرجع، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) مرسل، أخرجه عبد الرزاق (٣ / ٤٦٩) (٣٧٢٣) عن وهب بن منبه مرسلًا، ويشهد له
ما قبله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٦٥٥) إلى عبد الرزاق وابن المنذر عن وهب.

(٤) في (م): يبق.

(٥) تفسير مقاتل (٤ / ٨٨٧).

(٦) في (س): فأما.

(٧) لم أقف عليه في المعاني ولا لغات القرآن، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٣٩٤)
وعزاه إلى ابن قتيبة.

وقد أنعمنا شرح هذا في سورة الرَّحْمَنِ [آية: ١٣].

والثاني: أَنَّ المعنى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في حالي هذه ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ في حالكم هذه ﴿عَبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٢) ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ فيما أَسْتَقْبِلُ، وكذلك أنتم، فنُفِي عنه وعنهم ذلك في الحال والاستقبال، وهذا في حقِّ قَوْمٍ بِأَعْيَانِهِمْ، أَعْلَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، كما ذكرنا عن مُقاتِلٍ، فلا يكونُ حينئذٍ تكرارًا، هذا قولُ ثعلبٍ، والزَّجَّاجِ (٣).

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فَتَحَ يَاءَ «وَلِيَ» نَافِعٌ، وحَفْصٌ، وأَبَانٌ عَنْ عاصِمٍ (٣). وأُثْبِتَ يَاءَ «دِينِي» فِي الْحَالِينِ يَغُفُّوبُ (٤).
وهذا منسوخٌ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ بِآيَةِ السَّيْفِ.

(١) ليست في (ر)، و(م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٧١).

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ٢٢٥).

(٤) قراءة عشرية، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٤٠٤).

سُورَةُ النَّصْرِ

وهي مدنيّة بإجماعهم.

وفي أفرادٍ مُسلمٍ من حديث ابنِ عباسٍ أنّها آخرُ سورةٍ نزلت جميعاً^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي: معونته على الأعداء، والفتح: فتح مكة.

قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أمّا إذ ظفر محمدٌ بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان فدخلوا في دين الله أفواجاً^(٢). قال أبو عبيدة: والأفواج: جماعات في تفرقة^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢١-٣٠٢٤) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، وهارون بن عبد الله، وعبد بن حميد - قال عبد: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا - جعفر بن عون، أخبرنا أبو عميس، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قال: صدقت. وفي رواية ابن أبي شيبة: تعلم أي سورة، ولم يقل: آخر.

(٢) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٤٣٨)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٤٠٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٧٦).

(٣) مجاز القرآن (٢ / ٣١٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الصَّلَاةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: التَّسْبِيحُ الْمَعْرُوفُ، قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ بِنُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَأُعْلِمَ أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ، فَأُمِرَ بِالتَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ؛ لِيُخْتَمَ لَهُ عَمْرُهُ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: دَاعٍ مِنَ اللَّهِ، وَوَدَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا^(١). قَالَ قَتَادَةُ: وَعَاشَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ سَتَتَيْنِ^(٢).

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ٣٦١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٦٧١) قال: بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قرأها كلها. قال ابن عباس: هذه السورة عَلَّمَ وَحَدَّ حَذَّ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، ونعى له نفسه. إي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلاً. قال قتادة: والله ما عاش، بعد ذلك إلا قليلاً ستتين، ثم توفي ﷺ.

سُورَةُ تَبَّتْ

وهي مكية بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ ﴾ [المسد: ١ - ٥].

وسبب نزولها: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين»^(١) من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت^(٢): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله - ﷺ - على الصفا فقال: «يَا صَبَاحَاهُ» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ فقال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ، أَوْ مُمَسِّكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قالوا^(٣): بلى. قال: «فَلْيَا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ». قال أبو لهب: تبًّا لك لهذا^(٤) دعوتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

ومعنى تبَّتْ: خسرت يدا أبي لهب ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وخسر هو. [٨٥٥/ب]

قال الفراء: الأول: دُعَاءٌ، والثاني: خبرٌ؛ كما تقول للرجل: أَهْلَكَكَ

(١) صحيح البخاري (٤٩٧٢)، ومسلم (٣٥٥ - ٢٠٨).

(٢) في (م): نزل.

(٣) في (س): فقالوا.

(٤) في (م): ألهذا.



اللهُ وَقَدْ أَهْلَكَكَ، وَجَعَلَكَ اللهُ صَالِحًا وَقَدْ جَعَلَكَ^(١).

وقيل: ذَكَرَ يَدَيْهِ، وَالْمَرَادُ نَفْسُهُ، وَلَكِنْ هَذَا عَادَةُ الْعَرَبِ يُعَبِّرُونَ
بِبَعْضِ الشَّيْءِ عَنْ جَمِيعِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وَلَدُ أَبِي لَهَبٍ^(٢).

فَأَمَّا أَبُو لَهَبٍ فَهُوَ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ عَبْدُ الْعُزَّى،
وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحْدَهُ: «أَبِي لَهَبٍ» بِإِسْكَانِ الْهَاءِ^(٣).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ لُغَةً كَالشَّمْعِ، وَالشَّمْعِ، وَالنَّهْرِ، وَالنَّهْرِ^(٤).

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ كَنَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِي الْكُنْيَةِ نَوْعٌ تَعْظِيمٍ؟

فَعَنَّهُ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِنْ صَحَّ أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ الْعُزَّى، فَكَيْفَ يَذْكُرُهُ اللهُ بِهَذَا
الاسْمِ، وَفِيهِ مَعْنَى الشَّرْكَ؟

وَالثَّانِي: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ اشْتَهَرُوا بِكُنَاهُمْ، وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُمْ أَسْمَاءُ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: [أَخْبَرَنِي]^(٥) غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْأَضْمَعِيِّ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو
بَنَ الْعَلَاءِ، وَأَبَا سُفْيَانَ بَنَ الْعَلَاءِ أَسْمَاؤُهُمَا كُنَاهُمَا، فَإِنْ كَانَ اسْمُ أَبِي لَهَبٍ

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٩٨).

(٢) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ٢٢٥).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٦/ ٢٠٤).

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (س)، وفي (ر)، و(م): خَبَرَنِي.

كُنْيَتَهُ، فَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِمَا لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَقْرَبِيهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ أَبُو هَبَبٍ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي بِمَالِي، وَلَدِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾^(٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَ«مَا» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، الْمَعْنَى: مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَكُسْبُهُ؛ أَي: وَلَدُهُ^(٣).

وكَذَلِكَ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: الْمُرَادُ بِكُسْبِهِ هَاهُنَا، وَلَدُهُ. وَ«أَغْنَىٰ» بِمَعْنَى: يُغْنِي ﴿سَيَصِلُنَّ نَارَ آذَانَ هَبٍ﴾؛ أَي: تَلْتَهِبُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ دُخَانٍ ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾؛ أَي: سَتَضَلِّي أَمْرَأَتَهُ، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَزْبٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ.

وَفِي هَذَا دِلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ نُبُوءَةِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِهَذَا الْمَعْنَى أَنَّهُ وَزَوْجَتُهُ يَمُوتَانِ عَلَى الْكُفْرِ، فَكَانَ كَذَلِكَ؛ إِذْ لَوْ قَالَا بِالنَّبِيِّتَيْنِ: قَدْ أَسْلَمْنَا، لَوَجَدَ الْكُفْرَ مُتَعَلِّقًا فِي الرَّدِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُمَا لَا يُسْلِمَانِ بَاطِنًا، وَلَا ظَاهِرًا، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَمَالَةَ آلِ حَاطِبٍ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا كَانَتْ تَمَثَّلِي، بِالنَّمِيمَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ،

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٦٠).

(٢) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٤٦٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٧٥).

وَالسُّدِّيُّ، وَالْفَرَّاءُ^(١).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: فَشَبَّهُوا النَّيْمَةَ بِالْحَطَبِ، وَالْعِدَاوَةَ وَالشُّخْنَاءَ
بِالنَّارِ؛ لِأَنَّهُمَا يَقَعَانِ بِالنَّيْمَةِ، كَمَا تَلْتَهُبُ النَّارُ بِالْحَطَبِ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَطِبُ الشُّوكَ، فَتُلْقِيهِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لِيَلَّا رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمَرَادَ بِالْحَطَبِ الْخَطَايَا، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا كَانَتْ تُعَيِّرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْفَقْرِ، وَكَانَتْ تَحْتَطِبُ فَعُيِّرَتْ
بَذَلِكَ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُ بِالْمَالِ.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَخَدَهُ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ بِالنَّصْبِ^(٤).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصَبَ «حَمَّالَةَ» فَعَلَى الدِّمِّ. وَالْمَعْنَى: أَغْنِي: ﴿حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ﴾^(٥).

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٩٩).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٧٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، في
قوله: ﴿وَأَمَرَأَتْهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال: كانت تحمل الشوك، فنطرحه على طريق
النبي ﷺ، ليعقره وأصحابه.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٣) من طريق محمد بن سعد بنه، وعزاه السيوطي في
الدر المنثور (٦/ ٤٠٩) إلى ابن عساكر.

(٤) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٢٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥).

والجيد: العُتْق. والمسدُّ في لغة العرب: الجبل إذا كان من ليف المُقْل. وقد يُقال لما كان من أوبار الإبل من الجبال: المسدُّ^(١)، قال الشاعر [من الرجز]:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقٍ^(٢)

[صُهْبٍ عِتَاقٍ ذَاتِ مُخٍّ زَاهِقٍ]^(٣)

أُمِرَّ: أَحْكَمَ فِتْلَهُ.

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: المسدُّ عند كثيرٍ من الناس اللِّيفُ دُونَ غَيْرِهِ، وليس كذلك، إِنَّمَا المسدُّ: كُلُّ مَا ضُفِّرَ وَفُتِلَ مِنَ اللِّيفِ وَغَيْرِهِ^(٤). [٨٥٦/أ]

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمَرَادِ بِهَذَا الْجَبَلِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا جِبَالٌ كَانَتْ تَكُونُ بِمَكَّةَ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥).

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: جَبَلٌ مِنْ شَجَرٍ كَانَتْ تَحْتَطِبُ بِهِ^(٦).

(١) في (س): مسد.

(٢) الرجز بلا نسبة في النواذر في اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٣٩١)، وتأويل مشكل القرآن؛ لابن قُتَيْبَةَ (ص: ١٠٤)، وغريب القرآن (٣/ ٧٤٢)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٣٧٦).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٨٠ - ٦٨١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿جَبَلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ قال: هي جبال تكون بمكة.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٣) من طريق محمد بن سعد به.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٨٠) قال حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحَّاك يقول في قوله: ﴿فِي جِيدِهَا جَبَلٌ مِّنْ

والثاني: أَنَّهُ قِلَادَةٌ مِنْ وَدَعٍ، قَالَ قَتَادَةُ.

والثالث: أَنَّهُ سِلْسَلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، قَالَ عُرْوَةُ
بْنُ الزُّبَيْرِ.

وقال غيره: المراد بهذا الحبل: السِّلْسَلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ
طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ تِلْكَ السِّلْسَلَةَ قَدْ قُتِلَتْ قِتْلًا مُحْكَمًا،
فَهِيَ فِي عُنُقِهَا تَعَذَّبُ بِهَا فِي النَّارِ.

مَسِيرٌ قال: حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به.
وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٤١٩)، وتفسير البغوي (٨ / ٥٨٣).

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وفيهما قولان:

أحدهما: أنها مكيّة، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، وعطاءٌ، وعكرمةٌ، وجابرٌ.

والثاني: مدنيّة، روي عن ابنِ عباسٍ، وقتادة، والضّحّاك.

وقد روى البخاريُّ في أفرادهِ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدريّ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(١). وروى مُسلمٌ في أفرادهِ من حديثِ أبي هريرة أنّ النّبيّ ﷺ، قال: «إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(٢).

وفي سببِ نزولها ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنّ المشركين قالوا للرّسول الله^(٣): أنسب لنا ربّك، فتزلّت هذه السّورة، قاله أبيُّ بن كعبٍ^(٤).

(١) البخاري (٥٠١٣ - ٦٦٤٣ - ٧٣٧٤).

(٢) مسلم (٢٥٩ - ٨١١).

(٣) في (ر)، و(م): قالوا: يا محمد.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤)، والطبري في تفسيره (٦٨٧ / ٢٤)، والحاكم في المستدرک (٥٤٠ / ٢) وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٠)، وغيرهم؛ من حديث أبي جعفر الرازي، به، وهو ضعيف لاسيما في روايته عن الربيع بن أنس.

والثاني: أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِيَّامَ تَدْعُونَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». قَالَ: صِفْهُ لِي؛ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ، أَوْ مِنْ فِضَّةٍ، أَوْ مِنْ حَدِيدٍ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١).

والثالث: أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا [لَهُ]^(٢) هَذَا، قَوْمٌ مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ قَالُوا: مِنْ أَيِّ جَنْسٍ هُوَ، وَمَنْ وَرِثَ الدُّنْيَا، وَلِمَنْ يُوَرِّثُهَا؟ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ^(٣).

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَخَمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «أَحَدُ اللَّهِ»^(٤)، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «أَحَدُ اللَّهِ» بِضَمِّ الدَّالِ، وَوَضَلَّهَا بِاسْمِ اللَّهِ^(٥).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٢ / ١٠) (١٠٧٦٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٤١): فيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف، وذكر ذلك عنه السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٢٢١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٥٠٢)، وذكره الواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٧٨ - ٢٧٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٣٠١).
وروى ابن أبي عاصم في السنة (١ / ٣٠٤)، وأبو يعلى في مسنده (٦ / ٨٧) (٣٣٤١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٨) (٦٠٥) من حديث أنس قال: أرسل رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله، فقال: هذا الإله الذي تدعو إليه، أمن فضة هو، أمن ذهب فتعاظم مقالته... الحديث. وفيه أن الله أهلكه بالصاعقة، وليس فيه إشارة في سبب نزول سورة الإخلاص.

(٢) من (س).

(٣) ذكر ذلك عنهما الثعلبي (٣٠ / ٥٠٣)، وأسباب النزول (ص: ٥٠٠).

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٧٠١).

(٥) قراءة شاذة، بل غير ممكنة، ونقل عنه في السبعة (ص: ٧٠١): أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى (أَحَدُ)، فَإِنْ وَصَلَ نُونٌ، وَعَنْ هَارُونَ عَنْهُ: أَنَّهُ لَا يَنْوِنُ وَإِنْ وَصَلَ، وَهَذَا يَحْمِلُ عَلَى =

قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ كَنَاءَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَعْنَى: الَّذِي سَأَلْتُمْ تَبْيِينَ نِسْبَتِهِ هُوَ اللَّهُ، و«أَحَدٌ»: مَرْفُوعٌ عَلَى مَعْنَى: هُوَ أَحَدٌ، فَاَلْمَعْنَى: هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ أَحَدٌ^(١).

وَقُرِئَتْ: «أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدِ» بِتَنْوِينٍ «أَحَدٌ». وَقُرِئَتْ: «أَحَدُ اللَّهِ» بِتَرْكِ التَّنْوِينِ. وَقُرِئَتْ: بِإِسْكَانِ الدَّالِ «أَحَدُ اللَّهِ»، وَأَجُودُهَا الرَّفْعُ بِإِثْبَاتِ التَّنْوِينِ، وَكُسْرِ التَّنْوِينِ؛ لِسُكُونِهِ وَسُكُونِ اللَّامِ فِي «اللَّهُ»، وَمَنْ حَذَفَ التَّنْوِينَ؛ فَلِإِلْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ أَيْضًا، وَمَنْ أَسْكَنَ أَرَادَ الْوَقْفَ ثُمَّ ابْتَدَأَ «اللَّهُ الصَّمَدِ» وَهُوَ أَرْدُوها^(٢).

فَأَمَّا «الْأَحَدُ»: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ^(٣): هُوَ الْوَاحِدُ.

وَفَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَهُمَا: فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: الْوَاحِدُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالذَّاتِ فَلَا يُضَاهِيهِ^(٤) أَحَدٌ^(٥). وَالْأَحَدُ: هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْمَعْنَى، فَلَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ. وَأَصْلُ «الْأَحَدِ» عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ: الْوَاحِدُ، ثُمَّ أَبْدَلُوا مِنَ الْوَاوِ الْهَمْزَةَ.

=الضم. وانظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٥٢٦)، ومختصر الشواذ (ص: ١٨٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٧٧).

(٢) قال الطبري: واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار «أحد الله الصمد» بتنوين أحد سوى نصر بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق فإنه روى عنهما ترك تنوين «أحد الله» وكان من قرأ ذلك كذلك قال: نون الأعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حذفت أحياناً (٢٤ / ٦٨٩).

(٣) مجاز القرآن (٢ / ٣١٦).

(٤) في شأن الدعاء: يضامه.

(٥) شأن الدعاء (ص: ٨٣).

وَفِي ﴿الصَّمَدُ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١)، وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ
الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كُمِلَ فِي سُودَدِهِ^(٢). قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ السَّيِّدُ
[٨٥٦/ب] الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا الصَّمَدَ^(٣)، قَالَ الْأَسَدِيُّ
[مِنَ الطَّوِيلِ]:

لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ^(٤)
وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ السُّودَدُ؛ فَقَدْ صَمَدَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ؛
أَي: قَصَدَ^(٥) قَصْدَهُ^(٦).

وَتَأْوِيلُ صُمُودٍ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ: أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَثَرُ صُنْعِهِ.

(١) لم أقف عليه، وتفرد المصنف بذكره دون سائر المفسرين أمانة لو هُتِنَ أو وضعه لخلوه
عن كتب الحديث والأثر والتفسير، ولو صح مرفوعاً ما اختلف المفسرون في تأويل
«الصمد».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٦٩٢)، وأبو الشيخ في العظمة (١ / ٣٨٣)، والبيهقي في
الأسماء والصفات (١ / ١٥٦).

(٣) مجاز القرآن (٢ / ٣١٦).

(٤) البيت لأبي القمقام الأسدي في معاني القرآن؛ للفراء (٣ / ٢٦٨)، وبلا نسبة في تفسير
الطبري (٢٤ / ٦٩٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥ / ٣٧٨)، والزاهر في معاني كلمات
الناس (١ / ٨٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٥ / ١٤٧)، وأمال القالي (٢ / ٢٨٨).

(٥) في (ر)، و(م): اقصد.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٧٨).

وقال ابنُ الأَثَباري: لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الصَّمَدَ: السَّيِّدُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ يَضْمَدُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي أُمُورِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ^(١).

والثَّانِي: أَنَّهُ لَا جَوْفَ لَهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرَمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ.

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: فَكَأَنَّ الدَّالَّ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ مُبْدَلَةٌ مِنْ تَاءٍ، وَالْمُضْمَتُ مِنْ هَذَا^(٢).

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ الدَّائِمُ.

وَالرَّابِعُ: الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ، حَكَاهُمَا الْخَطَّابِيُّ، وَقَالَ: أَصَحُّ الْوُجُوهِ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّ الْإِشْتِقَاقَ يَشْهَدُ لَهُ، فَإِنَّ أَضَلَ الصَّمَدِ: الْقَضْدُ. يُقَالُ: اضْمُدْ صَمَدَ فُلَانٍ؛ أَي: اقْضِدْ قَضْدَهُ^(٣).

فَالصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي يُضْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ، وَيُقْصَدُ فِي الْحَوَائِجِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ قَوْلٌ مَقَاتِلٌ﴾ لَمْ يَلِدْ فَيُورَثُ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فَيُشَارَكَ^(٤).

وَذَلِكَ أَنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ الرَّحْمَنِ. وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، فَبَرَأَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ.

(١) الزاهر في معاني كلمات (١ / ٨٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٤٢).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٨٥).

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٩٢٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قَرَأَ الْكَثَرُونَ: بِالتَّثْقِيلِ
وَالْهَمْزِ.

وَرَوَاهُ حَفْصٌ بِالتَّثْقِيلِ وَقَلْبِ الْهَمْزِ وَأَوَّاءَ. وَقَرَأَ أَحْمَزُهُ بِسُكُونِ الْفَاءِ^(١).
وَالْكَفَاءُ: الْمَثَلُ الْمَكَافِئُ. وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ
كُفُوًا، فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ؛ لِتَتَّفِقَ رُؤُوسُ الْآيَاتِ.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٧٠٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢٢٦).



سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ - ٥].

وفيهما قولان:

أحدهما: أنها مدنيّة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، في آخرين.

والثاني: أنها مكّيّة، رواه كريب، عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر، والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله - ﷺ - سحر وهو مع عائشة، فتزلت عليه المعوذتان.

وذكر أهل التفسير^(١) في سبب نزولها^(٢): أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله - ﷺ - فلم يزل به اليهود حتى أخذ مشاطة رأس رسول الله - ﷺ - وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك ليبد بن أعصم اليهودي، ثم دسها في بئر ليني زريق، يقال، لها: بئر ذروان، ويقال: ذي أروان.

(١) انظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٨ / ٥٩١)، والكشف والبيان؛ للعلبي (٣٠ / ٥٣٠)، وأسباب النزول؛ للواحيدي (ص: ٥٠٢).

(٢) في (م): نزولها.

فمرَّضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وانتثرَ شعرُ رأسه، وكان يرى أنه يأتي النساءَ وما يأتيهنَّ، ويَحْيِلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ، وما يفعله، فبينما هو ذاتُ يومٍ نائمٌ ^(١) أتاه ملكانِ فقعدا أحدهما عندَ رأسه، والآخرُ عندَ رجلَيْه، فقال أحدهما للآخرِ: ما بالَ الرَّجُلِ؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سُحِرَ. قال: ومن سحره؟ قال: لبيدُ بنُ أعصمَ. قال: وبِمَ طَبَّه؟ قال: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قال: وأين هو؟ قال: في جُفٍّ طلعةٍ تحتَ راعوفةٍ ^(٢) في بئرِ دَرَوَانَ، والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلَعِ، والراعوفةُ: صخرةٌ تُتركُ في أسفلِ البئرِ إذا حُفرت، فإذا أرادوا تنقيةَ البئرِ جلسَ المنقِّي عليها فانتبه رسولُ اللَّهِ - ﷺ - [٨٥٧/أ] فقال: «يا عائشةُ! أما ^(٣) شعرتِ أن اللهَ أخبرني بدائي؟» ثم بعثَ عليًّا، والزُّبَيْرَ، وعَمَّارَ بنَ ياسِرٍ، فنزحُوا ماءَ تلكَ البئرِ، ثم رفعُوا الصخرةَ، وأخرجُوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشاطَةٌ رأسه، وأسنانُ مُشطِهِ وإذا وترٌ معقودٌ، فيه إحدى عشرةَ عُقدةً مغروزةً بالإبرة، فأنزلَ اللهُ تعالى المعوذتين، فجعلَ كُلُّما قرأَ آيةً انحلت عُقدةٌ. ووجدَ رسولُ اللَّهِ - ﷺ - خِفةً حين انحلتِ العُقدةُ الأخيرةُ، وجعلَ جبريلُ - عليه السلام - يقولُ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ. فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ! أفلا نأخذُ الحَبِيثَ فنقتله؟ فقال: «أما أنا؛ فقد شَفاني اللهُ، وأكرهُ أن أثيرَ على الناسِ شرًّا»، وقد أخرجَ البخاريُّ ومُسلمٌ في «الصَّحِيحَيْنِ» من

(١) في (س): نائماً.

(٢) في الأصل: راعونة، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في الأصل: ما، والمثبت من سائر النسخ.

حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ^(١)، وقد بينا معنى «أعوذ» في أول كتابنا.

وفي الفلق ستة أقوال:

أحدها: أنه الصُّبْحُ رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والقرظي، وابن زيد، واللغويون. قالوا: ويقال: هذا أبين من فلق الصُّبْحِ وقرق الصُّبْحِ^(٢).

والثاني: أنه الخلق، رواه الوالبي^(٣)، عن ابن عباس^(٤)، وكذلك قال الضحاك: الفلق: الخلق كله^(٥).

والثالث: سجن في جهنم، روي عن ابن عباس أيضًا^(٦).

وقال وهب، والسدي: جب في جهنم. وقال ابن السائب: وإد في جهنم^(٧).

(١) صحيح البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٤ / ٧٠٠)، وانظر: معاني القرآن؛ للفراء (٣ / ٣٠١).

(٣) أي: علي بن أبي طلحة الوالبي.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٧٠١)، من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الْفَلَقِ﴾ يعني: الخلق.

(٥) ذكر ذلك عنه البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٥٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣٠ / ٥٣٥).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٦٩٩)، من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن رجل، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الْفَلَقِ﴾: سجن في جهنم.

(٧) أخرجه الطبري (٢٤ / ٦٩٩ - ٧٠٠)، من طريق سفيان، عن السدي، ومن طريق محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة.

وَالرَّابِعُ: شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو.

وَالخَامِسُ: أَنَّهُ كُلُّ مَنْ انْفَلَقَ عَنْ شَيْءٍ، كَالصُّبْحِ، وَالْحَبِّ، وَالنَّوَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ. قَالَ الْحَسَنُ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْخُلُقَ بَانَ لَكَ أَنَّ أَكْثَرَهُ، عَنِ انْفِلَاقٍ كَالْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ، وَالسَّحَابِ، بِالْمَطَرِ^(١).

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْحَبَلِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وَقَرَأَ ابْنُ السَّمِيعِ، وَابْنُ يَعْمُرَ: «خُلِقَ» بِضَمِّ الْخَاءِ وَكسْرِ اللَّامِ^(٢).

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَامٌّ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ شَرَّ مَا خَلَقَ: إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ، قَالَ الْحَسَنُ.

وَالثَّلَاثُ: جَهَنَّمُ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(٣).

وَفِي «الْعَاسِقِ» أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْقَمَرُ رَوَتْ عَائِشَةُ قَالَتْ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى الْقَمَرِ،

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٧٩).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٨٣).

(٣) النكت والعيون (٦ / ٣٧٤).

فَقَالَ: «اسْتَعِذْ بِلِلَّهِ مِنْ شَرِّهِ فَإِنَّهُ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ،
وَالنَّسَائِيُّ، فِي كِتَابِهِمَا^(١).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَيُقَالُ: الْغَاسِقُ: الْقَمَرُ إِذَا كَسَفَ فَاسْوَدَّ. وَمَعْنَى
«وَقَبَ»: دَخَلَ فِي الْكُسُوفِ^(٢).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ النَّجْمُ، رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ اللَّيْلُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْقُرْظِيُّ،
وَالْفَرَّاءُ، وَأَبُو عُيَيْدٍ^(٤)، وَابْنُ قُتَيْبَةَ^(٥)، وَالرَّجَّاجُ^(٦).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٤٣٦٨ - ٢٥٧٥٢ - ٢٦٠٤٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٣٦٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ
(١٠١٣٨)، وَالطَّبْرِيُّ فِي التَّفْسِيرِ (٢٤ / ٧٠٤)، وَالْحَاكِمُ (٢ / ٥٤١)، مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ
الْحَفَرِيِّ وَابْنِ وَهْبٍ وَوَكَيْعٍ وَيزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَالثَّوْرِيَّ وَأَبِي عَامِرٍ الْعَقَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ،
عَنْ أَبِي ذَيْبٍ، بِهِ. وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحَ الْإِسْنَادِ.

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٤٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٧٠٣)، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ (٦٩٨)، مِنْ طَرِيقِ نَصْرِ بْنِ
عَلِيٍّ، عَنْ بَكَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَخِي هَمَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ بِنَحْوِهِ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو
الشَّيْخِ (٦٩٧) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا سَلَمَةَ فِي إِسْنَادِهِ، وَإِسْنَادُهُ
ضَعِيفٌ، فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ (٤ / ٦٩٤):
لَا يَصِحُّ رَفْعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

(٤) الْغَرِيبِينَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ (٤ / ١٣٧٣).

(٥) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٤٢).

(٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٧٩).

(قَالَ اللَّغَوِيُّونَ)^(١): وَمَعْنَى «وَقَبَّ»: دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَأَظْلَمَ،
و«الْغَسَقُ»: الظُّلْمَةُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْغَاسِقُ: الْبَارِدُ، فَقِيلَ لِلَّيْلِ: غَاسِقٌ؛
لأنَّه أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ^(٢).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الثَّرِيَّا إِذَا سَقَطَتْ، وَكَانَتْ الْأَسْقَامُ، وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ
عِنْدَ وَقُوعِهَا وَتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

[٨٥٧/ب] فَأَمَّا «الْتَفَقَّتْ»: فَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُنَّ السَّوَاكِرُ يَنْفُثْنَ؛ أَي: يَنْفُلْنَ
إِذَا سَحَرْنَ، وَرَقِيزٌ^(٣). قَالَ الزَّجَّاجُ: يَنْفُلْنَ بِلَا رِيْقٍ كَأَنَّهُ نَفْخٌ^(٤). وَقَالَ ابْنُ
الْأَثْبَارِيِّ: قَالَ اللَّغَوِيُّونَ: تَفْسِيرُ «نَفَثَ»: نَفَخَ نَفْخًا لَيْسَ مَعَهُ رِيْقٌ، وَمَعْنَى
تَفَلَّ: نَفَخَ نَفْخًا مَعَهُ رِيْقٌ^(٥)، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

وَمِنْ جَوْفِ مَاءٍ عَرْمَضُ الْحَوْلِ فَوْقَهُ مَتَى يَخْسُ مِنْهُ مَائِحُ الْقَوْمِ يَنْفُلُ^(٦)

(١) فِي (س): وَاللَّغَوِيُّونَ.

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(٣) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٥٤٢).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٥ / ٣٧٩).

(٥) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٠: ٣١٨).

(٦) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ (ص: ٥١٥)، وَغَرِيبُ الْحَدِيثِ؛ لِأَبِي عُبَيْدٍ (١ / ٣٥)، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ

(١ / ٩٥)، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (١٠ / ٣١٨)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي مَقَايِيسِ اللُّغَةِ (١ / ٣٤٩)،

الْعَرْمَضُ: الْخَضْرَاءُ الَّتِي تَعْلُو الْمَاءَ وَهِيَ الرَّمْضُ وَالْعَلَقُ وَالطَّحْلُبُ. وَالْمَائِحُ -بِالْهَمْزِ-:

الَّذِي يَنْزِلُ الْبُيْرُ فَيَمْلَأُ الدَّلُوَ. وَالْمَائِحُ -بِالتَّاءِ-: الَّذِي يَجْذِبُ الدَّلُوَ.



وقد روى ابنُ أبي سُرَيْجٍ «النَّفَثَاتِ» بِالْفِ قَبْلَ الْفَاءِ مَعَ كَسْرِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا^(١).
 وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ: الْمَرَادُ بِالنَّفَثَاتِ هَاهُنَا: بَنَاتُ لَيْدِ بْنِ أَعْصَمِ
 الْيَهُودِيِّ سَحَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.
 ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ﴾ يَعْنِي: الْيَهُودَ حَسَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرْنَا
 حَدَّ الْحَسَدِ فِي الْبَقَرَةِ [آيَةُ: ١٠٩].
 وَالْحَسَدُ: أَحْسُ الطَّبَائِعِ، وَأَوَّلُ مَعْصِيَةِ عُصِي اللَّهِ بِهَا فِي السَّمَاءِ حَسَدُ
 إِبْلِيسَ لِآدَمَ، وَفِي الْأَرْضِ حَسَدُ قَايِلَ هَايِلَ.

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات (ص: ٥٢٧)، والكامل (ص: ٢٥٠).

سُورَةُ النَّاسِ

وفيهَا قولَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا مَدِينَةٌ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).

والثاني: أَنَّهَا مَكِيَّةٌ، رَوَاهُ كُرَيْبٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٦].

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ خَصَّ النَّاسَ هَاهُنَا بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ؟

فَعَنَّهُ جَوَابَانِ:

أحدهما: لِأَنَّهُمْ مُعَظَّمُونَ مُتَمَيِّزُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ.

والثاني: لِأَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِمْ أَعْلَمَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ؛ لِيُعْلِمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعِيدُ مِنْ شَرِّهِمْ. وَلَمَّا كَانَ فِي النَّاسِ مُلُوكٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ وَلَمَّا كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾.

و﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: الشَّيْطَانُ، وَهُوَ ﴿الْخَنَّاسِ﴾ يُوَسْوِسُ فِي الصُّدُورِ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَسَنَ؛ أَي: كَفَّ، وَأَقْصَرَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْوَسْوَاسُ هُنَا: ذُو الْوَسْوَاسِ^(٣).

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٠ / ٤٢٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٠ / ٢٥١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٨١).

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ الصُّدُورُ هَاهُنَا: الْقُلُوبُ^(١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا سَهَا، وَغَفَلَ؛ وَشَوَسَ، فَإِذَا ذُكِرَ
اللهُ؛ خَنَسَ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الْجِنَّةُ: الْجِنُّ.

وَفِي مَعْنَى الْآيَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يُوشِوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ جَنَّتِهِمْ وَنَاسِهِمْ، فَسَمَّى الْجِنَّ
هَاهُنَا نَاسًا، كَمَا سَمَّاهُمْ رِجَالًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾
[الجن: ٦] وَسَمَّاهُمْ نَفَرًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] هَذَا
قَوْلُ الْفَرَّاءِ^(٣)، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْوَسْوَاسُ: مُوسُوسًا لِلْجِنِّ، كَمَا
يُوسُوسُ لِلْإِنْسِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْوَسْوَاسَ الَّذِي يُوشِوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، هُوَ مِنْ
الْجِنَّةِ، وَهُمْ مِنَ الْجِنِّ.

وَالْمَعْنَى: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْجِنِّ.

ثُمَّ عَطَفَ قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَالنَّاسِ» عَلَى «الْوَسْوَاسِ»، وَالْمَعْنَى: مِنْ شَرِّ

(١) غريب القرآن (ص: ٥٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٩ / ٢٤)، منصور، عن سفيان، عن ابن عباس، في
قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل
وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٣٠٢).

الْوَسْوَاسَ، وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ، كَأَنَّهُ أَمْرٌ أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْ شَرِّ^(١) الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،
هَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ^(٢).

[٨٥٨/أ]

فهذا آخر زاد المسير، والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذا قد بلغنا
-بحمد الله- مرادنا مما أملنا؛ فلا يعتقد من رأى اختصارنا أننا أقللنا؛
فقد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً
لما أغفلنا، فإننا ضمّنا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا، ومَنْ أراد
زيادة بسط في التفسير؛ فعليه بكتابنا المسمّى: «المغني في التفسير»، فإن أراد
مختصراً فعليه بكتابنا المسمّى بـ: «تذكرة الأريب في تفسير الغريب».

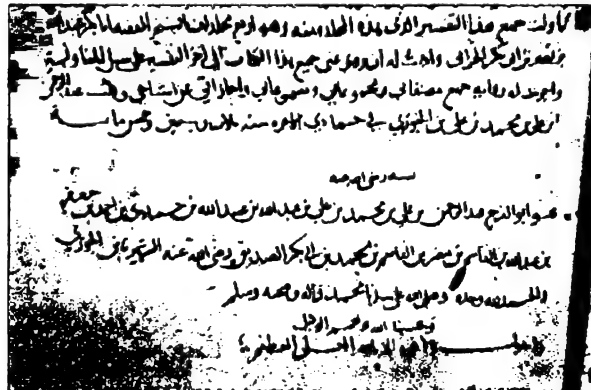
والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، وصلواته على خير بريته
محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً^(٣).

(١) ليست في (م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه.

(٣) بلغ مقابلة على نسخة عليها خط المؤلف على حسب الجهد والطاقة في خامس المحرم
سنة أحد وثمانمائة.

ومثال خط المؤلف رحمه الله في الجزء الأول:



تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنْهُ عَلَى يَدِي أضعف العباد وأوجههم إلى
عفوهِ وغفرانهِ الفخر البغدادي الشهير بالرمال تجاوز الله عن سيئاته في
نهار السبت الثالث والعشرين من شهر شوال سنة أحد وثمانمائة هجرية.

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة النبأ	

٤٠،١ ٥

رقم الآية	الصفحة
سورة النازعات	

١٤،١ ٢٧

٣٣،١٥ ٤١

٤٦،٣٤ ٤٧

رقم الآية	الصفحة
سورة عبس	

١٦،١ ٥١

٣٢،١٧ ٥٩

٤٢،٣٣ ٦٥

رقم الآية	الصفحة
سورة التكوير	

١٤،١ ٦٩

٢٩،١٥ ٧٧

رقم الآية	الصفحة
	سورة الإنفطار
١٩،١	٨٥

رقم الآية	الصفحة
	سورة المطففين
٦،١	٩٥
٢٨،٧	٩٧
٣٦،٢٩	١١١

رقم الآية	الصفحة
	سورة الانشقاق
١٤،١	١١٣
٢٥،١٥	١١٩

رقم الآية	الصفحة
	سورة البروج
٢٢،١	١٢٧

الصفحة	رقم الآية
سورة الطارق	

١٤٣ ١٠،١
١٥١ ١٧،١١

الصفحة	رقم الآية
سورة الأعلى	

١٥٣ ١٣،١
١٥٩ ١٩،١٤

الصفحة	رقم الآية
سورة الغاشية	

١٦٣ ٧،١
١٦٩ ٢٦،٨

الصفحة	رقم الآية
سورة الفجر	

١٧٥ ١٤،١
١٩٥ ٣٠،١٥

رقم الآية	الصفحة
سورة البلد	

١٠،١	٢٠٣
٢٠،١١	٢١١

رقم الآية	الصفحة
سورة الشمس	

١٠،١	٢١٧
١٥،١١	٢٢٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الليل	

١١،١	٢٢٧
٢١،١٢	٢٣٥

رقم الآية	الصفحة
سورة الضحى	

١١،١	٢٣٩
------	-----

رقم الآية	الصفحة
سورة الشرح	

٨،١	٢٤٩
-----	-----

الصفحة	رقم الآية
سورة التين	
٢٥٧	٨،١

الصفحة	رقم الآية
سورة العلق	
٢٦٧	٥،١
٢٦٩	١٩،٦

الصفحة	رقم الآية
سورة القدر	
٢٧٥	٥،١

الصفحة	رقم الآية
سورة البينة	
٢٨٧	٨،١

الصفحة	رقم الآية
سورة الزلزلة	
٢٩٣	٨،١

رقم الآية	الصفحة
	سورة العاديات
١١، ١	٢٩٩

رقم الآية	الصفحة
	سورة القارعة
١١، ١	٣٠٩

رقم الآية	الصفحة
	سورة التكاثر
٨، ١	٣١٥

رقم الآية	الصفحة
	سورة العصر
٣، ١	٣٢١

رقم الآية	الصفحة
	سورة الهمزة
٩، ١	٣٢٧

رقم الآية	الصفحة
	سورة الفيل

٥٠١ ٣٣٣

رقم الآية	الصفحة
	سورة قريش

٤٠١ ٣٤٧

رقم الآية	الصفحة
	سورة الماعون

٧٠١ ٣٤٩

رقم الآية	الصفحة
	سورة الكوثر

٣٠١ ٣٥٧

رقم الآية	الصفحة
	سورة الكافرون

٦٠١ ٣٦٥

الصفحة	رقم الآية
سورة النصر	

٣٦٩ ٣،١

الصفحة	رقم الآية
سورة المسد	

٣٧١ ٥،١

الصفحة	رقم الآية
سورة الإخلاص	

٣٧٧ ٤،١

الصفحة	رقم الآية
سورة الفلق	

٣٨٣ ٥،١

الصفحة	رقم الآية
سورة الناس	

٣٩١ ٦،١